موسوعة الاغتيالات
ومحاولات الاغتيال في العالم

الجزء السابع

د. سليم الياس

موسوعة
الاغتيالات ومحاولات الاغتيال
في العالم

تنويه

أولاً: إن عرض هذه الموسوعة من حوادث الاغتيال قد تم سرد مواضيعها حسب التسلسل الزمني لوقوع حادث الاغتيال، حيث أنها لا تندرج بأيّ شكلٍ من أشكال التصنيف أو الترقيم.

ثانياً: إن المواضيع التي وردت في موسوعة الاغتيالات ومحاولات الاغتيال في العالم لا تعبّر بالضرورة عن رأي مركز الشرق الأوسط الثقافي أو عن رأي المؤلف، وإنما هي مستقاة من المراجع والمستندات والمواقع الإلكترونية والتي تم ذكرها في هوامش كل موضوع، وبذلك فهي لا ترتب أية مسؤولية قانونية لا على الناشر ولا على المؤلف.

الناشر

سليم الياس

موسوعة

الاغتيالات ومحاولات الاغتيال

في العالم

الجزء السابع

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

1427 هـ 2006 م

The Middle East Cultural Centerr

For Printing, Publishing, Translation & Distribution

مركز الشرق الأوسط الثقافي

للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

General Management:

Beirut - Hadath, Tel: 961 -5 -461888

Fax: 961 - 5 - 461777, Mobile: 961 - 3 - 640490

E-mail: lcc_pub@Yahoo.com

الإدارة العامة:

بيروت - الحدث، هاتف: ٤٦١٨٨٨ - ٥ - ٩٦١

فاكس: ٤٦١٧٧٧-٥-٩٦١- خليوي: ٦٤٠٤٩٠-٣-٩٦١

Web site: www.lccpublishers.tk

المقدمة

منذ ظهور النظام الرأسمالي ووصوله إلى أعلى مراحله ألا وهي مرحلة الامبريالية، فإن هذا النظام المتوحش كان ولا يزال قائماً على النهب والسلب والقتل والاغتصاب وشن الحروب غير العادلة. وبعد غياب الإتحاد السوفياتي ازداد هذا النظام وحشية وهمجية، وأعلنت الولايات المتحدة الأميركية اليوم حربها العالمية الرابعة تحت غطاء ما يسمى مكافحة الإرهاب الدولي، واستخدم هذا النظام المتوحش أدواته الإرهابية المتمثلة بالمؤسسات المخابراتية والعسكرية لتحقيق هدفه.

وكما هو معروف هناك تنسيق وعلاقة قوية بين وكالة المخابرات المركزية الأميركية والبنتاغون من أجل القيام بتصفية الحسابات السياسية والإقتصادية والأيديولوجية على الصعيدين الداخلي والخارجي، ومما يؤكد ذلك ما ارتكبته وكالة المخابرات المركزية الأميركية بالتنسيق والتعاون مع البنتاغون من جرائم والقيام بالانقلابات الحكومية الفاشية ضد الأنظمة الوطنية والتقدمية. وكذلك ضد الشخصيات الوطنية والثورية في البلدان النامية وغيرها، وكانت تتم هذه الجرائم تحت ذريعة واهية ألا وهي «خطر موسكو»

و«الخطر الشيوعي» و«الخطر العسكري السوفياتي» وغير ذلك، أما اليوم فإن هذه المؤسسات القمعية تستخدم أسلوباً جديداً ألا وهو الدفاع عن حقوق الإنسان، والديمقراطية، وتصفية أسلحة الدمار الشامل وغير ذلك.

تحاول الولايات المتحدة الأميركية أن تظهر نفسها للعالم على أنها داعية وحامية وراعية لما يسمى بحقوق الإنسان والديمقراطية في العالم، كما أعطت لنفسها الحق في التدخل في الشؤون الداخلية للدول التي لها سيادة وطنية وعضو في هيئة الأمم المتحدة بهدف بسط نفوذها السياسي والإقتصادي والعسكري والهيمنة على ثروات شعوب العالم وخاصة فيما يخص الطاقة. إن دل هذا على شيء إنما يدل على عدم احترام أميركا للقوانين الدولية، وهي تسعى باستمرار إلى إضعاف دور ومكانة هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها، وتتميز سياستها داخل هذه المنظمة الدولية بازدواجية المعايير.

يتميز تاريخ أميركا على أنه تاريخ دموي، فمنذ نشوئها ولغاية اليوم وهي تقوم على قتل وإبادة الشعوب الفقيرة، وخير دليل على ذلك ما فعلته مع الهنود الحمر، وبهذا الخصوص يشير أوليغ بلاتونوف إلى أن أميركا كدولة كانت تقوم على امتلاك الزنوج واستغلالهم استغلالاً جائراً. إن الأمة الأميركية تكونت على أشلاء ودم وعظام وأراضي الغير، فقد شرّدت وعذّبت وقتلت أكثر من 100 مليون من الهنود الحمر الذين يعتبرون أصحاب الأرض الشرعيين للبلاد. وكما استخدمت وتستخدم اليوم أدواتها القمعية

بقتل واغتيال كل الذين يعارضون مصالحها من أجل تنفيذ مشروعها اللا شرعي واللا ديمقراطي بهدف بناء ما يسمى النظام العالمي الجديد .

إبراهيم الحمدي
(1943 ـ 1977)

بدأت إذاعة صنعاء عاصمة الجمهورية العربية اليمنية (اليمن الشمالي) عصر يوم الخميس في 13 حزيران/ يونيو عام 1974 فجأةً ببث الأناشيد الحماسية، وكان يغطي بث هذه الإذاعة ويسمع بوضوح على مساحة كبيرة من اليمن الطبيعية، وفي دول الجوار.

«الله أكبر يا بلادي كبِّري. . وخذي بناصية المغير ودمِّري» وغيرها. بالإضافة إلى مارشات عسكرية، وبين أغنية وأخرى يعلن المذيع عن بيان هام سيذاع بعد قليل فترقبوه!؟.

في ثوان التف الجميع حول جهاز الراديو، فلم يكن قد أدخل التليفزيون إلى الشمال بعد ـ أول إرسال في الجنوب تم في 11/ 9/ 1964، وفي الشمال 24/ 9/ 1975 ـ، والقليل هذا امتد لساعات، وكلما طال الانتظار كلما كثرت التخمينات والتوقعات، ولأن الصورة لم تكن واضحة مائة بالمائة، وكون الإذاعة قدمت هذا النوع من الأناشيد الوطنية، والتي يعود أغلبها إلى فترتي الخمسينات والستينات مرحلة المد القومي والمواجهة مع القوى الاستعمارية، والتي تهدف عادة إلى رفع المعنويات القتالية أو الاستعداد لها،

وحشد الشعب وراء قيادته، فأغلب الظن أن الحرب قد اندلعت للمرة الثانية بين شطري اليمن، وبين من هو مستاء وحزين للقتال بين أبناء الوطن الواحد خاصة وحرب العام 1972 لم تمح بعد آثارها المؤلمة من ذاكرة الوطن، ولأن الوضع السياسي في تلك الفترة كان متأزماً بما فيه الكفاية وفتيل الحرب جاهزاً للاشتعال في أي لحظة ولأتفه سبب، لأن كل طرف يحتضن ويدعم مادياً ومعنوياً وبلا حدود معارضي الطرف الآخر! البعض اتجه إلى الاستماع لراديو عدن عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (اليمن الجنوبي) لعل الصورة تتضح، فوجدوا برامجه عادية لتستبد الحيرة والقلق والترقب من جديد، ومع ذلك فقد يكون الجنوب الماركسي النظام والعقيدة التقدمي قد هاجم الشمال الرجعي بحسب الحرب الإعلامية بينهما في تلك الفترة، ولهذا لا تزال القيادة في عدن تبحث عن سبب مقنع عربياً ومقبول دولياً أساسه إن لم يكن الدعم والمساندة من باق التقدميين فالحياد أقل شي من الدول التي لها مصالح في المنطقة، لأن الحرب هذه المرة إذا توسعت وأخذت البعد الإقليمي، حتماً ستهدد هذه المصالح خاصة في الخليج النفطي، بينما القيادة في صنعاء لا تزال هي الأخرى تبحث عن سبب قوي وحاسم لحشد التعاطف والتضامن معها ضد هذه الجماعة الخطيرة. . . الخ!؟

عند الغروب قطع المذيع الصمت الذي وصل إلى حد التشنج، معلناً بعد الديباجة الطويلة غروب عهد الرئيس القاضي عبد الرحمن الأرياني ومجيء قيادة جديدة برئاسة العقيد إبراهيم الحمدي في انقلاب أبيض على رأس حركة 13 حزيران/ يونيو التصحيحية.

شكل مجلس القيادة في البداية من سبعة أعضاء إلى جانب الحمدي ثم وسع إلى تسعة هم: أحمد الغشمي، يحيى المتوكل، مجاهد أبو شوارب، علي الشيبة، حمود بيدر، علي الضبعي، درهم أبو لحوم، علي أبو لحوم، وأضيف لاحقاً عبد العزيز عبد الغني وعبد الله عبد العالم.

الشعب اليمني بأكمله يعرف الرئيس السابق شكلاً وفكراً وسياسة بعد سبع سنوات عاصفة في الحكم، بينما رئيس مجلس القيادة الجديد (رئيس الدولة) معروف في العاصمة صنعاء والمدن القريبة منها خاصة الفترة التي تولى فيها منصب نائب رئيس الوزراء للشؤون الداخلية، وتأسيسه لهيئة التعاون الأهلي التطوير التي نفذت العديد من المشاريع بمبادرات ذاتية من المواطنين، كشق الطرق وبناء السدود والمدارس والمستوصفات الطبية.

ولأن نسبة الأمية مرتفعة فليس الكل يقرأ الصحف أو المجلات ولا وجود للتليفزيون، أول سؤال تبادر إلى أذهانهم، كم عمره؟ وكيف يبدو؟ وكيف يتحدث؟ فالقاضي الأرياني عندما خلف المشير عبد الله السلال أول رئيس للجمهورية بعد الثورة على النظام الملكي في الشمال عام 1962 في انقلاب أبيض أيضاً، كانا متقاربين في العمر على أبواب العقد الخامس.

في اليوم التالي وزعت الصحيفتين الرسمية «الثورة» التي تصدر في صنعاء و«الجمهورية» شبه الرسمية التي تصدر في تعز، وعلى الصفحة الأولى صورة العقيد الحمدي شاب من مواليد 1943 في مدينة قعطبة، قائد لواء إب الحدودية بين الشطرين ذات الأهمية في

وقت السلم والحرب واللقاءات الوحدوية المهمة حيث احتضنت أهم قمة بين الحمدي وربيّع في 15 شباط/ فبراير عام 1977.

بعد أن عرفوا شكله باتوا في شوق لسماع صوته، وبعد ثلاثة أيام وجه خطابه وبيانه السياسي الأول مساءً، فلمسوا فيه دفء الصوت والبلاغة في الإلقاء لتبدأ مقارنة لم تنته بين رجلين قد احترموا الأول وقدروا له دوره النضالي الطويل ضد الحكم الإمامي الظالم المستبد المتخلف، ومعاناته في السجون لسنوات، ويكفي أنه أُعيد من ساحة الإعدام مرتين وقبل دقائق فقط من طيران رأسه فلقّب بالشهيد الحي، وأكبروا فيه غزارة علمه وتحمل المسؤولية في فترة حرجة للغاية كان رجلها بالفعل، وعابوا عليه ترك البلد وخيراتها نهباً لفئة اعتبرت نفسها فوق القانون العام وسنت قانونها الخاص مع القوي ضد الضعيف، فكان لابد من عمل عظيم يصلح الخلل الفظيع الذي أصاب المجتمع، ويهدده بالانهيار ويعيد الثقة للمواطنين البسطاء الطرف الضعيف في معادلة ما قبل الحركة، لكنهم كانوا في نظر الحمدي الطرف الأقوى لأنهم الغالبية بنظامهم الجمهوري، وأهداف ثورتهم الستة ويقضي على الفساد والرشوة والمحسوبية، وهو البرنامج الذي أعده الحمدي وقدمه الجيش باسم مشروع القوات المسلحة للإصلاح المالي والإداري في 5/ 9/ 1971، وبعد ثلاثة عشر يوماً عين نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الداخلية في الحكومة الجديدة ومغزى التعيين أن يشرف شخصياً على تنفيذ ومتابعة مشروعه التصحيحي الذي اصطدم بعقبات كثيرة.

في 18 حزيران/ يونيو عام 1974 ودع الحمدي القاضي الأرياني رسمياً في مطار تعز، المدينة التي أحبها الإثنان والواقعة بين صنعاء وعدن، متوجهاً مع أفراد عائلته إلى منفاه الاختياري دمشق، ذهب ومعه العديد من الأسرار لم يسرِّب أي شيء منها بل أراد أن تحكي مذكراته وتكشف كل الحقائق بعد وفاته، مثلاً هل صحيح أنه قدم استقالته إلى القوات المسلحة ليحذو حذوه مكرهين باقي كبار المسؤولين وخاصة رجل السعودية القوي الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر رئيس مجلس الشورى، والذي كانت ممارسات المجلس أحد أسباب التغيير، والذين ضاق القاضي ذرعاً بهم وبتصرفاتهم التي تجاوزت كل الحدود على الاستقالة وفي غياب الرجلين القويين العقيد محمد الأرياني القائد العام للقوات المسلحة الموجود منذ شهور في فرنسا للعلاج والعقيد حسين المسوري رئيس هيئة الأركان الذي توجه إلى الأردن في اليوم السابق للحركة، وبعد خمسة أيام صدر قرار بتعيين الأرياني سفيراً لدى بريطانيا والمسوري سفيراً لدى مصر. المسوري كان ضمن الوفد اليمني الذي زار السعودية في17/ 3/ 1973 برئاسة القاضي عبد الله الحجري رئيس الوزراء وعضوية محمد أحمد نعمان نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، وقيل يومها أنه تم تجديد إتفاقية الحدود المرفوضة من الشعب اليمني لعشرين سنة قمرية. ـ اغتيل النعمان في 28/ 6/ 1974 في العاصمة اللبنانية بيروت، والحجري في 10/ 4/ 1977 في العاصمة البريطانية لندن ـ فاسحاً الطريق أمام العقيد الشاب نائب القائد العام ليقصقص أجنحتهم ويوقف عبثهم، أم أن المعسكر الآخر والمقصود به الشيخ الأحمر وجماعته هم الذين دفعوه إلى الاستقالة من خلال صفقة مع

الشاب الطموح هي أن تحكم ولا تملك أو العكس! قد يكون ذلك صحيحاً إلى حد ما وكتكتيك منه وهو العسكري المتمرس الذي تولى الكثير من المناصب الهامة رغم صغر سنه، استعان في البداية بعدد كبير من أركان العهد السابق رغم علامة الاستفهام الكبيرة التي تحاصر تاريخهم بحكم مزاملته لهم، ويوماً بعد يوم سحب الشعب البساط من تحت أقدامهم وعندما أحسوا بالغربة مع الوضع الجديد تلاشوا، بعضهم بصمت والبعض بضجيج كما حدث في مؤتمر مدينة خمر القريبة من صنعاء ومعقل الشيخ الأحمر الذي عقد في 15 شباط/فبراير 1975، وحضره عدد كبير من المشايخ والضباط المبعدين من الجيش وقد اعتبروا أن الحمدي غاصباً للسلطة.

وكان الشيخ الأحمر نفسه قد رعى في 18/6/1974 مؤتمراً لقبائل اليمن عقد في قرية المعْمر ناحية همدان إحدى ضواحي صنعاء، ووصف الحركة يومها بأنها جنبت البلاد فتنة عمياء!؟.. كان يعرف صعوبة تغييرهم دفعة واحدة في مجتمع القبيلة هي الأقوى، والمادة هي الوسيلة لبلوغ الغاية والمصالح الشخصية على حساب مصالح الوطن؟.

في أول يوم رئاسة وبعد مراجعة سريعة للمواضيع المهمة في أجندته المزدحمة أصدر أمراً عاجلاً بوقف الحملات الإعلامية ضد الجنوب وقيادته مع التأكيد بأن الوحدة ستظل هي الخيار الوحيد للشعب اليمني مهما تباينت الآراء والمواقف، ولأنها هدف عظيم فإنها تحتاج إلى تضحيات عظيمة.

فبادله على الفور الرئيس سالم ربيّع علي الشهير بسالمين بنفس

الرغبة ونفس الشعور مؤسسين لعلاقة قوية بينهما أخذت الطابع الشخصي أكثر من الرسمي.

بدأ الرجل مهمته الشاقة بجهد جبار يعاونه مجموعة من الوجوه الشابة والمؤهلة أكاديمياً في بناء الدولة الحديثة دولة النظام والقانون والمؤسسات، وهي مهمة صعبة لكنها ليست مستحيلة من قائد جمع في شخصيته القوة والقدوة مضافاً إليها ثقافته وتميزه خلال دراسته المدنية والعسكرية، والأهم الأسرة العريقة التي جاء منها كقاض ـ خلال فترة عمله القصيرة في سلك القضاء في غياب والده القاضي محمد صالح الحمدي كانت تنتهي أحكامه إلى الصلح بين المتخاصمين ـ أن العدل أساس الحكم، وأساس الحكم مخافة الله، وأن لا يخاف في الحق لومة لائم.

ـ تواضعه ودماثة خُلُقه:

أنزل جميع الرتب العسكرية التي وصلت إلى التضخم وحامليها إلى التخمة للمقدم بما فيها رتبته فأعاد للجندي والصف والضابط الهيبة المفقودة.

منع استخدام السيارات الحكومية والعسكرية وسيارات المؤسسات العامة والمختلطة للأغراض الشخصية. أقرّ زيادة في المرتبات مع أربعة مرتبات إضافية تصرف في مناسبات عيدي الفطر والأضحى وذكرى الثورة وذكرى الحركة.

كانت البساطة والتواضع ملازمة له في حياته وسلوكه هو وأفراد أسرته حتى آخر أيامه.

كان يتنقل بدون حراسة أو موكب مع السائق أو لوحده بسيارته الفولكسفاغن. وكان يقوم بزيارات ليلية متنكراً، وكذلك بزيارات مفاجئة للدوائر الحكومية والأمنية والعسكرية، وآخر زيارة مفاجئة له كانت إلى مدينة تعز قبل اغتياله بأسابيع قليلة وقيل يومها أنه كان قاسياً جداً في توبيخ وانتقاد مسؤولي المحافظة على التسيب وعدم الالتزام الوظيفي. وكان من بين هؤلاء المسؤولين قائد اللواء الرائد علي عبد الله صالح، المحافظ عبد السلام الحداد، ومدير الأمن. وحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرين، مطبقاً مبدأ «من أين لك هذا».

كان صارماً على كل من حوله وخاصة أقربائه، بالإضافة إلى حرصه على المال العام، وحقق للخزينة العامة فائضاً حيث بلغت الأرصدة الاحتياطية للريال اليمني بالعملة الصعبة (الدولار) - بحسب ما ورد في نشرة الصندوق الدولي الفصلية في كانون الأول/ ديسمبر عام 1977 - ثمانمائة وخمسة وعشرون مليون دولار وهو رقم عالٍ إذا ما قورن باحتياطي مصر آنذاك الذي قارب مائتين وأربعين مليون دولار.

أصرَّ إبراهيم الحمدي على أن يلتقي بمن يرغب بلقائه من المواطنين أسبوعياً في لقاء مفتوح دون حواجز ووفق إجراءات سهلة وعادية جداً.

ألغى مسميات الشيخ والسيد وأبدلها بالأخ، والتي تعني سواسية أبناء الشعب.

ودرّج العادة على تقبيل العلم عند المغادرة والأرض عند العودة من كل سفرة خارجية.

بدأ في عهده موسم التشجير في آذار/مارس من كل عام لإعادة الاخضرار إلى اليمن السعيد.

سلم للمتحف الوطني كل الهدايا العينية التي حصل عليها أثناء زياراته لدول شقيقة وصديقة، لأنها من وجهة نظره هدايا من شعب لشعب، والمسؤول ليس إلا وسيطاً، أما المبالغ المالية بملايين الدولارات فتم تحويلها إلى خزينة الدولة.

تفرغ حتى نهاية العام 1974 للشأن الداخلي فترسخ الأمن الشامل مع التنمية الشاملة، ولأنه قارئ جيد للتاريخ فقد قرر إعادة بناء سد مأرب عصب الحياة المزدهرة لمملكة سبأ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة سبأ ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كلوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكروا لَه بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفورٌ**﴾ فقصد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة والذي تعود أصول عائلته إلى اليمن وإلى مدينة مأرب تحديداً، فوافق الرجل على تحمل التكاليف، فكانت الهدية الثانية من شعب الإمارات لشقيقه شعب اليمن بعد محطة التليفزيون، ولأنه مدرك لحجم الضغوط السعودية وتأثيرها على بلاده، لذا كانت وجهته الخارجية الأولى إلى الرياض فالتقى المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز الذي أعجب به وبديناميكيته لكن هذا لم يمنعه من التعليق بقوله «سيتعبنا»؟!.

خرج المغتربون اليمنيون في العاصمة الرياض والذين جاؤوا من باقي المناطق لاستقباله في استفتاء جماهيري أذهل السعوديين

وقوات الأمن التي لم تستطع السيطرة على الوضع، وقد ذكّر السعوديون ذلك الاستقبال باستقبال العمانيين لولي عهدهم قابوس بالمكانس بداية سبعينيات القرن العشرين ليعود مباشرة ويطيح بأبيه وينقل بلاده بعد الانغلاق والتخلف لسنين طويلة إلى الثروة والتقدم، وقد تداول الظرفاء العبارة التالية: «يا عماني يا عماني اترك المكنسة لليماني»!

عمل غالبية المغتربين اليمنيين وعددهم يفوق المليون في المهن الحرة وكعمال بناء، بينما قلة يعملون في التجارة والاستثمار وقد حصنوا أنفسهم وأموالهم بالجنسية السعودية، واعتبرهم الحمدي على الدوام سفراء بل كان يردد: «إنهم سفراء يدفعون للدولة! ومن أجلهم عقد المؤتمر الأول للمغتربين في آذار/مارس عام 1976 ليعرف منهم عن احتياجاتهم من الحكومة فوجدهم يقدمون الكثير بسخاء ويطلبون القليل باستحياء؟!.

ذلك الاستقبال الحاشد والكاريزما أزعجا السعوديين وأحسوا بأن الرئيس الشاب في طريقه للابتعاد عنهم وعن وصايتهم مستنداً على أرضية جماهيرية واسعة ومنجزات عملاقة ومشاريع طموحة ـ علاقة الحمدي بدول الخليج كانت جيدة فقد ترأس الوفد اليمني المهنئ لبعض دوله بانتهاء الحماية البريطانية ـ والبوادر هي:

الأولى: دعوة اليمن لعقد مؤتمر قمة عربي طارئ لبحث تداعيات الحرب الأهلية في لبنان التي اندلعت في شباط/فبراير عام 1975 ووقف نزيف الدم بين الإخوة واقتراح تشكيل قوات الردع

العربية، فاستغرب المراقبون ذلك من اليمن الجديد الذي كان آخر من يعلم وآخر من يتكلم، يمكن لأن يبدأ بحرف الياء آخر الحروف الأبجدية!؟.

الثانية: قمة عدم الانحياز التي عقدت في العاصمة السيرلانكية كولومبو في تموز/ يوليو عام 1975، وانتخبت اليمن لسكرتارية المؤتمر وسط حضور يمني ملفت للنظر.

الثالثة: آذار/ مارس عام 1977 دعوة اليمن إلى عقد قمة للدول المطلة على البحر الأحمر لبّاها رؤساء جنوب اليمن سالم ربيّع والسودان جعفر النميري والصومال سياد بري، وتجاهلتها السعودية طبعاً لأسباب معروفة حيث بدا اليمن في ظل قيادة الحمدي ينحو بعيداً عن الفلك السعودي، وأيضاً لأنها كانت قد بدأت التحرك لفكرة كهذه لم تلق التجاوب! ومصر الذي من المستغرب له رغم العلاقة الودية المتميزة بين الحمدي والرئيس أنور السادات الذي يذكر جيداً إصرار الحمدي عندما كان نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الداخلية على تسليم الجاسوس الإسرائيلي باروخ مرزاحي، الذي ألقي القبض عليه في اليمن في26 / 5/ 1972 إلى مصر مضحياً بالأمن القطري لصالح الأمن القومي العربي في مواجهة حامية الوطيس مع وزير الداخلية وقتذاك علي سيف الخولاني، والتي أشار إليها أحد ضباط المخابرات المصرية الذي كلف بملاحقة الجاسوس في مذكراته التي نشرتها مجلة «آخر ساعة» المصرية على حلقات في أواخر العام 1976، فقد استفادت القيادة المصرية من الكم الهائل من المعلومات التي حصلوا عليها منه في حرب تشرين الأول/

أكتوبر عام 1973، كما سمحت اليمن لقوات مصرية بإغلاق مضيق باب المندب على مدخل البحر الأحمر والذي يقع ضمن السيادة اليمنية.

أما المحطة الحساسة والخطيرة فكانت زيارته التاريخية إلى فرنسا في تموز/ يوليو عام 1977 والتي استقبل فيها الرئيس الفرنسي الأسبق فاليري جيسكار ديستان ضيفه في مطار أورلي وليس في قصر الاليزيه كما يقتضي البروتوكول الفرنسي، ونجاح الزيارة وأهميتها تمثل في صفقة الأسلحة الفرنسية المشتراة والمدفوعة قيمتها نقداً بالكامل في مفاجأة للسعوديين شعروا بأن صفقة بهذا الحجم وبهذا التنوع ليست دفاعية أبداً!، وأبلغ الحمدي أثناء دخول الطائرة الأجواء الفرنسية بارتزاقه مولوده الرابع الذي طلب منهم تسميته ذو يزن نسبة للملك الحميري سيف بن ذي يزن محرر اليمن من الحكم الحبشي وموحده، أما بقية أولاده فهم: الدكتور محمد أستاذ في كلية الهندسة «جامعة صنعاء»، ونشوان رجل أعمال وبنت واحدة اسمها أفراح.

وأثناء العودة من هذه الزيارة قام الحمدي بزيارة إلى تونس وأعلن بأنه سيتوجه بعدها في زيارة إلى ليبيا، ولكنها لم تتم فقد عاد الحمدي مباشرة إلى صنعاء، مما دعا السفير الليبي إلى لقاء الحمدي لمعرفة سبب إلغائها.

كان قد تم الإعلان عن هذه الزيارة في بيان رسمي، وعندما لم تتم لم يصدر أي بيان بذلك كما جرت العادة، والذي يعتقد لم يكن في الأساس سوى أن القذافي الذي كان يعتبر نفسه وريث

الإرث الناصري ووجد في الحمدي منافساً له على ذلك، وكانت العلاقة بينهما على أقل مستوى.

في أيلول/ سبتمبر عام 1977 وفي آخر خطاب له بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لثورة الـ 26 من أيلول/ سبتمبر أعلن أن شهر العسل قد انتهى وبقدر المعنى الواضح حيث كان يعني في الأصل فئة التجار، إلا أن ما بين السطور حمل الكثير! ماذا كان يعني بالضبط. . هل يعني السعودية؟ هل يعني مراكز القوى والتسلط والسيطرة التي أعادت ترتيب صفوفها؟ هل يعني الفاسدين الذين لم تردعهم الشعارات التصحيحية والتي لم تكن في الواقع سوى شعارات، ومع ذلك أثرت وأتت بالنتائج الإيجابية. . فلم يعلن مثلاً عن قطع يد سارق أو محاكمة مرتشي، ولم يحاسب فاسد أساء استخدام أمانة المسؤولية رغم وجود اللجنة العليا للتصحيح المالي والإداري، حرصه انصب على إنهاء الفترة الانتقالية التي قد تطول أو تقصر بأقل الخسائر والأخطاء، كما حرص كذلك على إظهار أن الحركة خرجت من رحم ثورة أيلول/ سبتمبر الأم وأنها جاءت لتجديدها وخلق الفاعلية لأهدافها الستة التي أصبحت حبراً على ورق وليست بديلاً عنها كما اتهموه!

كان يحتفل بعيد الثورة في صنعاء ثم تعز وأخيراً الحديدة، وكان يعتبره منطلقاً نحو المستقبل مع الشعب الذي اعتقد أنه سيحميه بالتفافه حوله وسيجعل من يفكر في إيذائه يفكر بدل المرة مليون وإن حصل فلن يهنأ بالنعيم ولن يملأ الفراغ رغم إيمانه وكما كان يردد دائماً: «بأن لا حذر من القدر».

في 10 تشرين الأول/ أكتوبر من نفس العام أعلن أنه سيقوم بزيارة تاريخية إلى عدن هي الأولى لرئيس شمالي إلى الجنوب للمشاركة في احتفالات الذكرى الرابعة والعشرين لثورة الـ14 من تشرين الأول/ أكتوبر التي طردت الاستعمار البريطاني ولاتخاذ خطوات وحدوية حاسمة. ما هي هذه الخطوات ولماذا حاسمة؟!.

هل سيتم إعلان الوحدة بين الشطرين؟ أو وضع اللمسات النهائية لها؟ وهل وافق الرئيس ربيّع بأن يتولى الحمدي رئاسة اليمن الموحد، والوحدة في الأساس كانت تعني عودة الفرع إلى الأصل، وفقاً لمعطيات التاريخ والإتفاقات الوحدوية الموقعة في العاصمتين المصرية والليبية أواخر العام 1972. كما أن صنعاء عاصمة الشمال هي العاصمة التاريخية لليمن الواحد مع إزاحة العناصر الماركسية المتشددة والمرتبطة بالإتحاد السوفيتي، عبد الفتاح إسماعيل وجماعته والابتعاد التدريجي عن التبعية المطلقة للسوفييت، وتأسيس علاقة متميزة مع الصين؟! وكان قد تم تأجيل زيارة الحمدي إلى الصين قبل أيام قليلة من القيام بها بسبب وفاة الرئيس الصيني ماوتسي تونج في 9/ 9/ 1976، وقد تمت بعد اختيار الرئيس الجديد هوا كوافنج، فكان الحمدي آخر رئيس كان ماو يستعد لاستقباله، وعندما تمت بعد شهرين كان الحمدي أول رئيس يستقبله كوافنج.

زار الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران السعودي ومسؤول ملف اليمن منذ الحرب اليمنية ـ السعودية في العام 1934.

واستقبله الحمدي في المطار، ولفت نظره من قبل بعض أعضاء مجلس القيادة الذين يتحسسون من العلاقة مع السعودية كيف يستقبل وزيراً كاستقبال الرؤساء؟ فرد عليهم بلطف وهو يعلم تأثير وقوة الأمير لقد أراد تهدئة اللعب والشد والجذب مع السعوديين، وأشبع غرور سلطان بالاستقبال كملك خاصة بعد اغتيال الملك فيصل في 25/ 3/ 1975، الذي رغم دهائه السياسي ومواقفه السياسية المعروفة تجاه الأنظمة الثورية، وكل من يذكِّره بعبد الناصر إلا أنه كان يقدر ويحترم من يبنون أوطانهم رغم خلافه معهم ولم يتبع أسلوب القتل ضد معارضيه، كما أنهم كانوا يرجعون إليه في كل كبيرة وصغيرة على عكس الملك خالد، مضيفاً أن سلطان جاء حاملاً الخير لليمن ومن يأتينا بذلك ليس فقط أستقبله في المطار بل أحمله فوق ظهري. وعندما تكرر نفس الشيء مع نائب الرئيس المصري حسني مبارك في 21/ 9/ 1977 وذلك لسبب واحد فقد كانوا يعرفون تقديره وتقدير الشعب اليمني كاملاً لمصر وتضحياتها في دعم ومساندة الثورة اليمنية ومن الغريب القول إن حدسه بأن مبارك سيكون الرئيس القادم لمصر.

ـ مؤامرة اغتياله:

تلقى الحمدي اتصالاً من نائبه المقدم أحمد الغشمي يدعوه إلى منزله الذي يقع في ضواحي العاصمة لتناول طعام الغداء المقام بمناسبة نجاح العملية الجراحية لاستئصال الزائدة الدودية التي أجريت لعبد العزيز عبد الغني رئيس الوزراء وعضو مجلس القيادة. وقد دعي إليها عدد كبير من الوزراء والشخصيات السياسية

والإجتماعية المهمة، وغاب عنها الرائد عبد الله العالم عضو مجلس القيادة وقائد قوات المظلات أقرب المقربين إلى الحمدي والذي لا يحمل أي ود للغشمي، ولن يتناول الحضور الغداء مالم يحضر الرئيس ولمناقشة أمر هام وعاجل لا يحتمل التأجيل وأمام تهرب الحمدي من تلبية الدعوة خاصة وقد كلف شقيقه الأصغر عبد الرحمن بتجهيز ما تيسر أي الموجود من الطعام للغداء - عبد الرحمن الحاصل على مؤهلات عليا في الهندسة من أميركا والعضو السابق في البرلمان مطابق لإبراهيم شكلاً وصوتاً -، عرض الغشمي إرسال سائقة الخاص يعتقد أنه محمد الحاوري - أصبح فيما بعد قائد الحرس الخاص للرئيس علي عبد الله صالح ثم قائداً لقوات المظلات ثم الشرطة العسكرية. . . - أثناء ذلك وصل سائق شقيقته الذي قام بتوصيله إلى منزل الغشمي، بعد الانتهاء من طعام الغداء والدردشات الجانبية والعامة غادر الجميع وبقي الحمدي لمعرفة الأمر الهام الذي لم يكن سوى محاكمة قصيرة طرفها الرئيسي الغشمي وآخرين كان للحمدي فضل كبير عليهم، وهنا كثرت الروايات عن اللحظات الأخيرة في حياة الحمدي.

تقول إحدى الروايات أن الغشمي أبلغ الحمدي بأن أخيه عبد الله الضابط العنيد والعنيف والذي يخشاه كل القادة العسكريين أولهم هو - كان إبراهيم يتحاشى أن يجتمع وأخيه عبد الله قائد قوات العمالقة المتمركزة في مدينة ذمار التي تبعد حوالي ثمانين كيلومتراً إلى الجنوب من صنعاء في مكان واحد مهما كانت المناسبة -، الذي كثيراً ما قام إبراهيم بالاعتذار للغشمي عن تصرفات أخيه

نحوه، وقال له الغشمي بأن أخاك قد تم قتله في غرفه مجاورة، وإنك ستلحق به وعهدك يجب أن ينتهي وحراستك الرمزية غادرت بعد أن أبلغهم أحد الموجودين معنا هنا بأنك وكعادتك المحببة إلى نفسك والتي يعرفونها فيك قد غادرت خلسة بمفردك للقيام بجولة تفقدية من دون حراسة، وعليهم العودة إلى منزلك، نظرة سريعة من الحمدي إلى الغشمي حملت معنى واحد، لقد حذروني منك ولكني تجاهلتهم، ونظرة أخرى إلى شخص من صغار الضباط كان من المبالغين في الإعجاب بالحمدي وبقيادته الفذة. وقال لهم: «تريدون السلطة خذوها وأكملوا ما بدأناه، هذا الشعب أمانة في أعناقكم، أنا مستعد للتنازل إذا قبلتم ببقائي في اليمن كان بها، وإذا أردتم أن أخرج فسأخرج، تذكر يا أبو صادق، مخاطباً الغشمي إننا ودعنا القاضي الأرياني من تعز معززاً مكرماً، أردنا أن تكون حركتنا تصحيحية بيضاء نقية لم نبدأها بالدم».

ويقال بأن الغشمي راق له العرض ولكن بعض الموجودين اعترضوا موضحين أن الحمدي إذا خرج فسيعيده الشعب وعلى أجسادنا التي ستكون البساط الأحمر الذي سيمشي فوقه، لأننا كشفنا أوراقنا، كما أننا قد قتلنا أخاه. هل تعتقد (موجهين حديثهم إلى الغشمي) أنه سيسامحنا؟ كلمة واحدة منه إلى الشعب ستفتح علينا أبواب جهنم! وبطريقة هستيرية أطلقوا النار عليه.

رواية ثانية تقول: بعد دعوة الغشمي غيّر الحمدي ملابسه الرسمية على عجل واستبدلها بالزي الشعبي، وعندما وصل أدخل إلى صالة الاستقبال ـ الديوان باللهجة اليمنية ومعروف عن ديوان

الغشمي أنه من الكبر والاتساع بحيث أنه إذا أراد شخص مخاطبة شخص آخر بعيد عنه فما عليه إلا استخدام الميكروفون ـ وبعد مغادرة الضيوف استبقى الحمدي لمعرفة الأمر الهام والعاجل، فجأةً دخلت عليه شابتين فرنسيتين هما فيرونيك تروي ـ من أصل روسي ابنة لجاسوس مزدوج يدعى ديمتري تروي كان يبيع معلوماته للروس والصينيين على حد سواء وعند افتضاح أمره هرب مع ابنته إلى فرنسا ـ وفرانسواز سكريفانو، قيل أن الحمدي تعرف على فيرو أثناء زيارته الناجحة لفرنسا فأرادوها بقدر نجاحها أن تكون لعنة تؤدي إلى نهايته، بدأتا بتقبيله واحتضانه مع دخول مصور لالتقاط عدة صور كدليل للسلوك الفاضح للزعيم الذي أحبته الأمة، الذي بدلاً من التفرغ للإعداد والتحضير للزيارة التي سيقوم بها إلى عدن بعد ساعات قليلة ها هو يبذل جهداً خارقاً في حياة اللهو والمجون مع الساقطات المستوردات من الخارج؟! استل «الجنبية» الخنجر اليمني التقليدي لاحقاً بالمصور لطعنه هائجاً كالأسد الذي وقع في المصيدة قائلاً: «عملتها يا غشمي.. غدرت بي يا جبان؟!» وفي ثوان انطلق الرصاص بغزارة وبشكل جنوني عليهم الثلاثة!، كانت الفكرة تصويره معهن ثم توجيه تهمة الزنا إليه وإلى شقيقه، وتسجيل اعترافه بإخلاله بالأمانة والثقة التي وضعهما الشعب اليمني فيه وإذاعتها على الملأ عبر وسائل الإعلام، فيكون القرار الرحيم بتسفيرهما إلى خارج اليمن، فيدمر الرصيد السياسي الهائل الذي حصده الأول في فترة قصيرة والرصيد العسكري للثاني.. صحيفة «الأهالي» المصرية والتي تم توزيعها في نفس الأسبوع في الأسواق اليمنية، والتي يبدو أن

الرقابة لم تنتبه إلى الموضوع الذي أشار إلى أنه من غير المعقول حدوث ذلك من رئيس لديه ساعات فقط للقيام بزيارة تعتبر تاريخية تتطلب منه إعداد الملفات التي سيحملها معه!.

رواية ثالثة: بعد انتهاء مراسم الجنازة وهدوء الفورة الشعبية التي لم تكن كالهدوء الذي يسبق العاصفة أو الزلزال، وبعد محاكمة سريعة فيها من الإهانة الكثير قتل مع أخيه ثم الفرنسيتين، وهذه الرواية ارتكزت على رفض السماح لأفراد العائلة برؤية الجثتين، ووسط همس أفراد العائلة بأن الجثتين المكفنتين المعروضتين أمامهم ليستا لإبراهيم وعبد الله؟!.

مساء الأحد في 2/ 10/ 1977 استقلت فيرو وفرانكا طائرة الخطوط الإثيوبية التي انطلقت بهما من باريس إلى أديس أبابا وبعد توقف لم يتعد الساعة الواحدة تابعت الطائرة رحلتها إلى صنعاء، ونزلت الشابتان في المطار اليمني حيث استقبلهما موظفان في الأمن العام يشبهان إلى حد بعيد الشابين اللذين أوصلاهما بالسيارة إلى مطار أورلي وسهلا دخولهما الطائرة بعد أن سلماهما الجوازين اللذين يحملان تأشيرة الدخول إلى اليمن، وأنزلت الضيفتان في «سام أوتيل» - يقع على بعد أمتار قليلة من مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة حيث مكتب الحمدي الرئيسي الذي كان يدير منه شؤون الدولة - وهو الفندق العصري الوحيد في المدينة ولكنهما لم تستطيعا الخروج من الغرفة فقد وضعت السلطات اليمنية حراسة مشددة حولهما. لم يعرف حتى الآن كيف أمضت الشابتان أيامهما في اليمن ولا كيف انتقلتا من صنعاء إلى تعز، وكل ما هو معروف

اليوم أن فيرو بعد أسبوع من وصولها إلى اليمن بدأت تتخوف من هذه السفرة الغريبة حيث كل شيء متوفر وحيث الضيافة رائعة، ولكن حيث لا حرية في التنقل فاتصلت هاتفياً بضابط كبير من أصدقائها في باريس لأن المخابرات الدولية مؤمنة في الفندق، وقالت له أنها سجينة في قفص ذهبي ولكن سجينة حتى العاشر من تشرين الأول/ أكتوبر عام 1977.

وصلت أنباء مقتل الصبيتين إلى باريس بعد أسبوع وكانت قد انتشرت قبل ذلك أنباء مقتل الرئيس اليمني، صعق والد فيرو عندما عرف بالأمر وحاول الاتصال بالمخرج ليبوفيشي - منتج سينمائي فرنسي رتب رحلة فيرو التي اصطحبت معها صديقتها فرانسواز أو فرانكا كما يسمونها في اليمن، وقد قتل بعد سبع سنوات في ظروف غامضة واتهم والد فيرو بالعملية، ولكن المخرج تهرب من الإجتماع به وكأنه يخشى تحمل مسؤولية ما حصل؟!.

ومثل كثير من عمليات الاغتيال الغامضة لشخصيات مهمة، سيظل هناك تلهف لمعرفة الحقيقة كاملة.. فمتى؟؟

السؤال المهم ما الذي جعل الاغتيال يتم بهذه السرعة وبهذه الخطة المفضوحة وفي وضح النهار؟ الجواب المؤكد أنها الزيارة الهامة جداً التي ستتم بعد ساعات إلى الجنوب، والتي لا يعرف عن تفاصيلها ودوافعها الحقيقية ونتائجها سوى أقرب رجلين إليه عبد الغني وعبد العالم، ولكن اتضح أن المسؤولين السعوديين وفي مقدمتهم سلطان حصلوا على المعلومات التفصيلية الكاملة والدقيقة

لهذه الزيارة، والتي ستعني الكثير لمسيرة الوحدة اليمنية وستخلط الأوراق في اليمن وإن كان سيريح السعودية إبعاد عبد الفتاح إلا أن أي خطوة متقدمة باتجاه الوحدة الحقيقية تقض مضاجعهم وتقلق منامهم!

عند منتصف الليل والغالبية العظمى نيام أعلن الخبر الفاجعة فظنوا أول الأمر أنه كابوس، وعندما تأكدوا أنه حقيقة عرف الجميع على الفور الأمي قبل المتعلم الفاعل والدوافع، وبعد تصريح الناطق الرسمي حول الحادث الذي أذيع بعد خمسة أيام وغمز بخبث إلى المنزل المتواضع (للزعيم المتواضع) الخاص بالراحة (الجنسية):

«في فترة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر تشرين الأول/ أكتوبر الجاري غادر منزله الذي اعتاد استقبال بعض الزائرين والموظفين فيه إلى المنزل المتواضع الذي استأجره أخوه المقدم عبد الله محمد الحمدي، وجعله شبه استراحة للاستجمام من عناء الأعمال. . .»

ثم كلمة الغشمي بعد أربعة أيام وجاء فيها: «. . . ومع ذلك راح المغرضون ينشرون الشائعات والأقاويل، ولعلهم استغلوا عدم قيامنا بإصدار بيان يوضح ظروف الحادث، ولقد كان سكوتنا بدافع الوفاء ـ يقصد بالوفاء عدم إعلان تفاصيل الحادث النسائي المشبوه على الملأ ـ! . . . إن القتلة المجرمين ما كانوا ليستطيعوا أن يطالوه ويغتالوه لو أنه لم يكن يستهين بحياته ونفسه، ويخرج في بعض الأحيان لوحده ويقود سيارته بنفسه متخففاً من قيود الحراسة التي

كانت مفروضة عليه بحكم أهمية مركزه، كما كنا نقول له: إنك لست ملك نفسك وإنما ملك الناس جميعاً الذين يعلقون عليك الآمال ويرون فيك القائد والزعيم، وكان يعدنا بالعدول عن ذلك فيعدل لفترة ثم يعود إلى الخروج وحيداً معتمداً على حب المواطنين له... كيف يمكن أن يغتال رئيسنا وفي قلب العاصمة؟ وكيف يمكن أن نقنع المواطنين بأن الرئيس لم يكن مصحوباً بحراسة ومرافقين وأنه كان في دار خاصة استأجرها أخوه الشهيد المقدم عبد الله الحمدي».

علق كل من سمع أو قرأ ذلك بالقول لقد اختيرت التهمة غير المناسبة في الوقت غير المناسب، فالبيان والكلمة لم يشيرا لا من قريب ولا من بعيد إلى المكالمة الهاتفية التي بموجبها ذهب الرئيس إلى منزل النائب بلا عودة خاصة مع وجود شهود عليها، كما تم التسريب إلى وسائل الإعلام العالمية بما أسموه الفضيحة؟! وقد سئل الشيخ سنان أبو لحوم في مقابلة صحفية مع صحيفة «الأيام» في العام 2001 عن ذلك اليوم فأجاب: «باختصار ذهب الحمدي إلى بيت الغشمي ولم يخرج».

يوم التشييع عبّر الشعب عن غضبه وحزنه برمي خليفته الرئيس الغشمي بالأحذية التي نال ربيّع الذي شارك في الجنازة نصيباً منها على أنغام سيمفونية حزينة صاخبة بصوت واحد تداخلت واختلطت فيها عبارتان: «أين القاتل يا غشمي؟!» «أنت القاتل يا غشمي؟!»

لم يهنأ الخلف بكرسي السلف فبعد أسبوع دخل عليه في مكتبه الرائد زيد الكبسي صديق إبراهيم الحميم الذي بدأ أولاً بمحاكمته،

ثم عندما همّ بإطلاق الرصاص عليه قاصداً قتله اختبأ الغشمي تحت الطاولة صائحاً بالحرس الخاص لنجدته فأردي الكبسي قتيلاً على الفور.

ثم قيام الرائد عبد الله عبد العالم قائد قوات المظلات بمحاولة تمرد فاشلة أواخر نيسان/إبريل 1978 كلف الرائد علي عبد الله صالح قائد لواء تعز بالقضاء عليها؟! ـ كان يطلق الحمدي على صالح وصف تيس الضباط، ولم يكن القصد الفحولة بقدر ما يعني العناد والإقدام، ولذا تجاوز به الإقدم منه في الرتبة والخدمة فرقّاه وعيّنه في فترة قصيرة في منصب هام ولمدينة إستراتيجية، قائداً للواء تعز وقائداً للقاعدة العسكرية خالد بن الوليد الذي أوصله في ما بعد إلى كرسي الرئاسة؟!.

في 24/ 6/ 1978 وبعد ثمانية أشهر في الحكم جاء مبعوث خاص للرئيس ربيّع الذي أقسم فوق جثة الحمدي بأنه سينتقم من القتلة في زيارة لها علاقة بمحاولة التمرد حاملاً رسالة للغشمي وحقيبة ملغومة أودت بحياة الاثنين وليلحق به ربيّع بعد يومين إعداماً بسبب تداعيات الحادث ومع أن الغشمي وبعد المتاعب الذي صادفها منذ اليوم الأول عزز من إجراءات الأمن بشكل مبالغ فيه، حيث ضم موكبه لأول مرة مصفحات عسكرية، إلا أنه في ذلك اليوم طلب أن يدخل إليه المبعوث الحاج تفاريش مباشرة وبدون تفتيش وكان دائم السؤال عنه وعن موعد وصوله أمام استغراب مدير مكتبه؟! ـ استقبله في المطار المقدم محمد خميس رئيس المخابرات والرائد علي الشاطر مدير التوجيه المعنوي ـ.

ـ بيان اغتيال رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة أحمد حسين الغشمي:

«بعد تولي الغشمي الحكم وبعد تعيين أعضاء مجلس الشعب التأسيسي تم تغيير شكل رئاسة الدولة من مجلس القيادة إلى رئاسة الجمهورية»، أذيع حوالي السابعة مساءً وكانت المفاجأة الفرحة التي عمّت الجميع ـ ليس مبالغة ولكنها الحقيقة ـ، لأن ربيّع انتقم من قتلة شريكه في مسيرة الوحدة، وقد أوضح الرئيس الأسبق علي ناصر محمد في حديث لمجلة «التضامن» في 15/ 8/ 1987 العدد رقم 227 بأن المبعوث قريب لصالح مصلح وزير الداخلية ـ الدفاع في ما بعد ـ صاحب فكرة اغتيال الغشمي، وأن ربيّع تردد كثيراً قبل الموافقة عليها، ولكن التنظيم السياسي الموحد للجبهة القومية الحزب الحاكم في الجنوب حمله المسؤولية كاملة، وبعد الرفض والمواجهة المسلحة تم إعدامه مع مجموعة من مؤيديه، والراوية التي انتشرت في الشمال قبل المقابلة مع علي ناصر تقول: «إن تهديد ربيّع بالانتقام من القتلة وصلت إلى عبد الفتاح إسماعيل الأمين العام للجبهة القومية الذي كان ربيّع رئيس مجلس الرئاسة الأمين العام المساعد له عن طريق أحد أعضاء الوفد المرافق، والذي كان يبحث عن فرصة وسبب للقضاء على ربيّع، وقد جاءته بعد الاتصال حيث تم تلغيم الحقيبة دون علم ربيّع لأن أصابع الاتهام ستتجه مباشرة إليه سواء تم الاغتيال أو اكتشفت الحقيبة، وعندما تمت العملية واتهمت وسائل الإعلام في الشمال مباشرة ربيّع بالوقوف وراءها، دعي ربيّع إلى إجتماع طارئ للمكتب السياسي للجبهة لتوضيح موقفه، وقد رفض الدعوة وأعلن التمرد الذي انتهى بإعدامه».

في 15/ 10/ 1978 قامت مجموعة من أصدقاء ومؤيدي الحمدي الناصريين مدنيين وعسكريين بمحاولة انقلاب فاشلة بتمويل من ليبيا ضد خليفة الخلف الرئيس علي عبد الله صالح بعد ثلاثة أشهر فقط من تسلمه الرئاسة مستغلين وجوده خارج العاصمة في زيارة تفقدية لمحافظتي الحديدة وتعز، وكان من ضمن الوفد المرافق للرئيس، عبد السلام مقبل وزير الشؤون الإجتماعية والعمل أحد قادة الانقلاب؟!.

ـ قالوا عن الحمدي:

«قضيت بعد ذلك ليلتين في مانيلا عاصمة الفيليبين تعرضت خلالهما إلى صدمتين الأولى أدبية والثانية معنوية. ففي صباح اليوم التالي لوصولي طالعت في الصحف نبأ مصرع الرئيس اليمني إبراهيم محمد الحمدي في ظروف غامضة وكان رحمه الله محبوباً من شعبه ومحل تقدير واحترام»[1].

منع في اليمن توزيع هذا الكتاب للسفير الغصين حامل الخمس جنسيات عربية: فلسطينية، مصرية، لبنانية، يمنية، كويتية، رغم قيمته التاريخية والوثائقية عن اليمن لأنه فقط فيه صورة للحمدي وتلك الأسطر عنه، الغصين الذي عمل مستشاراً خاصاً للإمام أحمد بن يحيى حميد الدين في منتصف الخمسينيات قبل الانتقال إلى الكويت، كان في طريقه إلى اليمن لتقديم أوراق اعتماده إلى الحمدي كسفير للكويت وبعد الاغتيال عاد إلى الكويت،

---

(1) السفير طلعت يعقوب الغصين صاحب كتاب «**خمس جنسيات والوطن واحد**»، 1981.

وتم تجهيز أوراق اعتماده التي سيقدمها إلى الغشمي للمرة الثانية. فتوفي أمير الكويت الشيخ صباح السالم فأعيد تجهيزها للمرة الثالثة من الحاكم الجديد الشيخ جابر إلى الرئيس الجديد الغشمي.

الجدير بالذكر أن المجموعة المحتجزة في مصر ضمت إبراهيم الحمدي رئيس اليمن فيما بعد (1974 ـ 1977) وصاحب الرؤية الناضجة في بناء الدولة المركزية في اليمن، وصاحب نظرة بالغة التقدير للدور المصري في اليمن ـ يقصد المؤلف مجموعة الوزراء والضباط الذين تم احتجازهم في القاهرة لمدة عام من أيلول/ سبتمبر 1966 إلى تشرين الأول/ أكتوبر 1967 بعد خلافهم مع المشير السلال. منهم من وضع في السجن الحربي كالحمدي والشيخ الأحمر والنعمان وغيرهم، والقاضي الأرياني وآخرون تحت الإقامة الجبرية.

إن الحمدي العضو السابق في حركة القوميين العرب حسب في فترة لاحقة على التيار الناصري كما ورد في كلمة لعبد الغني ثابت الأمين العام السابق للتنظيم الوحدوي الشعبي الناصري في الاحتفال بالذكرى الـ17 للحركة التصحيحية بأن الحمدي التقى القيادي البارز في التنظيم عيسى محمد سيف ـ وهو أحد قادة الانقلاب الناصري الفاشل ضد الرئيس صالح عام 1987 ـ في 25 نيسان/ إبريل عام 1976 وأنه أدى قسم الانضمام للحزب.

قورن سلوك الحمدي وخطواته بما قام به الرئيس الراحل جمال عبد الناصر[1].

---

(1) أحمد يوسف أحمد «الدور المصري في اليمن 1962 ـ 1967»، 1981.

1977/10/11 في ذلك اليوم لاقى الحمدي أغرب مقتل إذ سجلت الجريمة ضد مجهول لأول مرة في مقاتل الرؤساء، فقيل فيه عدة أقاويل كلها في صالح الحمدي إذ شيعت نعشه أكبر مظاهرة جماهيرية عرفتها صنعاء[1].

قاد مشاريع تنمية إقتصادية... وبدأ ينهج سياسة مستقلة عن السعودية خارجياً، وسياسة إنمائية مركزية معادية للقبائل داخلياً[2].

في 12 تشرين الأول/أكتوبر 1977 نقلت وكالة الأنباء نبأ مؤلماً: مصرع الرئيس اليمني الشمالي إبراهيم الحمدي 34 سنة وشقيقه المقدم عبد الله محمد الحمدي. الجريمة أحدثت ضجة في كل العواصم العربية هي الضجة التي يثيرها عادة اغتيال رؤساء الدول، وساعد على إعطاء الحادث حجمه السياسي أن المقدم الحمدي لم يكن رجل دولة عادياً فطموحه إلى بناء يمن معاصر كان طموح القادة التاريخيين، شاب أسمر يحب اليمن أكثر مما يحكمها، ويصل الليل بالنهار من أجل المستقبل في بلد لا يعرف طعم الراحة مات برصاصة، من حق اليمن أن يحزن.. فالحمدي بنى الجيش وأرسى كادرات الدولة الأولى، واستعان بالشرق والغرب معاً من أجل نقل دولة القبائل إلى حد أدنى من المعاصرة، ومن حق الذين يبحثون عن أسباب الاغتيال ودوافع الجريمة أن يبدأوا بطرح السؤال التقليدي: من يستفيد من غياب الحمدي؟[3]

---

(1) عبد الله البردوني، «**اليمن الجمهوري 1983**».
(2) د. عبد الوهاب الكيالي، «**موسوعة السياسة**». الجزء الأول 1985.
(3) هاني الخيّر، «**أشهر الاغتيالات السياسية في العالم**»، 1985.

كان الملك فيصل في بعض الأحيان يعبر عن عدم رضائه عن نظام الحمدي... وقد أثيرت مشكلة الحدود بين الدولتين في عهد الحمدي حيث تجدد الخلاف مرة أخرى عام 1974 بعد انتهاء مدة إتفاقية الطائف في العام 1934 وقد ظل الحمدي محتفظاً بعلاقاته مع الجنوب والمعسكر الإشتراكي، ولم يرضخ لضغوط المشايخ ورجال القبائل الموالين للسعودية بالتخلي عن تلك العلاقة، الأمر الذي دفع القيادة في السعودية لأن تدعو الحمدي للقاء سري في الرياض في آب/أغسطس عام 1977 بهدف مراجعة الموقف اليمني معه، فقد كانت العلاقة بين الدولتين تمارس على مستويات مختلفة وتتأرجح بين التقارب والتباعد، وقد قيل أن وجهات النظر بين البلدين كانت متباينة أثناء تلك الزيارة وأن الخلاف اشتد عندما أصرت السعودية على اقتطاع جزء من الأراضي اليمنية وضمها إلى السعودية[1].

في هذه الأثناء كانت زيارة الرئيس اليمني إبراهيم الحمدي لباريس، كان ذلك في شهر تموز/يوليو 1977، وأبدت الحكومة الفرنسية اهتماماً كبيراً بالزائر الشاب ولاسيما أنه مستعد لإجراء إتفاقات تجارية وعسكرية مع الدول الغربية... في تشرين الأول/أكتوبر 1977 وجد الرئيس اليمني إبراهيم الحمدي مقتولاً مع شقيقه عبد الله وكان إلى جانبهما شابتان فرنسيتان مقتولتان أيضاً، الصحافة الفرنسية تحاول إعادة فتح الملف، فقد تكون

(1) خديجة الهيصمي، «العلاقات اليمنية ـ السعودية 1962 ـ 1980»، 1988.

هناك أكثر من جهة مخابراتية ذات علاقة بالموضوع. . مخابرات دول شرقية وغربية غير المخابرات الفرنسية؟!»[1].

قتل خصوم رئيس الجمهورية العربية اليمنية الرئيس إبراهيم الحمدي ومعه شقيقه، ثم قتلوا فتاتين فرنسيتين في الشارع وألقوا جثتيهما مع جثتي الحمدي وشقيقه، وجاء قاضي تعز وآخرون ليشهدوا أن الرئيس وشقيقه قتلا في حادث نسائي مشبوه وأن ذلك من غضب الله[2].

من مكتب صغير في مبنى القيادة العسكرية كان الحمدي يقود اليمن، كان يعمل ويأكل وينام في المكتب الصغير، وقلت له يومها أنني صحافي أبحث عن الحقيقة فيما يجري في اليمن؟ وتحدث الرجل يومها طويلاً عن واقع اليمن المؤلم الذي عايشه وغاص فيه حتى النخاع، وأسهب طويلاً في الأسباب التي دعته إلى الثورة على حكم الرئيس الأرياني الذي يكن له كل التقدير، وامتد بنا الحديث يومها بينما الظلام يلف صنعاء كلها ليفتح الرجل قلبه ويفكر كما يقولون بصوت عالٍ حول ما يرجوه لليمن وحول أحلامه للخروج من حلقة التخلف المطبقة عليه، ومن دوامة النزاعات القبلية التي شلت حركته، ومن دائرة الأطماع الخارجية التي تتنازعه يميناً ويساراً، شرقاً وغرباً، تقدماً وتخلفاً، وكان الحمدي كريماً معي فلم يكتف بأن أكون أول من يجري

---

(1) نهاد صوراني، مجلة «الدولية» 19/5/1993.

(2) الياس البيطار، «نذالة السياسة وسياسة النذالة»، صحيفة «المستقبل» الكندية، 23/2/2000.

حديثاً صحفياً معه بعد الانقلاب 19/ 6/ 1974، بل أعطاني بعض الوثائق والرسائل التي تبادلها مع الرئيس الأرياني والتي تلقي ضوءًا على حقيقة ما جرى ويجري في اليمن وقتها، واغتيل الحمدي، قتل غدراً وقتلت معه طموحاته الحالمة وأحلامه الطموحة، كان رجلاً صاحب قضية أخلص لها من البداية إلى النهاية[1].

وظهرت فيما بعد الطبيعة المتوازنة للسياسة الخارجية في تعزيزها على أكثر من خط وخاصة فرنسا والإتحاد السوفيتي كطرفي يمين ويسار في العالم، وهذا يخالف ما يطرحه البعض عن الطبيعة المتطرفة ليسارية الحمدي، وهي التهمة التي كانت موجهة إلى سالم ربيّع علي أيضاً، والتي بسبب عكسها تماماً في ما بعد استهدفته السياسة السوفيتية وقضت عليه وتتلافى ذكر اسمه في كل أدبياتها وتوثيقاتها المتواصلة للحياة السياسية الدولية والإقليمية والمحلية، وهي الحقيقة التي دفع الزعيمان حياتهما ثمناً لها ولكونهما قد مثلا فرصة متجانسة ونادرة أمام الشعب اليمني في سبيل الوحدة والتحرر والتنمية[2].

عادة مألوفة في اليمن كما هي في معظم دول العالم الثالث أن يغطي العهد الجديد لوحات أحجار الأساس لمشاريع نفذها

(1) يحيى حمزة، مجلة «الوحدوي» الصادرة عن جبهة 13 يونيو للقوى الشعبية اليمنية، حزيران/ يونيو 1983، نقلاً عن صحيفة «الأنباء» الكويتية.

(2) «التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية»، أليناك جلوبوفسكايا، عرّبها محمد صالح الحاضري تحت عنوان «ابراهيم الحمدي والحركة التصحيحية بعيون روسية»، صحيفة «الوحدوي» 1995.

العهد السابق حتى وإن كانت هامة وحيوية بأحجار أخرى، أو بعدم الإشارة إلى صاحب الفضل في الحصول عليها مع إن الفضل نفسه بل وأكثر يعود إلى من أخرجها إلى الوجود كما حدث عند افتتاح المدينة الرياضية بصنعاء في 1984/12/25 هدية كيم أيل سونغ وحكومة كوريا الشمالية أثناء زيارة الحمدي لبيونغ يانغ أواخر كانون الأول/ديسمبر عام 1976، ومشروع سد مأرب في 21/ 12/ 1986 وقد بلغت تكاليفه 90 مليون دولار ونفذته شركة تركية، وحضر حفل الافتتاح إلى جانب الرئيس صالح الشيخ زايد ورئيس الوزراء التركي تورغوت اوزال والرائد الخويلدي الحميدي عضو القيادة الليبية، وغيرها من المشاريع التي افتتحت بعد رحيله أو الأفكار التي تم تطبيقها أو العادات التي تم الاستمرار عليها، كفكرة تأسيس المؤتمر الشعبي العام الذي رأس الحمدي إجتماعاً للجنته التحضيرية قبل اغتياله بأيام ـ كان من المقرر أن يعقد المؤتمر في تشرين الأول/أكتوبر عام 1977، ولكنه عقد بعد ذلك في آب/أغسطس عام 1982، أو الأمسيات الرمضانية التي كان يلتقي فيها بقطاعات مختلفة من المجتمع اليمني وغيرها وغيرها، واعتبر طابع البريد الذي صدر بمناسبة أربعينية رحيله آخر ما تبقى له من ذكرى ولعهده من وجود!.

أطلق الكثير من الآباء على أولادهم الذين ولدوا في تلك الفترة اسم إبراهيم. وأطلق اسمه على شارع في العاصمة مقديشو خلال زيارة له إلى الصومال.

ـ من أقواله:

«لسنا حكاماً عليكم بل خداماً لكم».

«نحن والجنوب شعب واحد اسمه اليمن، ومهما كانت الجراح أحياناً فالمسؤولية تحتم التغلب عليها من واقع حرصنا على مصالح الشعب اليماني الواحد في شطري اليمن، وأملنا في تحقيق هذه الوحدة كبير والموضوع هو العامل الزمني». ألقاها في 2/ 7/ 1975.

«الوحدة اليمنية مطلب أساسي لكل يمني وسنعمل من أجل تحقيقه». 11/ 1/ 1976.

«إن عملاً واحداً في الميدان لا تساويه ألف كلمة في الميزان».

«التجريب بالمجرب (الفاسد) خطأ والتصحيح بالمجرب خطأ مرتين».

ـ من خطاباته:

أيها الإخوة المواطنون الأحرار:

لاشك في أنكم قد تابعتم وعلمتم الموقف وتطوراته سواء من خلال الأحاديث اليومية المتداولة من قبل حدوث الأزمة بأيام قليلة أو من خلال البيان الأول لمجلس القيادة الذي أذيع عليكم بعد انفجار هذه الأزمة السياسية المؤسفة... إن الجو السياسي في بلدنا قد تعكر وامتلأت سماؤه بغيوم كثيفة، وإن تبايناً في وجهات النظر قد ظهر وبحدة حتى سحب نفسه على أوضاع البلاد العامة، وجعل الفساد الإداري والمالي يستشري بصورة واضحة وكاد الانفلات والاستهتار بالمسؤولية يشملان أجهزتنا ومؤسساتنا المختلفة، الأمر

الذي حدا بسيادة القاضي عبد الرحمن الأرياني وزملائه في المجلس الجمهوري إلى تقديم استقالتهم إلى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر بصفته رئيساً لمجلس الشورى، والذي قام بدوره فأرسل إلينا باستقالته مع استقالة رئيس وأعضاء المجلس الجمهوري، ولأن الموقف قد وصل إلى هذا الحد الذي يصعب معه الإقناع بالعدول عن الاستقالة وتسوية الأزمة... كان لابد من أن نواجه المسؤولية ونتحمل العبء حاسبين للمتاعب والصعوبات حسابها[1].

أيها الإخوة المواطنون:

إننا لا نريد ولن نرضى أبداً أن يذهب مسؤول ليحل محله مسؤول آخر، والصورة تبقى هي الصورة، والوضع يبقى هو الوضع، وأن يكون نصيب الشعب دائماً هي الوعود التي لا تحقق... وأن على كل مسؤول صغير أو كبير أن يقدر ويحترم ثقة الشعب وأن يفي بكافة واجباته والتزاماته تجاه هذا الشعب[2].

أيها الإخوة المواطنون:

إن حركة الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر 1967 التي قام بها القاضي الأرياني ضد المشير عبد الله السلال التصحيحية قد سارت في الطريق الذي رسم لها، وهي بطبيعة الحال مجرد حركة تصحيح لمسار الثورة، وقد قطعت والحق يقال أشواطاً لا يستهان بها بعد المصالحة الوطنية عام 1970 بين الجمهوريين المدعومين من مصر والملكيين المدعومين من السعودية وانتشار السلام والأمن

---

(1) جزء من بيانه السياسي الأول في 15/6/1974.

(2) جزء من خطابه في 23 /6/ 1974.

والاستقرار ملء ربوع بلادنا في مختلف المجالات وفقاً للإمكانيات المتاحة[1].

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله . . .

أيها الإخوة المواطنون الأحرار في داخل الوطن، أو في مهاجركم، تحية الثورة والحب والإخاء تحية التصحيح والبناء والتطوير أزفها إليكم مقرونة بأجمل التهاني سائلاً من الله سبحانه أن يوفقنا إلى ما فيه الخير . . .

أيها الإخوة المواطنون:

يسعدني ويشرفني أن أتحدث إليكم بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لثورتنا الظافرة ثورة السادس والعشرين من سبتمبر . . . ولست أيها الإخوة أعتبر هذه المناسبة العظيمة هي الوحيدة للالتقاء بكم والحديث إليكم، فأنا على لقاء دائم بكم بقلبي ومشاعري ومن خلال المناسبات التي تتيحها لنا مختلف المؤسسات والهيئات، لكنني أغتنمها أسعد فرصة للحديث إليكم بقلب مفتوح وأطرحكم في الصورة أمام قضايانا المتعددة، وكل ما يجري اليوم في بلادنا على كافة المستويات إقتصادية وإنمائية وإجتماعية وسياسية.

أيها الإخوة الأحرار:

ليس عسيراً على المسؤول أن يتحدث إلى الجماهير . . . ويروي لهم أحلامه وتطلعاته نحو بناء حياتهم وحياة أبنائهم مستقبلاً فأيسر ما يكون هذا الكلام النظري لكن من الناحية العلمية تأتى الصعوبة.

---

(1) جزء من خطابه عشية الذكرى الـ 12 للثورة في 25/ 9/ 1974.

نحن أيها الإخوة. بعد مرور ثلاثة أعوام على حركة الثالث عشر من يونيو التصحيحية وبعد خمسة عشر عاماً مضت على قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الظافرة اكتسبنا تجربة لا يمكن التقليل منها مكّنتنا من أن ننظر على قضايانا داخلية وخارجية نظرة واقعية ونتعامل معها بمنطقية ونسميها بأسمائها الصريحة والواضحة.

نحن اليوم بعد أن مررنا بكل التجارب والظروف حلوها ومرها مستهدفين خدمة وطننا وأمتنا، نجد أنفسنا كمسؤولين على مستوى القيادة السياسية والقيادات التنفيذية مدنية وعسكرية أمام قضايا كبيرة بدون البناء على رمل أو كالذي يقبض كفه على الماء من الذي لا شك فيه ولا ارتياب هو أن أهم قضايانا التي يجب أن نجند أنفسنا جميعاً لخدمتها هي قضية التنمية ذات التخطيط والبرمجة، هذه القضية التي ظلت مطروحة على الرف طوال الأعوام التي تلت الثورة إلى أن قامت حركة الثالث عشر من يونيو التصحيحية التي وضعت على رأس برنامجها التصحيحي الثورة في مختلف المجالات التنمية بكل ما لكلمة التنمية من معنى التنمية البشرية. . التنمية الإقتصادية.

أيها الإخوة. . . إنني اليوم عندما أتحدث عن هذه القضية أطرح أمامكم موضوعها وما أمكن التوصل إليه بشأنها إنما لأضع المقارنة بين ما كنا عليه وما نحن عليه اليوم، وليس هذا تقليلاً من شأن المنجزات التي تحققت عفوياً وبدون برمجة ولا تخطيط من بعد

قيام ثورتنا الظافرة وإنما من قبيل توضيح ما للبرمجة والتخطيط من أهمية في تحقيق الكثير والكثير من المنجزات.

قامت الثورة أيها الإخوة المواطنون وكنا نتصور أنه بمجرد اقتلاع الإمامة من جذورها ستنتهي كل المعضلات والمشاكل، ولم يكن في بال أحد ما تعنيه قيام الثورة من تغيير، وما يتطلبه من جهد وتضحيات من أجل ترسيخ اليقين الثوري في النفوس من ناحية، ومن ناحية ثانية ما ينبغي عمله في سبيل تجنيب الشعب معركة الصراع، ولأن بعض المسؤولين من بداية قيام الثورة إلى أعوام تلت ذلك ظلوا يتمثلون الثورة مناصب ومراكز حتى ولو كان ذلك على حساب الثورة ومبادئها الستة الخالدة فإن العقم كاد يدرك ثورتنا، وكادت الشيخوخة تدب في كيانها. . . وهذا ما أدركته حركة الثالث عشر من يونيو فرسمت خط سيرها التصحيحي على تصور وتمثل المسؤولية الوطنية بعيداً عن صراع المصالح والنفعية والارتزاق وممارسة ضروب العمالة.

أيها الإخوة المواطنون أينما كنتم وحيثما تكونون، لقد تلخصت ثورتنا الظافرة في مبادئها الستة الخالدة والتي يأتي في مقدمتها بالمعنى بناء المجتمع اليمني بعد زوال الإمامة على أساس من العدل وتكافؤ الفرص وصولاً إلى تحقيق بقية الديمقراطية الحقة في ظل المبادئ وإلى تحقيق نظام جمهوري عادل له ضوابطه وله في نفس الوقت المدلول الوطني الشامل، وفي سبيل ذلك أيها الإخوة ركزنا على نقطتين أساسيتين لخدمة المبادئ الستة لثورتنا الظافرة. . .

النقطة الأولى:

تصحيح ما هو قائم بحيث يصح عليه البناء الفوقي.

النقطة الثانية:

هي التخطيط والبرمجة في توجه الدولة نحو التنمية الإقتصادية والبشرية والإجتماعية بحيث يتأتى لنا كدولة وكشعب أن ندخل من الأبواب الفسيحة إلى ما في هذا القصد من ظواهر تقدم وحضارة ونتعامل مع النافع منها لصالحنا وفق مبادئ ثورتنا إصلاحياً وإقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً.

أيها الإخوة:

والآن نخرج بالحديث عن قضايانا وأوضاعنا الداخلية إلى موضوع سياستنا الخارجية وعلاقاتنا بمن حولنا وموقفنا على الصعيد القومي ومن القضايا الدولية والإنسانية العادلة أنه مما لا جدال فيه أن السياسة الخارجية لأي دولة تأتي انعكاساً لسياستها الداخلية وتوجه القيادة السياسية العليا فيها، وسياستنا الخارجية منذ حركة الثالث عشر من يونيو لم تخرج عن هذه القاعدة. إن علاقاتنا بأشقائنا جميعها هي علاقات الأخوة والمحبة والتعاون المثمر لما فيه خير أمتنا العربية والإسلامية ولما يخدم المصالح الوطنية العليا المشتركة، وقد زاد هذه العلاقات الأخوية رسوخاً ومتانة نهجنا السياسي المتزن داخلياً، وتعاملنا المرن مع إخواننا الأشقاء النابع من إيماننا بأننا جزء من الأمة العربية والإسلامية، ما يؤلمها يؤلمنا وما يسيء إليها يسيء إلينا وما ينفع أو يخدم قضاياها يخدمنا ومواقفنا ثابتة بالنسبة لقضية الشعب العربي الفلسطيني وحقه

المشروع في إقامة دولة فلسطينية على أرض فلسطينية، وبالنسبة للقضايا القومية المصيرية الأخرى نحن مع كل قضية عربية عادلة ولا نتردد إطلاقاً كلما طلبت منا البذل والتضحية، ولاشك في أننا في هذا العام بالذات قد قمنا بدورنا في المجال القومي خير قيام وأخذنا المبادرات وكسبنا ثقة الأشقاء بنا، أما علاقتنا بالأصدقاء فإنها قائمة على أساس الاحترام المتبادل أولاً والتعامل النزيه ولخدمة المصالح المشتركة ثانياً ولا نفرق بين صديق وصديق فنحن نمد أيدينا نظيفة بيضاء للتعامل مع الأصدقاء جميعاً منطلقين من مبدأ حددته ثورتنا الظافرة ذلك هو التعاون مع كل الدول بحياد وعدم انحياز، ولخيرنا ومصلحتنا وخيرهم ومصالحهم. . . ونؤيد كل دعوة إلى الخير والسلام والأمن والاستقرار في العالم كله مؤمنين بأن التعايش بسلام بين البشر هو الأصل وأن الصراع الاستعماري على المصالح هو مبعث الشرور والدمار.

أيها الإخوة المواطنون:

في الختام ارفعوا معي أيديكم دعاءً وترحماً على شهدائنا الميامين الأبرار. كما أرجو أن نرفع أيدينا دعاءً وترحماً على أولئك الشهداء الأبطال من أبناء مصر الذين كتبوا بدمائهم آيات البطولة على هذه الأرض مدافعين عن ثورتنا ونظامنا الجمهوري الخالد فلهم من الله المغفرة والرحمة وحسن الثواب ولمصر الفخر بهم ولهم علينا أبداً ودائماً أن نظل أوفياء أمناء على ثورتنا التي ساندوها ونظامنا الجمهوري الذي أعانونا على ترسيخه وإنتصاره[1].

(1) أجزاء من آخر خطاب له عشية عيد ثورة أيلول/ سبتمبر في 25/ 9/ 1977.

أيها الإخوة. . . وفقكم الله ورعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

ـ كيف أصبح إبراهيم الحمدي ناصرياً؟

رغم مرور عقود من الزمن إلا أن اليمنيين لا يزالون يذكرون باعتزاز أقل من ثلاث سنوات حكم فيها شطر البلاد الشمالي الرئيس إبراهيم الحمدي حيث تمكن من القضاء على الفساد وأوقف المواجهة بين الشطرين وتوصل إلى إتفاق على إعلان الدولة اليمنية الواحدة قبل أن يغتال ليلة سفره إلى عدن لإعلان الوحدة.

مثلت فترة حكم الرئيس الحمدي تحولاً جذرياً في الأوضاع السياسية والإقتصادية ومع ذلك فإن الغموض لا يزال حتى الآن يكتنف العلاقة التي جمعته بالتنظيم الناصري في البلاد. فمن يقول أن الحمدي سخر التنظيم لأغراضه وآخرون يقولون أن الناصريين استطاعوا استقطابه والوصول إلى الحكم. . ما هي حقيقة العلاقة التي جمعت الطرفين وكيف اغتيل الحمدي وما هي تفاصيل الإتفاق الذي كان مقرراً بموجبه إعلان يوم 14 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1977م عن قيام الجمهورية اليمنية. القيادي الناصري عبد الله سلام الحكيمي رئيس تحرير صحيفة «13 يونيو» سابقاً «26 سبتمبر حالياً» الناطقة بلسان الجيش ورئاسة الجمهورية آنذاك. شاهد على ما جرى، وهو يتحدث عن تلك الفترة.

---

(1) نُشرت هذه الصفحات حصيلة خمس سنوات من البحث على ثلاث حلقات في صحيفة **«المستقبل»** الكندية الأسبوعية في شهر شباط/ فبراير 2002، وهو مقتطفات من كتاب بعنوان **«الرئيس اليمني الراحل إبراهيم الحمدي أمة في رجل»**.

*** ماذا دار في حواركم مع الرئيس الحمدي. . وماذا كانت شروطه وشروطكم؟**

ـ لم يكن حواراً بل بالأصح علاقة نشأت بين الناصريين والرئيس إبراهيم الحمدي، بدأت وتواصلت لفترة زمنية تمتد إلى ما يقارب العامين، واتخذت صوراً عديدة منها ما هو مباشر وغير مباشر، وعملي ونظري، موارب وواضح، وكلها، كان لها هدف واحد يتمثل بفتح قنوات اتصال وخلق تفاهم يفضي إلى تأسيس علاقة ما مع حركة 13 حزيران/يونيو عام 1974م التصحيحية وقائدها. ومن المهم أن أوضح الدوافع التي أقنعتنا بالعمل من أجل إقامة مثل تلك العلاقة فقد كانت المعلومات التي توفرت لدينا، بمتابعة وتحليل شخصية الحمدي وتوجهاته والمشروع الذي يحمله، استخلصنا منها أنه كان يمثل، بشخصه نموذجاً متميزاً تتوفر لديه مواصفات القيادة المقتدرة من بين تركيبة مكونات الصف القيادي الأول في مؤسسة الحكم السابقة لحركته وكان واضحاً على نطاق واسع تمتعه بدرجة كبيرة من الطموح والذكاء وأنه صاحب مشروع وطني عام ولم يكن اهتمامه محصوراً على النطاق الذاتي الشخصي الضيق.

والرجل وبرغم كونه عسكرياً فقد كان قارئاً ومواظباً ذا شخصية مثقفة واعية، على خلاف الغالبية الساحقة من ضباط وقادة الجيش والأمن.

وكان حريصاً على إجراء اتصالات ولقاءات مع أعداد مختارة من المثقفين والسياسيين البارزين على اختلاف توجهاتهم منذ فترة

طويلة سابقة لقيامه بحركته، أضف إلى ذلك أنه أقام صلات وثيقة ومنذ وقت مبكر بقيادات مهمة في «حركة القوميين العرب» و«الحزب الثوري الديمقراطي» الذي قام على أنقاضها وورثها أواخر الستينيات، إضافة إلى علاقات بالأحزاب السياسية ذات التوجه اليساري والتي شكّلت فيما بعد إطاراً سياسياً واحداً يضمها جميعاً تحت اسم «حزب الوحدة الشعبية» الذي أصبح بعد ذلك جزءاً من «الحزب الإشتراكي» وفرعاً له في الشطر الشمالي من الوطن. وكل استنتاجنا عن شخصية الحمدي الفكرية والسياسية أشارت إلى أن صلاته الوثيقة بتلك الأحزاب وخاصة «حركة القوميين العرب» ساهمت إلى حد بعيد في تشكيل فكره السياسي وبالذات ما يتعلق بالتوجه القومي وتعميق إيمانه بقضية العدالة الإجتماعية. وغير ذلك من القضايا والمفاهيم التغييرية المعاصرة.

لهذه الأسباب وغيرها كانت قناعتنا راسخة بأهمية إقامة علاقات تفاهم وتعاون مشترك بيننا وبين الرئيس إبراهيم الحمدي، ازدادت القناعة ترسخاً وساد في أوساط غالبية قياديينا وكوادرنا التنظيمية شعور بأهمية وضرورة قيام مثل تلك العلاقة.

*** هل أفهم من هذا أنكم قد اتخذتم قراراً بذلك؟**

- الشعور العام الذي ساد لدى الغالبية الساحقة من قياديينا وكوادرنا، كان تلقائياً وفردياً ولم يتبلور كرأي إذ وقف الناصريون إلى جانب حركة يونيو بالتأييد والمساندة والتأصيل للحركة إعلامياً وسياسياً مع التركيز على المستوى الإعلامي. ونهض بمسؤوليات وأعباء ومهام هذه المرحلة عدد محدود من الكوادر الذين كان لهم

كتابات صحفية آنذاك وفي مقدمتهم عمر الوصابي والمثقف البارز الراحل مطهر حسان وأنا ومعنا عدد محدود جداً من الكتّاب الشباب.

*** لكنك قلت إن ما تم لم يكن بشكل منظم أو ناتج عن قرار؟**

- الدور الإعلامي كان بمبادرات فردية ولم يكن تنفيذاً لتوجه حزبي بل كان بدافع من ذلك الشعور العام الذي أشرت إليه.

تلك الكتابات كانت تتسم بطابع جديد مختلف إلى حد كبير عن الكتابات والمقالات التقليدية المواكبة والمؤيدة للحركة والتي يغلب عليها السطحية والروتينية حيث تميزت بقدر عميق من الرؤية والمضامين الملتزمة بخط ونهج سياسي متكامل يسعى إلى إبراز رؤية سياسية شاملة لمطلب التغيير والبناء الوطني المتكامل أمام حركة 13 يونيو، وهو ما شد أنظار سائر الأحزاب والقوى السياسية القائمة في الواقع شمالاً وجنوباً بل وحتى قيادة حركة يونيو نفسها، وولد إحساساً بأن ما تطرحه تلك الكتابات إنما يعبر عن رؤية والتزام حزبي سياسي تجاه سلطة حاكمة تمثله وتعبر عنه وهو ما جعل قيادة الحركة مستغربة تتساءل عن هؤلاء الذين يتولون التغطية الإعلامية السياسية المتميزة والمقتدرة ويقفون إلى جانبها، من هم؟ ما هي توجهاتهم وانتماؤهم؟ ماذا يريدون؟ ما هي دوافعهم وأهدافهم؟ وغير ذلك من التساؤلات حيث لم تكن هناك اتصالات أو علاقات أو حتى معرفة بين هؤلاء الكتاب كأشخاص أو من يمثلونهم سياسياً وبين قيادة الحركة بشكل عام أو بعض أعضائها بشكل خاص.

وإلى جانب هذا الدور والنشاط الصحفي الإعلامي السياسي فقد كان هناك أيضاً نشاطات وفعاليات نقوم بها على الصعيد الجماهيري السياسي لتعبئة وحشد التأييد والمساندة الشعبية لحركة 13 يونيو مثل تنظيم فعاليات ومهرجانات طلابية وقبلية وشعبية في بعض المدن وتبني مواقف مؤيدة ومساندة للحركة وهكذا.

*** وماذا تم على الصعيد الحزبي السياسي تحديداً؟**

- في مرحلة لاحقة كان الهدف تحقيق اقتراب أكثر مع قيادة الحركة وفتح قنوات اتصال مباشرة ليس بين قيادة الحركة والتنظيم الناصري وإنما بينها وبين مجموعة من الأشخاص المتحمسين لحركة يونيو ونهجها ومن أولئك الذين تولوا أعباء المحطة الأولى على المستوى الإعلامي والسياسي. وبالفعل تم فتح أول قناة غير رسمية للاتصال والحوار مع قيادة الحركة من خلال الرائد عبد الله عبد العالم عضو مجلس القيادة وقائد قوات المظلات آنذاك، والذي كان منتمياً للتنظيم الناصري منذ بداية الستينيات ولفترة قصيرة من الزمن انتهت بعدها أية علاقة تنظيمية تربطه بالتنظيم.

وقد تولى عبد السلام محمد مقبل ومعه حسين محمد عبد العزيز الخامري مهمة البدء بهذه المرحلة ثم توسعت الدائرة لتشمل إلى جانبهما عمر الوصابي ومطهر حسان وسالم السقاف وأنا. وبما أن عبد الله عبد العالم كان ناصرياً قديماً فقد اتخذ حوارنا معه بصفتنا مجموعة من الشباب الوطني المتأثر بالتجربة الناصرية ونحن نمثل جزءاً من تيار شعبي عام في اليمن معجب بالناصرية ومتأثر بها لكنه تيار عام غير مؤطر أو منظم إلا أن تلك المحاولات فشلت

وانتهت. وكنا في هذه المرحلة حريصين على عدم ترك أية شكوك أو استنتاجات أو مؤشرات تنبئ عن حقيقة انتمائنا أو تمثيلنا لأي شكل أو إطار حزبي قائم بالفعل ولعل ما ساعدنا على النجاح في تأكيد هذه الحقيقة أن كل الأحزاب والقوى السياسية القائمة في الساحة آنذاك بالإضافة إلى الأجهزة الأمنية الرسمية متفقة على رؤية وتقييم واحد تجاه الناصريين على أنهم بمثابة تيار عام غير منظم حزبياً.

*** هل هذا مؤشر على مخاوف كانت لديكم؟**

ـ ما كنا نريده هو السعي لنكتشف على وجه الدقة ما إذا كانت 13 يونيو التصحيحية قامت مستندة على تنظيم حزبي أو إطار سري منظم أم لا؟ وإذا كانت مستندة على تنظيم سري فهل هو عسكري صرف أم عسكري ومدني؟ وإذا ما كان موجوداً فما هي أيديولوجيته وبرنامجه؟ أي أن مهمة هذه المرحلة كانت استكشافية لا أكثر.

ولهذا فقد تمحور حوارنا مع قائد المظلات على قضية جوهرية هي التوضيح وخلق القناعة بأن كثيراً من التجارب الإنسانية السياسية المعاصرة تؤكد على حقيقة إن أي حركة تغييرية جادة وشاملة تملك مشروعاً وطنياً للتغيير والبناء أما أنها قامت بالاستناد على قوة سياسية منظمة أو حزب منظم سلفاً أو أنها وجدت نفسها في أمس الحاجة إلى إقامة وتأسيس مثل ذلك التنظيم، وإن حركة 13 يونيو من أجل إيجاد أقصى الضمانات لحمايتها وبقائها ونجاحها في تنفيذ مشروعها الوطني التحديثي هي في أمس الحاجة بل والضرورة القصوى لإقامة قوة سياسية في إطار حزبي منظم يكون أداتها في

التغيير وحلقة الوصل بينها وبين جماهيرها ووسيلتها لحشد وتعبئة قوى الشعب وتوظيفها بشكل منظم. وأكدنا في نهاية حوارنا على أننا في حالة ما إذا كانت الحركة تملك أداتها وإطارها التنظيمي الخاص بها فإننا على استعداد لتوظيف وضم جهودنا وطاقاتنا إليه، وإذا لم يوجد مثل ذلك الإطار المنظم فنحن على استعداد للتعاون مع الحركة والإعداد والتهيئة لإقامته وتأسيسه.

وحوارنا في هذه المرحلة كان مقتصراً في مجمله على عبد الله عبد العالم الذي كان يقوم مباشرة بإطلاع الرئيس الحمدي أولاً بأول على مضامين ومجريات ذلك الحوار ويتلقى منه التوجيهات الضرورية.

وفي نهاية المطاف أبلغنا بأن الحركة لا تملك مثل ذلك التنظيم وإن كان لها شبه تنظيم يقتصر على قادة وحدات عسكرية وكبار الضباط.. وعليه توصلنا إلى إتفاق بالشروع في التمهيد والإعداد لتأسيس تنظيم سياسي وبدأنا بالفعل في إعداد مشروع البرنامج السياسي والنظام الأساسي.

وفي المرحلة اللاحقة شهد خطابنا المؤيد للحركة مستوىً ملحوظاً من التصعيد والتوسيع وشاركت فيه لأول مرة رابطة طلاب اليمن شمالاً وجنوباً في مصر والتي كانت خاضعة لسيطرة الناصريين عبر المهرجانات الطلابية وإصدار البيانات للحركة وقائدها وكانت هذه الرابطة المنبر السياسي الأبرز والمعبر عن الناصريين إضافة إلى عدد من الروابط الطلابية اليمنية الخاضعة لسيطرة الناصريين في بعض الدول العربية والأجنبية بالإضافة إلى الحركة في أوساط فئات

المجتمع ومنظماتها النقابية والأندية والإتحادات الطلابية والعمالية والقبائل والمغتربين والتعاونيات الأهلية للتطوير ولجان التصحيح المالي والإداري وغيرها.

وقد أعقب ذلك وبعد أن وصل الحوار ذروته خطوة نوعية كبيرة وحاسمة إلى الأمام وهو خطوة لم تعتمد في أسلوبها على التقرب غير المباشر والموارب والمموه بل اعتمد على أسلوب مباشر وواضح ومكشوف. وقد لعب الدور الأكبر فيها وقادها عيسى محمد سيف شخصياً بعد عودته من القاهرة حيث سبق له إجراء حوار سياسي علني بين الرئيس إبراهيم الحمدي خلال السنة الثانية من عمر حركة 13 يونيو في احتفال ومهرجان خطابي كبير أقامته في القاهرة رابطة الطلاب اليمنيين في مصر بمناسبة عيد ثورة 26 أيلول/ سبتمبر وصادف وجود الرئيس الحمدي هناك في زيارة رسمية لمصر ووقتها قرر الحضور والمشاركة في ذلك الاحتفال وقد أبدى إعجاباً كبيراً بشخصية عيسى وسعة ثقافته وقدرته السياسية وأعطاه رقم هاتفه الخاص في مكتبه بالقيادة العامة بصنعاء طالباً منه فور عودته إلى صنعاء الاتصال به واللقاء معه. وكان عيسى على علم ومتابعة بمجريات ونتائج الحوارات وكان يعرف عبد الله عبد العالم معرفة تنظيمية مباشرة، فهو من تولى أو شارك في عملية استقطابه وضمه إلى التنظيم الناصري أوائل الستينيات في حين لم نكن نحن الذي تولينا إدارة الحوارات خلال المرحلة الأولى على معرفة شخصية أو تنظيمية مباشرة بعبد الله عبد العالم.

وهكذا وعلى أثر عودة عيسى محمد سيف إلى صنعاء إلتقى

عبد الله عبد العالم وطرح له حقيقة الأمر بشكل واضح ومباشر، ثم التقى بالرئيس الحمدي بمكتبه بالقيادة العامة للقوات المسلحة لقاءً مطولاً استمر حوالي ثلاث ساعات، دار الحديث خلالها حول جملة من القضايا السياسية والفكرية والأوضاع الوطنية والقومية وتحدثا عن هموم ومشاكل ومعوقات التغيير والعمل الوطني وشروطه وضماناته وغير ذلك من القضايا وفيه أوضح عيسى للرئيس الحمدي لأول مرة وبشكل مباشر وصريح وجود تنظيم ناصري في اليمن يعمل منذ أوائل الستينيات مقدماً صورة عن طبيعته ونطاق حركته وفكره وتوجهاته وغير ذلك من الجوانب الرئيسة العامة، ومؤكداً بأن الهدف الأساسي من وراء هذا التنظيم هو تغيير الواقع السلبي السيئ المعاش وإنه ليس مهماً لدينا أن تتحقق تلك الأهداف والتطلعات من خلالنا وحدنا وإنما نهتم بتحقيقها على الواقع بصرف النظر عن الجهة أو القوة السياسية التي تحققها ومن واجبنا الوقوف والتأييد لكل جهد واتجاه نحوها. ومن هذا المنطلق فنحن نعتبر حركة 13 حزيران/ يونيو صاحبة مشروع لا يختلف عن أهدافنا ونشعر بأننا نقف في خندق واحد وينتظم في مسيرة واحدة ولهذا وقفنا معها وأيدناها بكل ما نستطيع منذ بدايتها ونحن نشعر بأهمية وضرورة أن تتوحد جهودنا وتتضافر قوانا في إطار وعمل واحد لتحقيق أهدافنا وغاياتنا المشتركة الواحدة كاشفاً له خلفية وحقيقة ما قمنا به من خلال المرحلتين السابقتين من حوارات والأهداف التي توخينا تحقيقها من ورائها.

وبعد هذا اللقاء توالت سلسلة من اللقاءات والحوارات الجادة والإيجابية بين الحمدي ومعه عبد الله عبد العالم من جهة وبين

عيسى محمد سيف ومعه عدد محدود من قيادة التنظيم الناصري وفي إطار التكتم والسرية كانت تعقد أحياناً في منزل عبد الله عبد العالم وأحياناً قليلة في منزل الرئيس الحمدي.

*** هل من المعقول أن يمنحكم الرئيس الحمدي ثقة مطلقة ولا يخشى منكم؟**

ـ في البدء كان الحمدي شديد الحرص على تكوين أعمق وأدق معرفة لماهية هذا التنظيم وتركيبه وأهدافه وشعاراته وحركته وفكره وتوجهه.

وكانت الصورة أن التنظيم الناصري في اليمن مثل جزءاً من تنظيم قومي واحد نشأ قبل سنوات قليلة ماضية تحت اسم «الطليعة العربية» وإن التنظيم القومي ذاك له قيادة قومية واحدة وقيادة فرعية في اليمن وأنه ملتزم فكرياً وسياسياً بالفكر الذي صاغه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وتجربته السياسية في الحكم على مستوى القطر المصري وخاصة الوثائق الفكرية الثلاث فلسفة الثورة والميثاق الوطني وبيان أو برنامج 30 آذار/ مارس والشعارات الكبرى الملتزم بها الحرية والإشتراكية والوحدة.

وقد تبين للرئيس الحمدي عدم انتماء بعض الوجوه أو الشخصيات السياسية المخضرمة الكبيرة إلى التنظيم وأن الصفة الغالبة على تركيبته طلابية شبابية وكان هذا مبعث ارتياح له.

من جانبه وضع أمام الناصريين صورة أكثر تحديداً ووضوحاً حول حركة 13 حزيران/ يونيو وكيف قامت وما هي طبيعتها وأهدافها، وهي صورة أكدت الاستنتاج الذي وصل إليه الناصريون

حولها وخاصة عدم استنادها إلى أداة تنظيمية أو إطار سياسي منظم عسكري أو مدني، وتبين لهم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد علاقات وارتباطات تنظيمية فردية بسيطة تربط بعض القادة العسكريين ببعضهم في إطار شخصي على الأغلب.

*** يطرح أن الحمدي انضم للتنظيم الناصري، ما دقة هذا الطرح؟**

ـ بعد نقاشات وحوارات حول الارتباط القومي والشعارات الإستراتيجية طرح الرئيس الحمدي آراءً تتسم بقدر كبير من العمق والواقعية مشيراً إلى أن الوطن العربي يعيش في ظل واقع تسود وتتحكم فيه حقائق التجزئة والدول القطرية بكل ما يترتب على حقيقة الدولة القطرية من إعتبارات ونتائج سياسية وقانونية ودستورية مما يتصادم مع واقع وجود تنظيم قومي واحد وفي ظل رغبتنا وسعينا إلى إيجاد إطار سياسي تنظيمي واحد يوحد وينظم جهودنا على الصعيد الوطني القطري فسوف تنشأ إشكالات وتعقيدات حقيقية وعميقة تتعلق بحدود مسؤولية التنظيم ونطاق حركته ومرجعيته القيادية وكيفية التعامل معها في ظل تنظيم قومي.

مؤكداً على حقيقة الإيمان المشترك بيننا حول الوحدة العربية والمنطلقات القومية. وفي ما يتعلق بالقضية الخاصة بشعار «الإشتراكية» واضح أنه شخصياً يفهم ويدرك ما تعنيه الإشتراكية وهو مقتنع بأهدافها وغاياتها الإنسانية في العدل والمساواة، لكن المشكلة بأن «الإشتراكية» كمفهوم وبسبب التطبيقات السيئة والمشوهة

والمنحرفة لها في العديد من بلدان العالم الثالث فإنها قد ابتذلت وأفرغت من محتواها الحقيقي وأصبحت تعطي شعوراً وانطباعاً سلبياً ومنفراً عند الكثيرين. ونحن في اليمن عامة وفي أوساط الجيش والأمن خاصة إذا طرحنا واستخدمنا شعار «الإشتراكية» فسوف نواجه بنفور واسع بل مواجهات وعداوات لسنا بحاجة لها ولهذا فهو يقترح استبدال الإشتراكية بشعار «العدالة الإجتماعية» وراح يسهب في شرح وتأصيل شعار «العدالة الإجتماعية» وبأنه أكثر عمقاً وشمولاً من شعار الإشتراكية.

وقد اتفق الطرفان على فك الارتباط والعلاقة التنظيمية بين التنظيم الناصري في اليمن «أو فرع الطليعة العربية في اليمن» بالتنظيم القومي وتغيير اسمه وتحويله إلى تنظيم وطني مع بقاء منطلقاته الفكرية، واتفق على أن تطلق عليه تسمية الطلائع الوحدوية اليمنية. وتم استبدال شعار الإشتراكية بشعار العدالة الإجتماعية بحيث تصبح الشعارات الإستراتيجية للتنظيم بصورته الجديدة حرية ـ عدالة إجتماعية ـ وحدة.

*** إذن كان هناك توجه لتشكيل قيادة جديدة لحزب جديد؟**

ـ بعد ما حصل تركزت الحوارات والمناقشات في هذه المرحلة على كيفية بناء وتوسيع قاعدة التنظيم الجديد، وخاصة أساليب ووسائل العمل السياسي التنظيمي داخل وحدات الجيش والأمن، واتفق على تشكيل لجنة مشتركة تكونت من ثمانية أعضاء أربعة يمثلون قيادات التنظيم المدني وأربعة يمثلون القيادات العسكرية، والثمانية هم تحديداً: عيسى محمد سيف الأمين العام للتنظيم،

سالم محمد السقاف الأمين العام المساعد، عبد السلام محمد مقبل عضو القيادة التنفيذية المسؤول السياسي، محمد أحمد العفيف عضو القيادة التنفيذية المسؤول الأمني، المقدم أحمد حسين الغشمي عضو مجلس القيادة نائب القائد العام رئيس هيئة الأركان العامة، المقدم عبد الله عبد العالم عضو مجلس القيادة قائد قوات المظلات، المقدم عبد الله محمد الحمدي قائد قوات العمالقة، الرائد علي قناف زهرة قائد اللواء السابع مدرع.

وأوكلت لها مهمة وضع برنامج التحرك التنظيمي داخل وحدات القوات المسلحة والأمن وخاصة قادة الوحدات والألوية العسكرية والأمنية ومتابعة خطوات العمل ودراسة أية معوقات ووضع الحلول لتجاوزها.

وفي اتجاه مواز اختيرت مجموعة من كوادر التنظيم المدنية وعينوا مسؤولين عن التوعية السياسية داخل الوحدات والألوية بحيث أصبح هناك مسؤولاً سياسياً مدنياً لدى كل وحدة أو لواء عسكري.

وهكذا يتضح أن المسألة لم تكن محصورة في شروط هذا الطرف أو ذاك ولا كانت محصورة في انضمام أو التحاق الشهيد الحمدي وزملائه في التنظيم الناصري بل كانت عملية بحث ودراسة مختلف الجوانب الفكرية والسياسية والتنظيمية المتعلقة بتأسيس وبناء أو إعادة بناء تنظيم سياسي جديد مختلف إلى حد كبير عن التنظيم الناصري السري الذي كان قائماً آنذاك، حيث كان من المفترض أن يكون هذا التنظيم الجديد في تأسيسه من حيث النطاق الجغرافي

لحركته وطبيعته الوطنية ومنطلقاته الفكرية والسياسية الوطنية والقومية هو الآخر سري الوجود والحركة.

*** يطرح أن مجيء الحمدي إلى السلطة كان برضىً سعودي.. ما دقة هذا الطرح خصوصاً والمعلومات تشير إلى أنه التقى بالملحق العسكري السعودي قبل ساعات من استقالة الشيخ عبد الله الأحمر وحل مجلس الشورى؟**

هذه القضية ذات طابع مهم وحساس ولهذا فإنه يتوجب علينا معالجتها والنظر إليها في إطار مرحلتها التاريخية زماناً وظروفاً وليس بمنظور وأوضاع وظروف وحقائق مرحلتنا الراهنة حرصاً على وضعها في سياقها التاريخي الصحيح والدقيق. لأن الأوضاع العامة في البلاد كانت قد وصلت في مجالاتها الإقتصادية والإدارية والإجتماعية آنذاك إلى مستوى كبير من التردي والتدهور والانفلات عكس نفسه سلباً على قطاعات واسعة من الرأي العام عاشت حالة ملموسة من التململ وعدم الرضى، كما أن النظام السياسي القائم حينها كان يعيش حالة مستحكمة من التأزم العميق نتيجة تصاعد الخلافات والصراعات بين الأطراف والقوى النافذة المكونة لتركيبته، وهو وضع أصاب دور ونفوذ الدولة بالشلل والعجز عن أداء مهامها والقيام بمسؤولياتها ولم تجد كل محاولات إخراج النظام من أزمته العميقة نفعاً.

وبسبب تردي ذلك ساد الشعب شعور بضرورة التغيير الجذري وكل من عايش أجواء تلك المرحلة يدرك بأن قطاعاً واسعاً من الرأي العام المحلي كان يتوقع حدوث التغيير بين لحظة وأخرى.

وجاء هذا عندما كانت علاقات اليمن بالسعودية قد بلغت أوج ازدهارها وتوسعها وتعمقها منذ إعادتها بعد المصالحة الوطنية التي تمت مع القوى الملكية واعتراف السعودية إثرها بالنظام الجمهوري في أواسط عام 1970م وبحكم تلك العلاقات وتناميها وشمولها لكافة المجالات الإقتصادية والسياسية والعسكرية والأمنية أصبحت المملكة العربية السعودية صاحبة التأثير والنفوذ الأول والأكبر والأقوى في اليمن غير أن تلك العلاقات الحميمة خيم عليها بعض الغيوم وسحب الاختلافات خلال السنوات القليلة الأولى من عقد السبعينيات 1972 ـ 1974م بسبب اختلاف وجهة نظر القيادتين بشأن مشكلة الحدود المعلقة بينهما.

*** أفهم أنك تقر بوجود رضىً سعودي واطلاع مسبق على تفاصيل الحركة؟**

ـ كانت السعودية تتولى بشكل خاص مهمة تدريب وتسليح وبناء الجيش اليمني بل وتمويل ميزانيته المالية السنوية ولهذا كانت هناك بعثة عسكرية رفيعة المستوى وكبيرة العدد خصص جزء من مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة مقراً لعملها، كما كانت هناك بعثات عسكرية من الضباط اليمنيين في مختلف فروع وتخصصات القوات المسلحة تدرس هناك. وهذه العلاقات الواسعة والبالغة الأهمية والحساسية في المجال العسكري والأمني كانت تحت مسؤولية وإدارة الملحق العسكري السعودي، ونتيجة لها أصبح محط اهتمام الدوائر العسكرية والسياسية والشعبية على حد سواء وذلك ما أكسبه نفوذاً وتأثيراً واسعاً أهّله للخوض في العديد من الشؤون الداخلية،

والواقع أن ذلك يعود في الغالب إلى رغبة وتشجيع القيادات اليمنية نفسها.

وفي ظل هذه الحقيقة وكشأن العلاقات التي تنشأ بين مختلف دول العالم والتي تهدف إلى تحقيق مصالحها الحيوية لدى الدول الأخرى.

وبالنظر إلى طبيعة وحجم ومتانة وأهمية العلاقات الإستراتيجية التي كانت قائمة بين اليمن والسعودية آنذاك فقد كان متوقعاً وطبيعياً بل ضرورياً أن تكون السعودية أكثر اهتماماً وأشد سعياً لمراقبة ومتابعة مجريات الأوضاع الداخلية في اليمن وتعمل بكل السبل والوسائل إلى ضمان عدم تحولها من دائرة الصداقة إلى دائرة العداء للحفاظ على مصالحها الإستراتيجية.

وبحكم موقع الحمدي كنائب للقائد العام للقوات المسلحة قبل أن يصبح رئيساً فقد كان على اطلاع مباشر بالعلاقات الخاصة مع السعودية، وبالإضافة إلى قيامه بزيارات رسمية على رأس وفود عسكرية إلى السعودية فقد كان من الطبيعي بل ومن الضروري أن تكون له صلات وعلاقات قوية مع السعودية شأنه في ذلك شأن الكثير من القيادات السياسية والعسكرية والقبلية، غير أن مجيئه إلى السلطة في 13 حزيران/يونيو 1974م لم يكن خياراً سعودياً أو وفقاً لإرادة سعودية بل جاء كخيار وطني ووفق إرادة داخلية أساساً.

فقد كان الحمدي يحمل في ذهنه مشروعاً وطنيا تحديثياً ونهضوياً واضحاً منذ وقت مبكر وقبل إعادة علاقات السعودية

باليمن كما كان يملك تصوراً واضحاً ومتكاملاً للتغيير ووسائله نظرياً وعملياً يعمل على تنفيذه ولهذا عندما قدم رئيس المجلس الجمهوري القاضي عبد الرحمن الأرياني استقالة المجلس الجمهوري إلى مجلس الشورى وقبول الأخير لها واستقالة رئيس مجلس الشورى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وتكليف الجيش بتحمل مسؤوليته للحيلولة دون انهيار سياسي كامل كان إبراهيم الحمدي مستعداً تماماً لتحمل تلك المسؤولية حيث تبين أنه كان يعد العدة لتنظيم وتنفيذ عملية التغيير منذ وقت سابق بكثير، وجاء تسارع الأحداث واستقالة السلطات التنفيذية والتشريعية للدولة بمثابة المسرع والمسوغ للقيام بالتغيير الذي ظل يعد له من قبل.

***عينت رئيساً لتحرير صحيفة «13 يونيو» الناطقة بلسان الجيش الذي يقود الدولة.. هل كان ذلك ضمن إتفاق أم تقييم شخصي؟**

ـ بعد قيام حركة 13 حزيران/ يونيو 1974م بفترة كانت هناك أفكار وتصورات حول ضرورة إصدار صحيفة أسبوعية تعبر سياسياً عنها وكان هناك تسابق بين وزارة الإعلام وإدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي للقوات المسلحة والتي كان مديرها الرائد علي حسن الشاطر آنذاك الذي قام بالتشاور والتعاون مع محمد الزرقة الذي كان حينها رئيساً لتحرير صحيفة «الثورة» بإعداد تصور حول إصدار صحيفة أسبوعية تحمل اسم «13 يونيو» ورفعه إلى الرئيس إبراهيم الحمدي وفي هذا التصور تم اقتراح ثلاثة أسماء مرشحة لرئاسة تحرير تلك الصحيفة كان المرشح الأول هو الشاعر الكبير

عبد الله البردوني فيما كان المرشح الثاني محمد الزرقة وكنت أنا المرشح الثالث.

وبحسب ما عرفته بأن الرئيس الحمدي بعد اطلاعه على التصور رأى أن المرشح الأول برغم مكانته إلا أن ظروفه الخاصة لا تسمح له بتولي رئاسة تحرير صحيفة كما أن المرشح الثاني يشغل بالفعل رئيس تحرير صحيفة «الثورة» اليومية وليس بمستحسن أن يتولى رئاسة تحرير صحيفتين في آن معاً واستقر رأيه على المرشح الثالث الذي هو أنا، حينها لم يكن الرئيس الحمدي قد تعرف إلي أو عرفني شخصياً مطلقاً ولكن ربما كان يتابع المقالات التي أكتبها عن «حركة 13 يونيو» وقائدها منذ المرحلة الأولى لقيامها، وأذكر أول مرة ألتقي به وجهاً لوجه بعد إصدار صحيفة «13 يونيو» بفترة لا بأس بها.

وعليه فإن اختياري لرئاسة تحرير الصحيفة لم يكن مبنياً على إتفاق مطلق إذ لم تكن هناك حتى تلك اللحظة أية اتصالات ولقاءات مباشرة كناصريين بالرئيس الحمدي.

ولاشك إن اختياري يعود الفضل فيه إلى الصديق علي حسن الشاطر يقيناً.

*** ومع هذا تطرح فصائل اليسار أن الحمدي كان على اتصال بكل الأحزاب وليس الناصريين فقط؟**

ـ بالتأكيد كان الرئيس الحمدي مهتماً إلى أبعد حد وحريصاً على إيجاد قنوات بينه وبين الكثير من الأحزاب القائمة في الساحة، وكانت آنذاك تمارس نشاطها وحركتها في إطار من السرية

المطلقة حيث كانت الأحزاب محظورة دستورياً، وكان أشد حرصاً على إبقاء تلك القنوات مفتوحة ونشطة باستمرار، والواقع أن تلك القنوات قائمة بالفعل منذ فترة طويلة قبل أن يصبح رئيساً، وكانت علاقاته بتلك الأحزاب سابقة بكثير على علاقته وحواراته بالناصريين، وهذا ما سمعناه وفهمناه من الرئيس الحمدي شخصياً، حيث أوضح لنا بأن صلاته وعلاقاته بقيادات حركة القوميين العرب وبالحزب الديمقراطي اليمني الثوري الذي قام على أنقاض حركة القوميين العرب في الفترة ما بين 1967 ـ 1968م تعتبر الأقدم والأوثق حيث كان يحضر ويشارك في إجتماعات ومناقشات قيادة الحركة والحزب بعدها، وأنه لا تزال تربطه علاقات شخصية حميمة بالعديد من تلك القيادات، لكنه أوضح بأنه لم يكن منتمياً أو ملتزماً حزبياً لحركة القوميين العرب أو الحزب الديمقراطي الثوري، بيد أن عمق علاقاته وحميميتها كانت تبدو وكأنه واحد منهم، وأضاف أن أخيه المقدم عبد الله محمد الحمدي كان منتمياً حزبياً في حركة القوميين العرب والحزب الديمقراطي الثوري بعدها ولبعض الوقت.

وبحسب ما سمعناه منه شخصياً فقد كانت له اتصالات مع العديد من الأحزاب ومنها «حزب الطليعة الشعبية» و«حزب العمل» و«حزب إتحاد الشعب الديمقراطي» و«المقاومين الثوريين» وهي الأحزاب الأربعة التي شكّلت فيما بعد مع «الحزب الديمقراطي الثوري» ما عرف باسم «حزب الوحدة الشعبية اليمني» أو ما عرف اختصاراً بـ «حوشي» والذي كان بمثابة الفرع والامتداد التنظيمي لـ «الحزب الإشتراكي اليمني» في الشمال.

كما كانت له صلات مع «حزب البعث العربي الإشتراكي»، بل وأيضاً مع الأخوان المسلمين. ومع هذا فإن اتصالاته مع الناصريين لم تبدأ كتنظيم أو كيان حزبي إلا في مرحلة زمنية متأخرة أي بعد أن أصبح رئيساً، تقريباً عند أواخر العام 1975م، إلا أنه كان على اتصال متقطع، قبل أن يصبح رئيساً بسنوات قليلة، ببعض الشخصيات المعروفة باتجاهها الناصري مثل العقيد عبد الله العليبي والعقيد حسن الرميم ويحيى عائض، كما أقام علاقة وثيقة سياسياً فيما بعد بعبده نعمان عطاء، والذي يعتبر المؤسس الأول والباني لأشكال الوجود والنشاط الناصري المنظم والحزبي في اليمن منذ أوائل الستينيات، إلا أن تلك العلاقات اقتصرت على الجانب الشخصي والقضايا السياسية العامة، ولم تأخذ تلك العلاقة والحوار بعدها وحقيقتها الواضحة إلا في أواخر العام 1975م، وفي هذا الوقت كانت هناك معلومات تجمعت لدينا بوجود لقاءات وحوارات شبه منتظمة بين الرئيس الحمدي والأحزاب اليسارية الخمسة، وكانت استنتاجاتنا بأن مثل تلك اللقاءات والحوارات تشير إلى أن علاقة سياسية ما في طريقها للتبلور، وعزز هذا الاستنتاج أن الرئيس الحمدي في بعض لقاءاتنا به كان يشير إشارات عامة إلى مثل تلك اللقاءات دون تفاصيل، وكان يعبر عن احترام وتقدير لبعض قيادات تلك الأحزاب مثل عبد الحميد حنيبر وأحمد الحربي وأحمد منصور أبو إصبع والعقيد سلطان أمين القرشي، وبدا أنه شديد الإعجاب بشخصيات معينة لم تكن معروفة آنذاك بما فيه الكفاية وكان أحياناً ما يستفسر عنهم ويطلب معلومات حولهم وخاصة محمد الشيباني الذي كان أحد قيادات الحزب الديمقراطي.

*** إذا كانت العلاقة بالفصائل الأخرى بهذا المستوى أليس الأولى أن يكون التقارب معهم لا معكم؟**

الحقيقة أننا ساهمنا، وبشكل غير مباشر، في إفشال تلك اللقاءات والحوارات بين الرئيس الحمدي والأحزاب اليسارية الخمسة، حيث وقع في أيدينا تعميماً حزبياً صادر عن حزب الطليعة الشعبية، ذا طبيعة «سرية للغاية» وخاص «للقيادات فقط»، وفيه توضيح لطبيعة الحوار وأهدافه مع الرئيس الحمدي وتشخيص للوضع السياسي، وكان ذلك التعميم السري في مجمله يشخص حركة 13 يونيو 1974م وقيادتها على أنها حركة البرجوازية الصغيرة، وإنها حركة تخدم مصالح (القوى الامبريالية الرأسمالية العالمية)، وإن الحوارات التي تدور بين الأحزاب اليسارية، ومنها الطليعة الشعبية، هي حوارات (تكتيكية) تهدف إلى المراوغة وكسب الوقت وتحقيق مصالح وأهداف تلك الأحزاب، وإنها ليست ذات طبيعة إستراتيجية، هذا ما أتذكره مما ورد في ذلك التعميم ليس كما ورد بالنص ولكن بالمعنى والمضمون. المهم أننا قمنا بإبلاغ الرئيس الحمدي وسلمناه ذلك التعميم، وعلمنا فيما بعد أنه اتخذ رد فعل وموقفاً حاداً وحاسماً وأوقف ذلك الحوار واللقاءات بشكل كلي ونهائي، وتبين لنا فيما بعد، أنه صدم حيث لم يكن يتوقع أن يكون تقييم تلك الأحزاب على ذلك النحو التكتيكي المخادع، وهذا ما يؤكد على نحو قاطع أن الرئيس الحمدي كان صادقاً في علاقته وحواره معها وكان حريصاً للوصول إلى صيغة سياسية لعلاقة وتنسيق وتعاون معها، ولكنه اكتفى بإنهاء العلاقة وقطع الحوار، ويبدو أن ذلك قد ساهم وعزز التوجه لدى الحمدي بتصعيد الحوار

مع الناصريين وتسريع الخطى في اتجاه خلق قناعة واحدة وصيغة عمل سياسي مشترك، وهو ما تحقق بالفعل بعد فترة قصيرة لاحقة[1].

ـ تصريح الناطق الرسمي حول عملية الاغتيال:

أدلى ناطق رسمي بالتصريح التالي:

«كان من عادة المغفور له الفقيد الكبير الأخ الرئيس الراحل المقدم إبراهيم محمد الحمدي الخلو إلى نفسه في بعض الأيام بعيداً عن مكتبه ومنزله ليقضي الوقت في دراسة القضايا والأمور والتقارير التي يحتاج درسها إلى تأمل وليستريح من عناء العمل المتواصل، وكان في كثير من حالات الخلو إلى نفسه يؤثر أن لا يكون مصحوباً بمرافقين أو حراسة لما دأب عليه من التواضع والبساطة والتخفف من قيود المراسم والرسميات والمواكب والمظاهر ثقة منه بأبناء شعبه ومواطنيه الذين ما كان يضمر لهم إلا الحب والخير، وفي فترة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر تشرين الأول/ أكتوبر (الجاري) غادر منزله الذي اعتاد استقبال بعض الزائرين والموظفين فيه إلى المنزل المتواضع الذي استأجره أخوه المقدم عبد الله محمد الحمدي، وجعله شبه استراحة للاستجمام من عناء الأعمال يتردد إليه ويجلس فيه كلما دعت الحاجة وسنحت الظروف، وكان الفقيد المقدم عبد الله قد سبق أخاه الفقيد الكبير المقدم إبراهيم إلى المنزل المذكور، ولقد استغل أعداء الوضع من

(1) نقلاً عن جريدة «البيان» الإمارتية، العدد 183.

مأجورين وحاقدين ومن لهم سوابق في القتل والإجرام الفرصة، وتسللوا إلى المنزل حيث أطلقوا رصاص الحقد والغدر على الفقيد الكبير وأخيه، ولم يتركوهما إلا جثتين هامدتين ولم تكتشف الجريمة إلا في الساعة السابعة والنصف مساءً نفس اليوم حين استدعى الأمر عرض بعض الأمور الهامة العاجلة على الرئيس الراحل، فقد اتجه أحد الحرس إلى المنزل الذي كان يقضي فيه الفقيد وأخوه المقدم عبد الله وقتهما ليفاجئ ذلك الحارس بما رآه. وقد روع الأخ المقدم أحمد الغشمي وأعضاء مجلس القيادة بالحادث الأليم وكان لا بد من إعلان نبأ الحادث على المواطنين، وستظل أجهزة الأمن توالي التحقيق بالتعاون مع اللجنة المكلفة ليوافي مجلس القيادة والمواطنون بكل ما يتم التوصل إليه أولاً بأول[1].

(1) صحيفة «الثورة» في 5 ذو القعدة 1397 الموافق 17/10/1977.

يوسف السباعي
(1917 ـ 1978)

ـ يوسف السباعي في سطور:

إنه يوسف محمد عبد الوهاب السباعي، من مواليد 17 حزيران/ يونيو عام 1917 ـ الدرب الأحمر ـ القاهرة. أديب مصري بارز، شغل منصب وزير الثقافة عام 1973، ورئيس مؤسسة الأهرام ونقيب الصحفيين.

قدم 22 مجموعة قصصية وأصدر 16 رواية آخرها «العمر لحظة» عام 1972. نال جائزة الدولة التقديرية عام 1973 وعدداً كبيراً من الأوسمة. لم يكن أديباً عادياً بل كان من طراز خاص وسياسياً على درجة عالية من الحنكة والذكاء. اغتيل في قبرص في 18 شباط/ فبراير عام 1978.

ـ مسيرة السباعي الفنية:

في حين ظل نجيب محفوظ الحائز على نوبل في الآداب عام 1988 ينشر رواياته بغزارة في وجه صمت نقدي وإعلامي حتى منتصف الخمسينيات كانت أعمال الكاتب المصري يوسف السباعي

الأعلى توزيعاً فضلاً عن تحويلها مباشرة إلى أفلام يصفها النقاد بأنها أكثر أهمية من الروايات نفسها.

وبعد أن فرضت أعمال محفوظ نفسها على النقاد تراجع الاهتمام بروايات السباعي الذي ظل في بؤرة الاهتمام الإعلامي والسينمائي. وإن أخذ كثير من النقاد تجنب الإشارة إلى أعماله باعتبارها نهاية لمرحلة الرومانسية في الأدب وأنها تداعب احتياجات مرحلة عمرية لفئة من القراء صغار السن، إلا أن كاتباً مصرياً وصف أعمال السباعي بأنها واقعية ورمزية. وقال مرسي سعد الدين في مقدمة كتاب «يوسف السباعي فارس الرومانسية» أن السباعي لم يكن مجرد كاتب رومانسي بل كانت له رؤية سياسية وإجتماعية في رصده لأحداث مصر.

وقالت لوتس عبد الكريم مؤلفة الكتاب الذي صدر مؤخراً في القاهرة إن دور السباعي في الثقافة المصرية لا يقل عن دوره ككاتب، وأشارت إلى وصف الناقد المصري الراحل الدكتور محمد مندور للسباعي بأنه «لا يقبع في برج عاجي بل ينزل إلى السوق ويضرب في الأزقة والدروب».

وشددت المؤلفة على أن السباعي «كتب عن فلسطين مثلما لم يكتب أي كاتب أو أديب عربي، وفي كل المقالات التي كتبها بعد المبادرة التاريخية بزيارة القدس عام 1977 كان السباعي يركز في كل مقالاته على حقوق الشعب الفلسطيني ولم تخل مقالة واحدة من مقالاته من الدفاع عن حق الذين اغتالوه غدراً» في إشارة إلى إحدى الفصائل التي خططت للحادث ونفذته.

ويعد السباعي ظاهرة في الحياة الثقافية المصرية رغم تجنب النقاد التعرض لأعماله فيما عدا مؤرخي الأدب، ويكاد ذكره الآن يقتصر على أفلام أخذت عن أعماله ومن بينها «إني راحلة» و«رد قلبي» و«بين الأطلال» و«نحن لا نزرع الشوك» و«أرض النفاق» و«السقا مات»، كما أنتج التليفزيون المصري مسلسلاً عن حياته عنوانه «فارس الرومانسية».

ورأس السباعي تحرير عدد من المجلات منها «الرسالة الجديدة» و«آخر ساعة» و«المصور» وصحيفة «الأهرام» وعيّنه الرئيس المصري السابق أنور السادات وزيراً للثقافة وظل يشغل منصبه إلى أن اغتيل في قبرص في شباط/فبراير عام 1978 بسبب تأييده لمبادرة السادات بعقد سلام مع إسرائيل منذ سافر إلى القدس عام 1977.

إن يوسف السباعي لم يحظ باهتمام نقاد الأدب في حياته بسبب سيطرة تيار اليسار على مجالات الأدب والنقد في ذلك الوقت. وهم الذين كانوا يعتبرونه يمينياً وكاتب حواديت! رغم أنهم كانوا يستقبلونه في مطارات الإتحاد السوفيتي قمة اليسار استقبال رؤساء الدول عندما كان يسافر إليها باعتباره السكرتير العام لمؤتمر التضامن الآسيوي - الأفريقي!

إن كاتبنا الراحل العظيم هو بلا أدنى شك فارس الأدب الرومانسي. فهو صاحب أهم الأعمال الروائية التي تمجد الحب الطاهر النقي الشفاف: إني راحلة، بين الأطلال، فديتك يا ليلي، ردّ قلبي، نادية، جفت الدموع، نحن لا نزرع الشوك. وصاحب مجموعات القصص القصيرة: خبايا الصدور، في موكب الهوى،

هذه النفوس، مبكى العشاق، أغنيات، هذا هو الحب، سمار الليالي، هذه الحياة، همسة غابرة، ليالي ودموع، اثنا عشر رجلاً، اثنتا عشرة امرأة، ست نساء، ستة رجال!

ومع ذلك كله، فإن لقب «فارس الرومانسية» يظل مقصراً عن الوصف الحقيقي لأدب يوسف السباعي!.. ذلك أنه يكاد يكون الكاتب القصصي الوحيد الذي استطاع أن يغزو بقلمه وفكره كل الاتجاهات الأدبية. من رومانسية إلى واقعية إلى كوميدية إلى فانتازيا إلى ساخرة، وبقدرات واضحة. وكتب المسرحية أيضا بَنفس الموهبة التي تشع بالسخرية والتي لمسناها في أعماله الأخرى!

هل يمكن أن نتجاهل قدرات يوسف السباعي في الأدب الواقعي التي جعلت من روايته «السقا مات» واحدة من أهم الأعمال الروائية التي تعبر عن الواقع المصري. بينما تحلل فلسفة الموت بسخرية مرة من إبداع كاتب موهوب، والتي لا تقل أبداً عن «الأرض» لعبد الرحمن الشرقاوي بل هي التي جعلت مخرجنا الكبير الواقعي يوسف شاهين يفتن بها عندما يقرأها. ويسرع بشرائها ليخرجها على شاشة السينما مثلما فعل مع «أرض الشرقاوي». لكنه يعود ويتراجع أمام أحداثها الواقعية المؤثرة ـ وهو أستاذ الواقعية السينمائية ـ فيختار لها صلاح أبو سيف «أبو الواقعية» ليخرجها بدلاً منه. وتظهر «السقا مات» على الشاشة من إنتاج يوسف شاهين وإخراج صلاح أبو سيف!.. هل هناك شهادة أبلغ من ذلك، تؤكد أن يوسف السباعي هو فارس الواقعية وليس فقط فارس الرومانسية!

ثم إلى جانب «السقا مات». . يتوغل السباعي في الواقع المصري بين «أبو الريش» و«جنينة ناميش» وفي «الشيخ زعرب وآخرون» و«يا أمة ضحكت»، وعشرات القصص القصيرة الأخرى.

ثم لماذا لا يكون السباعي فارساً للفانتازيا الأدبية أيضاً، وهو اتجاه لم يتحمس لطرقه كبار الأدباء، لكن يوسف السباعي تجاسر واقتحمه في أكثر من عمل رائع.

لماذا لا يكون كذلك وهو صاحب «أرض النفاق»، هذا العمل الروائي الساخر العبقري الذي قدمته السينما مرتين في فيلمين مصريين هما «أرض النفاق» و«أخلاق للبيع». وللأسف لم ينجح أيهما في أن يعبر عن أهداف الكاتب بنفس قدرة فصول هذا الكتاب الذي كتبه السباعي في أوج شبابه ليكون من أوائل أعماله سنة 1949 رغم أن السينما أسندت البطولة في أحد هذين الفيلمين إلى النجم القدير فؤاد المهندس.

وكيف لا يكون كذلك وهو صاحب رواية «نائب عزرائيل» ـ ثاني مؤلفاته عام 1947 ـ التي يصل فيها إبداع المؤلف إلى القمة في دنيا الفانتازيا، حيث يتأمل القدر، ويفلسف أحوال الإنسان الذي لا يستطيع مواجهة الأقدار أو يؤثر فيها.

ثم تأتي رواية «البحث عن جسد» التي نشرها عام 1953 معبراً عن طرد الملك فاروق، فهي حالة فانتازية يمتزج فيها الواقع المصري بالسخرية مع الخيال، مما أكد قدرات هذا الكاتب العملاق ليكون فارساً للفانتازيا الأدبية.

وفي عالم الكوميديا الساخرة، يفاجئ يوسف السباعي الأوساط

الأدبية باقتحامه للكتابة المسرحية، حيث نشر مسرحية «أم رتيبة» سنة 1951 هذه الأم التي لم تتزوج بعد.

كتب للمسرح بعد عشرة أعمال من الأدب الروائي ومجموعات القصص القصيرة، فقد رأى أن المسرح هو الوسيلة الأقرب للتعبير الساخر وتقديم الشخصيات التي تمتلك السخرية العفوية أو السخرية بالفطرة!! وقد عرضت الفرقة القومية «المسرح القومي» هذه المسرحية بنجاح كبير على مسرح الأزبكية العريق.

ثم تلاها بمسرحية «وراء الستار» التي يسخر فيها من الأحزاب ومن الصحافة الحزبية. وفي نفس العام 1953 كتب «جمعية قتل الزوجات»، وأهداها بسخريته المعهودة إلى النقاد الذين أثارتهم «أم رتيبة» «لقد اتهموني بالإسفاف والتهريج.. أهدي مزيداً من الإسفاف والتهريج».

وبنفس الأسلوب الكوميدي الساخر قدم مجموعتيه القصصيتين: «يا أمة ضحكت» و«بين أبو الريش وجنينة ناميش».

كانت سيناريوهات يوسف السباعي التي قدمها للسينما والتي تؤكد قدراته على اقتحام كل مجالات الدراما، وأهمها سيناريو فيلم كمال الشيخ الرائع الذي لعبته فاتن حمامة أمام محمود مرسي «الليلة الأخيرة».

نعود فنقول إن «فارس الرومانسية» لقب جاء نتيجة النجاح المهول الذي حققتها أفلام يوسف السباعي الروائية: «إني راحلة» و«بين الأطلال» و«رد قلبي». لكن يوسف السباعي في الحقيقة

هو فارس الرومانسية والواقعية والفانتازيا والكوميديا والسخرية. . ولعله الكاتب الوحيد الذي استطاع أن يطرق كل الاتجاهات الأدبية بهذا القدر من الموهبة المتدفقة.

ـ المراكز التي شغلها:

من المنزل المتواضع في حي السيدة زينب بالقاهرة حيث أمضى طفولته واتبع خطوات والده الذي كان تواقاً للأدب والكتابة. ظهرت موهبته الأدبية في مرحلة مبكرة من حياته وهو طالب بالمرحلة الثانوية قام بنشر أول قصة قصيرة في مجلة «مجلتي».

كان للسباعي نشاط رياضي حيث رئس فريق الهوكي في مدرسته، تخرج السباعي من الكلية الحربية في العام 1937. ومنذ ذلك الحين تولى العديد من المناصب أهمها:

- مدرّس في الكلية الحربية.
- تم تعيينه في العام 1952 مديراً للمتحف الحربي. وبعد التقاعد من الخدمة العسكرية تولى المناصب الآتية:
- في العام 1959 تولى منصب سكرتير عام المحكمة العليا للفنون والسكرتير العام لمؤتمر الوحدة الأفرو ـ آسيوية.
- في العام 1965 تولى منصب رئيس تحرير مجلة «آخر ساعة»، ورئيس مجلس إدارة «دار الهلال» وذلك في العام 1971.
- في آذار/ مارس عام 1973 تم اختياره وزيراً للثقافة.
- في العام 1976 أصبح عضواً في مجلس إدارة مؤسسة الأهرام.
- في العام 1977 تم انتخابه نقيب الصحفيين المصريين.

ومنذ العام 1951 لعب السباعي دوراً مؤثراً في الحياة الأدبية. بدءًا بجهوده المشتركة مع المؤلفين والصحفيين الكبار مثل إحسان عبد القدوس لتأسيس نادي الكتاب، ومؤسسة رجال الأدب، ونقابة الكتاب العرب. تم إصدار العديد من المجلات تحت إشرافه مثل «الأدباء العرب»، و«الرسالة الجديدة»، و«القصة».

- عين عضو في نادي القصة ورئيساً لتحرير مجلة «الرسالة الجديدة»، كما تسلم مناصب ثقافية رفيعة.
- عضو جمعية القصة والرواية.

- مؤلفاته:

1 - نائب عزرائيل - رواية 1947.

2 - أطياف - 1947.

3 - إثنتا عشرة امرأة - 1948.

4 - خبايا الصدور - 1948.

5 - يا أمة ضحكت - قصص - 1948.

6 - اثنا عشر رجلاً - 1949.

7 - في موكب الهوى - 1949.

8 - من العالم المجهول - 1949 -

9 - أرض النفاق - رواية 1949.

10 - هذه النفوس - 1950.

11 - مبكى العشاق - 1950.

12 - إني راحلة - رواية 1950.

13 ـ بين أبو الريش وجنينة ناميش ـ قصص ـ 1950.

14 ـ أم رتيبة ـ مسرحية 1951.

15 ـ السقامات ـ رواية 1952.

16 ـ الشيخ زعرب وآخرون ـ قصص 1952.

17 ـ فديتك يا ليلى ـ رواية 1953.

18 ـ البحث عن جسد ـ 1953.

19 ـ بين الأطلال ـ رواية.

20 ـ رد قلبي ـ رواية 1954.

21 ـ طريق العودة ـ رواية 1956.

22 ـ نادية ـ رواية 1960.

23 ـ جفت الدموع ـ رواية 1962.

24 ـ ليل له آخر ـ رواية 1963.

25 ـ أقوى من الزمن ـ مسرحية 1965.

26 ـ نحن لا نزرع الشوك ـ رواية 1969.

27 ـ لست وحدك ـ رواية 1970.

28 ـ ابتسامة على شفتيه ـ رواية 1971.

29 ـ العمر لحظة ـ رواية 1973.

وديع حداد

(1927 - 1978)

دخلت القوات السورية إلى لبنان تحت اسم «قوات الردع العربية» في العام 1976م، عقب عام من اندلاع الحرب الأهلية، ولما كانت الخلافات على أشدها مع أغلب الفصائل والتنظيمات الفلسطينية، فقد رحلت قيادات هذه الفصائل إلى بغداد خوفاً من الاحتكاك والمشاكل مع القوات السورية، التي دخلت أساساً لترجيح كفة الجبهة الكتائبية وحلفائها، في مواجهة الحركة الوطنية اللبنانية وحلفائها الفلسطينيين. ونكاية بالنظام السوري، استقبل نظام صدام حسين، القيادات الفلسطينية ومعها مئات العناصر والكوادر، وقدم لهم التسهيلات والإقامة، وتوزعت هذه القيادات حسب البيوت والفيلل التي منحتها لهم مخابرات صدام في منطقتي الجادرية والمسبح في بغداد.

أما بالنسبة لوديع حداد وجماعته، فمن المعروف أنه كان عضواً في المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان المسؤول عن العمليات الخارجية التي كانت تنطلق باسم «المجال الخارجي». ولكن الجبهة في مؤتمرها العام، قررت عام 1973م

وقف هذه العمليات الخارجية، لأنها بدأتها كوسيلة إعلامية بالصوت العالي، لإسماع العالم صوت الشعب الفلسطيني، في مواجهة الدعاية الصهيونية التي ركزت على أن «فلسطين أرض بلا شعب، تُعطى لشعب بلا أرض»، يقصدون الشعب اليهودي. ولما أدت هذه العمليات غرضها، وأسمعت صوت الشعب الفلسطيني للعالم كله قررت وقفها، إلا أن وديع حداد رفض الامتثال لقرار المؤتمر العام، وجمع عناصره ومؤيديه، واستمر في العمليات الخارجية، باسم «المجال الخارجي» دون أن يعلن انشقاقه عن الجبهة الشعبية فقررت الجبهة فصله في نهاية العام 1973م، فتلقفته مخابرات صدام حسين في زمن رئيسها الشهير سعدون شاكر، فاستقدمت وديع حداد إلى بغداد مع مجموعة من مؤيديه وعناصره خاصة ممن شاركوا في عمليات خارجية ولديهم الخبرة، ومطلوبين للعديد من الأجهزة الأمنية في العالم.

كان من بينهم الفنزويلي كارلوس المسجون مؤبداً في السجون الفرنسية، وقدمت لوديع حداد العديد من الشقق والفيلل، أشهرها فيلا المسبح التي كانت من طابقين، وكانت مقر الإدارة العامة لجماعة وديع حداد، ففيها غرف الإجتماعات، والقيادة اليومية وغرف نوم الكوادر الموجودة أو المناوبة. وهناك شقة الجادرية التي كانت أساساً تحت سيطرة مخابرات صدام، ووجود جماعة وديع حداد فيها لمجرد الشكل والتمويه، ومنها كانت تدار عمليات طبع الجوازات وتزويرها في المطبعة التي اشترتها مخابرات صدام من ألمانيا الديمقراطية آنذاك. وكانت التعليمات قد صدرت لمدراء الاستقبال في فندق بغداد أشهر فنادق العاصمة العراقية آنذاك، أن

كل نزيل أجنبي من الدول الأوروبية والأميركية والعربية والخليجية، يرسل جوازه لهذه الشقة لمدة 12 ساعة لتصويره ودراسة تفاصيله وشكله وكثافة ورقه، ليصار طبعه وتزويره بعد ذلك. وعبر هذه المطبعة الموجودة شكلاً تحت إشراف جماعة وديع حداد، كانت تطبع جوازات سفر، ما لا يقل عن ثلاثين دولة عربية وأوروبية، منها السعودية والكويت. وكانت النكته الرائجة بين الشباب والفتيات «أهلنا في السعودية منذ ربع قرن ولم يحصلوا على جنسيتها، والوحيد الذي يمنحك الجنسية السعودية خلال خمس دقائق هو الخال وهو لقب وديع حداد».

وللتاريخ والحقيقة فإن مخابرات صدام كانت تقوم بلعبة مزدوجة قذرة، فهي تسهل وصول عناصر وديع حداد للعديد من المواقع في العالم، وفي الوقت ذاته ودون أن يدروا، يتجسسون على قيادات المعارضة العراقية، وعبر الأسلحة التي كانت تُسلمها لهم السفارات الصدّامية، تم اغتيال العديد من هذه القيادات، أشهرها حادثة اغتيال القيادي الشيوعي توفيق رشدي في عدن.

ومن بغداد، انطلقت العمليات الخارجية التي خُطط لها وقام بها وديع حداد بعد فصله من الجبهة الشعبية، وكانت المخابرات العراقية تطلع على هذه العمليات مسبقاً من وديع حداد مباشرة أو من عملائها ضمن الجماعة، وهذه العمليات أو أشهرها كان لخدمة مصالح النظام أيضاً. وديع حداد يطبق بشكل عشوائي شعاره «وراء العدو في كل مكان»، ونظام صدام يستغلها للضغط على بعض الدول أو تحقيق مصالح لدى دول أخرى ومنها حصراً:

- عملية خطف طائرة لوفتهانزا الألمانية، عام 1975م، وكانت عملية مالية، مارس فيها وديع حداد الضغط للحصول على خمسة ملايين دولار. المصادر العليمة، أكدت آنذاك حصوله عليها، وتم الإفراج عن الطائرة وركابها في مطار بيروت، وفي الوقت ذاته تدخلت مخابرات صدام على الخط، فبدت أمام الألمان أنها هي التي ضغطت وأقنعت بضرورة الإفراج عن الطائرة وركابها.
- محاولة قصف طائرة إسرائيلية بالصواريخ، عقب إقلاعها من إحدى مطارات كينيا عام 1976م وقد تم إلقاء القبض على المجموعة الفلسطينية، ومن بينها فتاة ألمانية، وهم ينصبون الصواريخ، بالقرب من المطار الكيني، وقبل إقلاع الطائرة الإسرائيلية. واستشاط يومها وديع حداد غضباً في فيلا المسبح، وقال: أكيد هم الذين بلغوا عن الشباب! ولما سُئل من يقصد بـ «هم»، قال «زُلم. . سعدون شاكر». وهكذا، الشباب الفلسطينيون يذهبون للسجون، ومخابرات النظام العراقي كانت تحسِّن مواقعها وسمعة نظامها لدى دول العالم، في أنها تبلِّغ مسبقاً عن أية عملية إرهابية تعرف بها!
- العملية التي اشتهرت باسم المطار الأوغندي عنتيبي نهاية عام 1976م، حيث خطفت مجموعة من جماعة وديع حداد طائرة إسرائيلية، رداً على فشل العملية السابقة واعتقال الشباب والفتيات، الذين كانوا يزمعون القيام بها، ونجحت عملية خطف الطائرة، وحطت بركابها وخاطفيها في المطار الأوغندي المذكور في زمن رئيس أوغندا عيدي أمين. وفور الإعلان عن

هبوطها في المطار، استشاطت مخابرات صدام غضباً، لأن وديع حداد لم يخبرهم مسبقاً بالعملية، كي يضمن عدم حدوث اختراق من طرفهم كما حصل في عمليات سابقة، ورغم ذلك تدخلت مخابرات صدام بعد اتصالاتها بنظام عيدي أمين، ومارست ضغوطاً كي يقبل وديع حداد الطلب الأوغندي بإنزال ركاب الطائرة إلى المبنى الثالث في المطار، وحراستهم من قبل الخاطفين، وكان ذلك طلباً إسرائيلياً كي تسهل مهاجمة المبنى وتحرير الرهائن. ولإقناع وديع حداد بذلك، أكدت له مخابرات صدام أنها مستعدة لإقناع عيدي أمين بالموافقة على وصول مسلحين من جماعة وديع حداد من بغداد، لتعزيز رفاقهم الخاطفين بعد نزولهم مع الرهائن إلى المبنى الثالث من مطار عنتيبي، وهو مبنى منعزل يمكن اقتحامه دون إرباك الحركة في باقي مباني المطار. ووافق وديع حداد على الطلب الأوغندي المدعوم بضغوطات نظام صدام، وهو في الأساس طلب إسرائيلي.

وفعلاً أرسل وديع حداد عدة عناصر مسلحة كان على رأسها أهم كادر من كوادر الجبهة الشعبية آنذاك، وأحد المعروفين من قيادة حركة القوميين العرب وهو الحاج فايز جابر. وما إن وصل مع رفاقه وانضموا إلى الخاطفين، حتى اقتحمت قوات إسرائيلية مبنى المطار، وقتلت الخاطفين الخمسة ورفاقهم الأربعة الذين وصلوا من بغداد لدعمهم، وتم الإفراج عن كل ركاب الطائرة وملاحيها.

بعد هذه العملية، بدأت مخابرات صدام حسين، مجموعة من

الضوابط التي قيدت حركة جماعة وديع حداد، ووضعتها تحت إشراف أدق لمعرفة كل ما ينوي عمله، إن لم يخبرهم به مسبقاً حسب العرف المتفق عليه.

ـ عملية خطف طائرة لوفتهانزا:

في الرابع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر عام 1977م، قامت جماعة وديع حداد بخطف طائرة لوفتهانزا الألمانية، من مايوركا الإسبانية إلى عدن، حيث قتلوا الكابتن الألماني، ثم أقلعوا بها إلى مطار مقديشيو الصومالي. وبعد ثلاثة أيام، اقتحمت فرقة كوماندوز بريطانية ـ ألمانية الطائرة، فقتلت ثلاثة من الخاطفين وحررت الرهائن كافة بدون أية خسائر بينهم، وكانت كل الدول الأوروبية تعرف أن جماعة وديع حداد، تتخذ لها مقراً رئيسياً في بغداد ومنها تنطلق كافة عملياته، بعلم ودعم المخابرات العراقية، لذلك بدأت الاتصالات الألمانية ـ الأوروبية مع نظام صدام حسين لمعالجة الأمر ورفع الغطاء عن هذه الجماعة، وإلا تعرض للمحاسبة والخطر.

دُرس الأمر في دائرة المنظمات الفلسطينية بالمخابرات العراقية، وتقرر الاستجابة لمطالب الدول الأوروبية وعلى رأسها ألمانيا الغربية آنذاك المتضررة من عملية مقديشيو. وكان من المتوقع لدى جماعة وديع حداد، أن تطلب منهم المخابرات العراقية مغادرة بغداد أو وقف نشاطهم منها. ولم يدروا أن المخابرات العراقية بتوجيه من صدام حسين شخصياً، قررت أن تكون استجابتهم بشكل يرضي الدول الأوروبية، أكثر مما كانوا يتوقعون في أوروبا ذاتها. وإنطلاقاً من هذه الاستجابة، وضُعت خطة اغتيال الدكتور وديع حداد من

المخابرات العراقية، وبعلم صدام حسين وموافقته شخصياً. لأنه كان يعرف أن هذه الجماعات تزول وتندثر فور موت قائدها أو مسؤولها، فهي جماعات لا قاعدة تنظيمية محددة لديها، وهي مجرد أفراد ومناصرين يلتفون حول القائد عن قناعة أو لأسباب مصلحية، وما أن يزول هذا القائد حتى تتشتت الجماعة وتختفي. وبهذه الطريقة يعطي انطباعاً جيداً لدى أوروبا والولايات المتحدة الأميركية، أنه لا يطرد الإرهابيين من بلاده، ولكن يقتلهم ويقضي على تجمعاتهم. وكان بذلك يريد توجيه رسالة للدول الغربية، لأنه كان ينتظر التطورات في إيران وما سوف ينجم عن الصراع الذي بدأ يتكشف بين نظام الشاه في إيران والإمام الخميني الذي كان في باريس، يقود الثورة ضد الشاه، بعد أن طرده صدام حسين من النجف.

ـ كيف تمت عملية الاغتيال؟

في الأسبوع الثاني من كانون الثاني/ يناير من عام 1978م، كان الدكتور وديع حداد في مكتبه بفيلا المسبح، يعد أوراقه وحاجياته للسفر في اليوم التالي إلى الجزائر، حيث لديه مواعيد ولقاءات مع شخصيات جزائرية أمنية وسياسية، وفجأة دق جرس الهاتف، وكان على الخط من الطرف الآخر ضابط مخابرات عراقي، أبلغه بأن لديه موعد مهم وعاجل مع مدير عام المخابرات العراقية، وعليه التوجه فوراً إلى مكتبه الذي يعرفه. كان وديع حداد غير مرتاح لهذا الاستدعاء العاجل، ولكن لا يمكنه أن يرفض. ترك أوراقه كما هي وذهب للقاء المسؤول، وعاد من اللقاء بعد أقل من ساعة، وكان

متبرماً ويشكو من ألم خفيف في المعدة. سأله رفاقه في الفيلا ما هو سبب هذا الألم المفاجئ؟ فأجاب لا أدري. ولكنني شعرت به بعد تناول القهوة في مكتب مسؤول المخابرات العراقية بدقائق، طلب منه رفاقه تأجيل سفره إلى الجزائر، فرفض الفكرة لأن المواعيد التي لديه هناك مهمة ومتفق عليها منذ أسابيع، ولا يجوز إلغاؤها قبل ليلة من السفر.

سافر وديع حداد في صبيحة اليوم التالي إلى الجزائر، وفور وصوله اشتد عليه الألم، فاستدعى له المسؤولون الجزائريون الأطباء الذين عاينوه وأوصوا بنقله إلى المستشفى. ومكث هناك حوالي أسبوعين دون أن يكتشف الأطباء سبباً لهذا الألم الذي يتصاعد من المعدة، ويحدث آثاراً جانبية خطيرة في باقي الجسم، دون أن يظهر أي سبب أو علة في كافة تحاليل الدم والبول والفحوص السريرية لكافة أماكن الجسم. وأمام هذه الظاهرة التي حيّرت الأطباء الجزائريين، وبعد مشاورات عديدة، تم نقله إلى تشيكوسلوفاكيا حيث كانت تربطه علاقات معرفة وعمل مع العديد من المسؤولين هناك.

تصاعدت حالته خطراً في المستشفى في براغ، وتم استدعاء طبيب فلسطيني مشهور من الولايات المتحدة الأميركية، شارك في التشخيص والعلاج ومكث بجواره عدة أسابيع دون أن يتمكن مع الأطباء التشيكيين من معرفة أسباب الحالة، إلا أن الخطير في الأمر هو أن جسده بدأ يتقلص مع اشتداد حالات الألم لدرجة لم تنفع معها كافة أنواع المسكنات. وإزاء خطورة حالته ورغم خلافه السابق

مع الجبهة الشعبية، وقرار فصله منها إلا أن أكثر من عضو من المكتب السياسي للجبهة، سافر إلى براغ للوقوف إلى جانبه والتعبير عن التضامن معه ومع عائلته ورفاقه.

ومات وديع في براغ ظهر الاثنين الموافق الثامن والعشرين من آذار/مارس عام 1978م.

ويقول أحد رفاق وديع حداد: كنت ما أزال في الإسكندرية، أعمل في أطروحتي لدرجة الدكتوراه، والتي سأتقدم بها لجامعة الإسكندرية، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد زكي العشماوي، عندما اتصل بي أحد الرفاق عضو قيادة جماعة وديع حداد التي كنا نسميها (الإجتماع الموسع)، وأخبرني بوفاة الخال في براغ ظهر اليوم المذكور، وطلب مني ضرورة التوجه إلى بغداد لأن جثمانه سوف يصلها بعد أيام قليلة، ومن الضروري أن أشارك في الجنازة وأساهم في الجهود الإعلامية التي سترافقها. وصلت بغداد في الثلاثين من آذار/مارس، وبعد يومين وصل جثمان وديع حداد إلى مطار بغداد، وكانت مفاجأة أن سمحت لنا المخابرات العراقية جميعاً بدخول المطار حتى مدرج هبوط الطائرة. حملنا الجثمان محاطاً بعشرات من رفاق وديع وأصدقائه، وكان معه أعضاء المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذين كانوا قد طاروا إلى براغ أثناء علاجه.

أودعنا الجثمان في مستشفى اليرموك في بغداد، وفتحنا التابوت لإلقاء ما يسمونها النظرة الأخيرة على الجثمان، وكانت المفاجأة. جثمان وديع حداد نحيف ومتقلص بشكل لا يصدقه أحد، خاصة

للحضور الذين يعرفون أبو هاني بجسده الممتلئ وقامته الطويلة، مما يعني أن نوع الإصابة التي أدت إلى وفاته، كانت تعمل تدريجياً على تآكل الجسد وتقلصه. وشيع جثمان وديع في جنازة مهيبة في العاصمة العراقية، حضرها الأمين العام للجبهة الشعبية الدكتور جورج حبش رغم خلافه السابق مع وديع الذي أدى إلى فصله من الجبهة. وأتذكر يومها أنه في حفل التأبين الذي أعقب التشييع، قال جورج حبش في خطابه، ما معناه «يقولون أن وديع حداد إرهابي! نعم إنه الإرهاب الذي يرد على إرهاب العدو الصهيوني».

في المساء فُتح باب العزاء في فيلا المسبح، وجاء مدير المخابرات العراقية سعدون شاكر لتقديم العزاء، وبعد جلوسه توجه بالسؤال إلى عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية، الذي كان مع وديع حداد في المستشفى في براغ، سأله قائلاً: «رفيق... ماذا قال الأطباء التشيك عن أسباب الوفاة...؟» أجابه: «لم يحددوا سبباً معيناً، لكن طبيباً فلسطينياً يعمل في المستشفيات الأميركية، أخذ عينة من الجسد سوف يحللها هناك ويخبرنا بالنتيجة والسبب خلال أيام».

استعاد سعدون شاكر المعلومة، وعلى وجهه بعض مظاهر القلق والارتباك واستأذن على الفور خارجاً من مجلس العزاء!.

وثبت بعد ذلك دون أن يجرؤ أحد على قول الحقيقة، وهي أن المسؤول المخابراتي الذي استدعى وديع حداد إلى مكتبه ليلة سفره إلى الجزائر، دسّ له في القهوة نوعاً خاصاً من السموم المعروفة عالمياً، لا تظهر أية نتائج أو ظواهر لها في تحليلات الدم

أو الفحوصات السريرية. وبقتل وديع حداد حقق نظام صدام حسين هدفين:

1 ـ استرضاء حكومة ألمانيا الغربية بقتل من خطف طائرتين ألمانيتين، وقتل طيار إحداها في عملية مقديشو عام 1977م.

2 ـ توجيه رسالة غير مباشرة للدول الغربية والولايات المتحدة الأميركية بأنه لا يأوي إرهابيين، وعندما يكتشفهم يقوم فعلاً بقتلهم، وهي رسالة مهدت للدعم الذي لقيه، وهو يشن حرباً غير مبررة لمدة ثماني سنوات ضد جارته إيران. تلك واحدة من أشهر جرائم صدام حسين بحق الشعب الفلسطيني، كان يغطي عليها بأفعاله التلفزيونية كجيش القدس الذي ادّعى أنه وصل إلى أربعة ملايين وبتكراره الهتاف بحياة فلسطين في نهاية كل خطاب له.

ألدو مورو
(1916 - 1978)

يعتبر ألدو مورو من أقوى الشخصيات المتنفذة في السياسة الإيطالية، ومثلاً للحزم ورباطة الجأش وبرودة الأعصاب، إنه صخرة ملساء لا تطالها يد، وأمير لا يمكن النفاذ إلى صمته والتعرف على أطماعه وطموحه.

- السيرة والنشأة:

ولد ألدو مورو في 21 أيلول/سبتمبر عام 1916، لأب موظف في الإدارة الحكومية، وقضى طفولته في تارنت وباري التي أصبحت منذ عام 1945 دائرته الانتخابية، وفي العام 1939 أصبح رئيساً قومياً لإتحاد الجامعيين الكاثوليك، ثم رئيساً للمجموعة الكاثوليكية في التعليم العالي.

ومنذ وصول ألدو مورو إلى مجلس النواب الإيطالي غدا أملاً تتطلع إليه الفئات المؤيدة للحزب المسيحي الديمقراطي، وعرف عنه الحذر والصبر.

تولى مورو وزارة العدلية عام 1955، والإدارة العامة 1957،

وظهر فجأة وكأنه المرشح الوحيد المؤقت لتولي منصب السكرتارية العامة للحزب المسيحي الديمقراطي عام 1959 بعد أن تخلى الحزب عن السنيور فنفاني الذي لا يعتمد عليه دوماً في مراحل الانتقال.

وقام ألدو مورو بعد ذلك من خلال ما استمع إليه ولاحظه ببناء موزاييك التطورات التي أدت إلى تحالف الوسط اليساري الذي شكل أول حكومة له في عام 1963.

وبناءً على رأي فنفاني الذي كان يرى أن هذه الأكثرية البرلمانية لا تشكل صيغة لدعم سياسة الحزب المسيحي الديمقراطي عارض ألدو مورو وضع برنامج مشترك للإصلاح يقتضي تنازلات أيديولوجية من قبل الأحزاب المعنية. وعلى هذا الصعيد أقام علاقات شخصية خصبة مع السنيور بيترونيني، وغوزيب سراغات السكرتيرين العامين للحزب الإشتراكي والحزب الإجتماعي الديمقراطي. . ومنذ طور الوسط اليساري إلى فلسفة سياسية وهاجم بعنف سياسة الضغوط من أجل تطوير سياسة جذب انتباه الشيوعيين ولم يفكر آنذاك بالتعاون مع الشيوعيين، ولكنه كان يرى أنه لا يمكن إجراء أي إصلاح في الدولة وفي المجتمع الإيطالي دون مساعدته وهو يرى أن الدولة مفهوم مستقل وينبغي أن لا تخضع لمطالب الكنيسة الكاثوليكية.

وهذا المنعطف يفسر التحفظ الذي التزم به ألدو مورو خلال السنوات الأخيرة. فقد ترك السنيور فنفاني منافسه الدائم يدخل معركة خاسرة في الحملة ضد الطلاق وتحمل مسؤولية تراجع حزبه في انتخابات العام 1976.

ومنذ استأنف ألدو مورو بصفته رئيساً للحزب وهي وظيفة شرفية قيادته للحزب المسيحي الديمقراطي دون أن يبرز على مسرح الأحداث، ووضع معالم إستراتيجية جديدة دون أن يتحدث عنها مطلقاً، وقد نفذ هذه الإستراتيجية صديقه الحميم السنيور زتشانيني الذي تولى السكرتارية العامة للحزب وخلال الأسابيع الأخيرة من العام 1978 اكتشف أن ألدو مورو كان يسعى إلى تحقيق إجماع حزبه على ضرورة التعاون مع الشيوعيين أي دخولهم رسمياً في تكتل الأكثرية البرلمانية وأصبح واضحاً أن إمكانية تولي ألدو مورو رئاسة الجمهورية نهاية أضحى أمراً قريباً بالنسبة له.

ـ اختطاف ألدو مورو وتصفيته:

فلنعد إلى البداية أي إلى السادس عشر من آذار/ مارس عام 1978. الساعة التاسعة صباحاً صعد ألدو مورو إلى سيارته برفقة خمسة من حراسه ليتوجه إلى المجلس النيابي حيث كان سيحصد ثمار شهور بل سنوات من عمله السياسي. أي ضم الشيوعيين إلى غالبية الحكم للمرة الأولى بعد الحرب الأخيرة يشارك حزب شيوعي في إدارة حكم الديمقراطية الغربية دون أية اشتباكات دموية. صحيح أن الحزب الشيوعي يمثل 34,5 بالمائة من الشعب الإيطالي لكن يبقى ألدو مورو هو الذي مكّن هذا الدخول الهادئ لحلفاء لينين، في معبد الحكم البرجوازي ودون أي خلل في التركيبة السياسية الديمقراطية.

الساعة التاسعة وعشر دقائق تعترض سيارة فيات 128 تحمل رقماً دبلوماسياً طريق مورو، وبأقل من دقيقة، أحد المسلحين يطلق

فيها ثمانون رصاصة. فيقتل الحراس الخمسة أما مورو الذي لم يصب إلا بخدوش بسيطة فيُخطف ولم يعرف من هم المدبرون لهذه الجريمة في البداية.

ثم عرف أن الألوية الحمراء هي وراء عملية الاختطاف. وبعد مفاوضات طويلة بين الحكومة والألوية الحمراء عثر على جثمان ألدو مورو بتاريخ 9/ 5/ 1978 في سيارة صغيرة مسروقة بالقرب من مقر الحزب الشيوعي في وسط روما، وتبين أنه أصيب بما مجموعه 11 رصاصة أطلقت على قلبه من مسافة قريبة.

ولم يكن نبأ العثور على الجثة ينتشر بسرعة في جميع أنحاء البلاد حتى تجمهر ألوف السكان للقيام بمظاهرات تلقائية في حين كان كثيرون منهم يبكون. وقد بكى ملايين الإيطاليين أمام أجهزة التلفزة في منازلهم عندما عرضت جثته.

ـ الألوية الحمراء:

هي تنظيم إيطالي يساري متطرف تأسس في إيطاليا عام 1970م من فكر وعقيدة معارضة للنظام الفاشي الذي كان قائماً في إيطاليا، لمواجهة أعمال العنف والإرهاب التي كانت تمارسها الحركة الفاشية في عهد موسوليني والتي نفذت الكثير من الأعمال الإرهابية في العديد من المدن الإيطالية كان أبرزها في مدينة ميلانو التي نُفذت فيها عملية إرهابية في السادس عشر من كانون الأول/ ديسمبر عام 1969م تسببت بقتل العشرات وجرح المئات. فجاء تنظيم حركة «الألوية الحمراء» للرد على هذا الإرهاب الفاشي والسيطرة على السلطة. وجاء تأسيسها على أيدي مجموعة من الطلبة الإيطاليين في

كلية علم الإجتماع الشهيرة في تورينو وعلى رأسهم ريناتو كورشيو الذي بدأ نشاطاته بقيادة حركة طلابية في جامعة ترانتا وكان معروفاً آنذاك بأنه كاثوليكي يميني، إلاّ أنه بعد ذلك ما لبث أن تحول إلى العمل اليساري التحرري مؤسساً عدداً من التنظيمات كان أبرزها «الألوية الحمراء».

في سنة 1974 تطورت الحركة بالرغم من أن السلطات الإيطالية ألقت القبض على مؤسسي الحركة وازدادت عملياتها وأصبح اسم التنظيم «اليسار البروليتاري» أما أعضاؤها فكانوا شباباً هامشيين من طلاب وعمال ومفكرين وهم الذين حولوا منظمة «اليسار البروليتاري» إلى الحزب المسلح المعروف بـ «الألوية الحمراء»، وبالرغم من الفرق الكبير بين الألوية الحمراء و«اللجنة الميتروبولية السياسية» فلا يزال مؤسسو اللجنة يعتبرون الزعماء التقليديين للألوية الحمراء. أما هدف الألوية الحمراء الأساسي فكان إسقاط الحكومة الإيطالية واستبدالها بديكتاتورية البروليتاريا، وذلك بواسطة العمليات الإرهابية التي زعزعت الأمن في إيطاليا لكنها لم تسقط الحكومة. فلقد جاء خطف واغتيال ألدو مورو كجزء من هذه الإستراتيجية لكن كان لهذه العملية أبعاد عالمية واسعة تتخطى نطاق الألوية الحمراء، فمنذ أن قاموا بهذه العملية والأسئلة حول اتصال بالخارج تتكاثر. فألدو مورو هو أول سياسي إيطالي، والسياسي الوحيد الذي كان باستطاعته أن يحقق تحالفاً بين الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم وهما أكبر حزبين في إيطاليا، وإمكانية قيام حكومة تضم الحزب الشيوعي في تحالف كهذا تعني المزيد من الاستقرار في إيطاليا. لكن في اليوم الذي كان من المنتظر أن

يصوت البرلمان بشأن أول حكومة تنال ثقة الحزب الشيوعي خُطف ألدو مورو وهكذا ضاعت فرصة التحالف بين الحزبين! كما أن الحزب الشيوعي خسر عدداً هاماً من الأصوات في الانتخابات التالية إذ أن الكثيرين اعتقدوا أن أعضاء الألوية الحمراء شيوعيون. أما نتيجة العملية فكانت كما أراد الفريق الخارجي الذي شاهد الألوية الحمراء ودفعها لخطف ألدو مورو فلم يكن باستطاعة هذا التنظيم حينذاك أن يقوم بعملية كهذه دون مساعدة خارجية من دولة كبرى.

وبالفعل فلقد اكتشف خلال التحقيق بعملية اغتيال ألدو مورو أن اتصالات الألوية الحمراء بالخارج كانت مكثفة ومعقدة في نفس الوقت لذلك لا يزال السند الأساسي لهذه المنظمة مجهولاً.

أما زوجة مورو فقالت إن الحكومة الإيطالية لم تفعل ما كان عليها أن تفعل لتمنع عملية اغتيال زوجها. وقالت إن رئيس الحكومة السابق كان قد طلب عربة محصنة ورُفض طلبه بسبب انعدام الموارد لكن زملاء مورو كذبوا هذا التصريح وقالوا إن مورو لم يتقدم أبداً بهذا الطلب لقد انتهى أخيراً التحقيق بقصة حياة الألوية الحمراء وقصة موت ألدو مورو. لكن الحقيقة لا تزال غامضة، ويبدو من خلال المعلومات المتوفرة أن السلطات الإيطالية ألقت القبض على منفذي الجريمة وتركت مصمميها في كامل الحرية[1].

---

(1) **«أشهر الاغتيالات السياسية في العالم»**، هاني الخير، دار الكتاب العربي، دمشق، ج1، ص 233 ـ 236.

طوني فرنجية
(1978 - 1941)

- «إنني أفضّل ألف مرة أن أكون في القاعدة الشعبية التي تحمي الرئاسة من أن أكون دمية خرساء في الواجهة السياسية التي تحميها الرئاسة».

- «لبنان المعافى أمانة يجب أن نحرص عليها، وصاحب رسالة عربية وإنسانية مكنته من الصمود والتطور، وأثبتت قدرته على التجاوب مع كل قضية حق».

- «لبنان القديم لا يمكن أن يعود، ولا نريده أن يرجع، لبنان الذي نريده واحداً، هو لبنان المتطور، والذي يتفق عليه جميع اللبنانيين، إن الذين بنوا نظامنا القديم، من المؤكد أنهم جاهدوا كثيراً، لكن التطور أمر حتمي...».

- «إننا نرفض أي تعامل مع إسرائيل، ونرفض فرض الخوّات على المواطنين...».

- «إن قدرنا كلبنانيين أن نكون معاً، وأن نتعايش بسلام على كل الصعد...».

«الأشخاص يزولون، أما لبنان فهو باق، ونتضرع إلى سيدة زغرتا أن تحرس لبنان».

«إن ما قمنا به في الشمال كان فعلاً لمحاربة التقسيم، ونحن على استعداد للموت من أجل منع التقسيم».

هناك رجال يموتون من أجل مصالحهم، وهناك رجال يموتون من أجل شعبهم، وهناك رجال يموتون من أجل قضيتهم، وهناك الرجال الذين استشهدوا من أجل مبادئهم.

إن طوني فرنجية ابن البيت العريق الذي ما تخلى يوماً عن مبادئه، قد اغتيل من أجل تلك المبادئ.

المبدأ الأول الذي اغتيل من أجله طوني فرنجية «إن لبنان أصغر من أن يقسَّم وأكبر من أن يُبلع».

المبدأ الثاني الذي قتلوا طوني فرنجية من أجله «بأن لا تعامل أو تعاون مع عدو الأمة وعدو المسيحية وعدو البشرية جمعاء».

والمبدأ الثالث الذي اغتيل طوني فرنجية من أجله «إن قدرنا كلبنانيين أن نكون معاً، وأن نتعايش بسلام على كل الصعد...».

هذه هي الأفكار والمبادئ التي اغتيل من أجلها طوني فرنجية وزوجته والملاك الطاهر البريء، زنبقة الثلاث سنوات، جيهان ورفاقه الذين أبوا إلا أن يحمون بصدورهم قائدهم الذي لطالما آمنوا بمبادئه.

فطوني فرنجية، لم يكن ليستشهد في فجر الثالث عشر من حزيران 1978، لو لم يكن وفياً لإيمانه بوحدة لبنان وبنظامه

الديمقراطي المتطور وبسيادته، وبعلاقاته مع محيطه العربي، ولو لم يقف حتى الرمق الأخير مدافعاً عنيداً عن هذا الإيمان.

ـ ولادته:

ولد طوني فرنجية في بلدة إهدن قضاء زغرتا، محافظة لبنان الشمالي، والده الرئيس سليمان حميد فرنجية الزعيم الشمالي البارز وبطل من أبطال الإستقلال. والدته الست إيريس فرنجية.

تفتحت عيني طوني فرنجية على الحياة وكانت الكرة الأرضية منهمكة بالحرب العالمية الثانية، وكانت ولادته في 1 أيلول/ سبتمبر عام 1941، في إهدن التي شهدت على عملية اغتياله البربرية، واحتضنت رفاته الغالية.

كان لبنان حينذاك خاضعاً للإنتداب الفرنسي، وكان الرئيس سليمان فرنجية ـ قبل أن يصبح رئيساً ـ مرجع الأهالي السياسي في شمال لبنان عموماً وفي زغرتا خصوصاً. وتأميناً للمواد والحاجيات الضرورية التي عزّت كان يُعمل بنظام «الإعاشة» في الأنحاء اللبنانية كافة. وكانت تلك الإعاشة قد وزعت على الأهالي وهي غير كافية، وكان يوجد منها كميات كبيرة مخزنة في سرايا زغرتا. ذهب وفد من الأهالي إلى سليمان فرنجية حيث مكتبه في طرابلس ووضعوه في صورة ما جرى. فتوجه هذا على الفور، إلى زغرتا، ومنها تواً إلى السرايا، حيث فتح جميع الأبواب الموصدة بوجه الأهالي. ومن هناك أقفل عائداً إلى «قهوة التل» حيث السرايا الجديدة اليوم. وفي طريقه إليها، صادف قرب بيت «آل روميّه» مقابل سينما «كونكورد»، امرأة على قارعة الطريق كانت تنتظره لتشكره، وكانت

أرملة وأماً لسبعة أولاد. ركعت على الأرض وكشفت عن صدرها وطفقت تقرعها بيدها مرددة، عالياً، الدعاء التالي: «الله يبعتلك صبي». وكان لها ما طلبت، وكانت ولادة الطفل بعد أيام قليلة.

ـ طفولته:

في صغره لم يكن طوني فرنجية مجتهداً. ويذكر في أحاديثه الصحافية كيف كان والده، الرئيس فرنجية، يعلمه وإخوته شارحاً لهم دروسهم. وأطرف ما تبقيه الصحف لنا عن لسانه أنه قضى سنة الحضانة في مدرسة الراهبات، في زغرتا، وكان يذهب إليها على ظهر حمار لوحده وهو في الرابعة من عمره، وكان يربطه لدى وصوله بشباك الصف إلى حين انتهاء النهار. ولم يطل الأمر، حتى صار التلميذ الصغير يهرب من المدرسة.

من مدرسة «الراهبات» في زغرتا إلى معهد «الفرير» في طرابلس، انسلخ طوني فرنجية عن طفولته التي كانت بالكامل في الهواء الطلق، ومن الحرية التي كانت تمثلها له كروم ومروج زغرتا، إلى جوّ دراسي أكثر صرامة، مبتعداً عن حياة الطبيعة التي لم يعد يتمتع بها إلا صيفاً.

كانت من أحب الهوايات إلى قلبه هواية ركوب الخيل. في عطلة فصل الصيف كنت تراه كل يوم ممتطياً حصانه يتجول في إهدن وضواحيها: في مناطق الوطى والمطل وعين الوحش، في جوعيت والحرش، في الدواليب وبقوفا.

روي أنه ذات يوم تأخر كثيراً في العودة إلى البيت. . .

وقد حلّ الليل. طلبه أهله فلم يجدوه. فتّش عنه الأصدقاء دون جدوى. وأخيراً وجدوه في ملاعب «حمينا» وهو على صهوة جواده يقطع الملاعب ذهاباً وإياباً... فقالوا له: لقد حلّ الليل ويجدر بك أن تعود إلى البيت، ماذا تفعل هنا في هذه الساعة؟ أجاب: إني أتعلم أصول وفنون الفروسية.... لقد قيل لي أن بطل لبنان يوسف بك كرم غالباً ما كان يأتي إلى هنا، إلى ملاعب «حمينا»، ليتعلم فنون الفروسية برفقة رجاله الأبطال.

- طوني فرنجية السياسي:

في العام 1958، ترك «فرير» طرابلس إلى «فرير» بيروت، مدة سنتين، عاد خلالها إلى عادته القديمة في ترك الصف، ليس لمجرد اللهو، هذه المرة، بل إتماماً لبعض الواجبات، غير المدرسية، بالطبع التي راح يتنازل معها شيئاً فشيئاً، عن حياته الخاصة لصالح حياة سياسية بدأت تأخذ، في تلك الآونة، شكل مؤازرة لوالده، وهو ابن البيت السياسي العريق. سليل قبلان فرنجية الذي أوصلته الإرادة الشعبية، عنوة، سنة 1929، وعلى شفار السيوف الفرنسية، إلى السدة النيابية. وحميد فرنجية الذي بدأ من النيابة سنة 1934 والوزارة بدءاً من سنة 1938 ومن مفاوضات الجلاء، والنقد الوطني، كاد يكون الرئيس الثاني للجمهورية بعد الرئيس بشارة الخوري منتخباً مرتين أولى سنة 1943 وثانية سنة 1950. وبانجذابه التدريجي إلى اللعبة السياسية، سرعان ما اتضحت له استحالة إكمال دروسه في كلية إدارة الأعمال في الجامعة اليسوعية، فانصرف عن مقاعدها «مكرهاً» كما قال في أحد الأحاديث الصحافية التي أدلى بها بعد

انتخابه نائباً، عن زغرتا بعد شغور المقعد الذي كان يشغله والده في 25 تشرين الأول/أكتوبر عام 1970.

ـ فلسفته السياسية:

في هذا الحديث، بالذات، حدّد، أصغر نائب في المجلس، آنئذ، شروط السياسة بقوله إنها ليست مهنة نتعلمها، أو علماً نتلقاه. هي في الدم. والدعوة إليها تستلزم التضحيات. إلى ذلك فإنها تتطلب ثلاثة:

1 ـ الصراحة: بمعنى أن يكون السياسي صريحاً وليس أن يقول كل ما يعرف.

2 ـ الشجاعة.

3 ـ برودة الأعصاب.

هذه الشروط، كانت نصب عينيه، منذ بداية تمرسه في العمل السياسي، سنة 1960، كما بيّناه قائماً، في البداية، بالمسؤوليات المتوجبة، في غياب والده الذي تضطره الظروف، أحياناً إلى ملازمة بيروت، والابتعاد عن قضايا وشواغل دائرته الانتخابية، ومستقطباً المراجعات، كافة، بوصول والده، إلى السدة الرئاسية، وإنشائه في طرابلس مكتباً لهذا الغرض عرف، صحافياً، باسمه «مكتب طوني».

ـ زواجه:

إن تعرّف طوني فرنجية بخليلة روحه ورفيقة دربه واستشهاده لهي محطة حياتية هامة لا بد من التوقف عندها: فيرا قرداحي، اللبنانية الأصل، المصرية النشأة والإقامة، التي جاءت لتقضي فصل

الصيف عند خالها، في جوار إهدن، فالتقت طوني فرنجية وكانت لها إهدن في كل الفصول.

في السابعة عشرة كانت فيرا قرداحي عندما دق قلبها لطوني وصارت فيرا قرداحي فرنجية. ومن ذاك، وإلى أن واجها، مع ابنتهما جيهان، قدرهم المشؤوم، كانت فيرا لا تسرق من وقته إلا ما تبقيه السياسة.

لدى إتفاقهما على الزواج اعترضتهما مشكلة كون العروس لم تبلغ سن الرشد بعد، ما يتطلب أخذ موافقة أهلها. والاتصال بالأهل في مصر يستغرق وقتاً يضيق معه صدر المتحابين. فما كان من العريس إلا اللجوء إلى الطريقة اللبنانية القديمة أي «الخطيفة» واضعاً بقوانين الحب الآمر - المطاع الجميع أمام الأمر الواقع: قوانين الكنيسة التي تشترط رضى الأهل، في هذه الحالة، لمباركة الإكليل، الأهل وخالها، الوزير السابق، جبران النحاس، في طرابلس. فتنقل «موكب الخطيفة» والإفادة للأب يوسف يمين، مبارك الإكليل، ما بين زغرتا وطرابلس والضنية وعكار وكسروان ريثما تنجز الأوراق الرسمية. ولم تحلّ المشكلة إلا بعد تدخل الكرسي البطريركي الماروني. وفي كنيسة مار الياس انطلياس، كنيسة «العامية» الشهيرة باسمها، وفي حفلة بسيطة اقتصرت على بعض المقرّبين والأصدقاء، تمّ الزواج، عام 1962. لكن زغرتا التي أفرحها النبأ لم ترض بهذه المراسم البسيطة. فأعدت لهما مراسماً على طريقتها الشعبية الخاصة. واستقبلتهما بالدبكة ورقصة السيوف والزلاغيط وصوت وديع الصافي الذي اهتزت له أرجاء ملاعب

تكميلية زغرتا الأولى للصبيان أي (التكميلية التي حملت اسمه بعد اغتياله) التي غرقت في حشود بشرية قلما شهدت المنطقة مثيلها، اللهم إلا بعد انتخاب والده رئيساً للجمهورية. وكان عرس طوني فرنجية في زغرتا من الأيام التي لا تنسى.

ـ في معترك السياسة:

في النصف الثاني من الستينات برزت لدى طوني فرنجية مؤهلات قيادية مميزة لقربه المبكر من الهمّ السياسي ومعايشته المستمرة لقضايا الناس وحاجات منطقته. فأدار مكتب والده في طرابلس، ومكتبه، ومن ثمّ، متابعاً الاهتمامات العامة، وملاحقاً المراجعات والمطالب الخاصة، فأكسبته ممارسته خبرة تطبيقية خولته تكوين رصيد دفعه إلى دائرة الضوء، من الباب الواسع.

ـ في بنشعي:

يوم طَرح فكرة إقامة مخيم للتدريب سنة 1969 في بنشعي «مركز قيادة نجله سليمان لاحقاً»، تردد بأن طوني فرنجية من أوائل الزعماء اللبنانيين الذين استوعبوا المشكلة اللبنانية بتطوراتها المستقبلية، وتوقعوا حجم وطبيعة الأخطار المحدقة بالوطن. والفكرة كانت تلتقي، أساساً مع مواقف والده إنطلاقاً من المبادئ التالية:

1 ـ الحفاظ على لبنان سيداً، حراً، مستقلاً.

2 ـ الابتعاد عن أي تشنج طائفي.

3 ـ الابتعاد عن تحقيق أي مكسب سياسي خاص.

ـ طوني فرنجية نائباً:

باعتلاء الرئيس سليمان فرنجية الكرسي الأولى شغر مركزه النيابي، فأعلن طوني فرنجية ترشيح نفسه للمقعد الشاغر بانتخاب والده رئيساً للبلاد. ووجه إلى والده قبيل تسلمه مسؤولياته الدستورية رسالة استأثرت بالاهتمام لتعبيرها عن مشاعر اللبنانيين وأفكارهم نحو الرئيس الجديد، واعتبرت بمثابة إطلالة سياسية أولى بعد إعلان ترشيحه.

«والدي. . . . سليمان فرنجية قبل أن تقسم اليمين الدستورية ـ غداً أمام الله والوطن وأمام ضميرك وقبل أن أسلك، أنا، طريق السياسة، إسمح لي كولدك، أن أصارحك لآخر مرة قبل أن تصبح، أنت أباً لجميع اللبنانيين.

إنك تتسلم الحكم وسط إنطلاقة من الفرح قلما شهدها لبنان من قبل، فرح عمّ مختلف مناطق لبنان، من صيدا حيث أضرم أبناؤها شواطئهم، إلى عكار حيث كان الجبل شعلة من نار، إلى الغربية التي انضمت إلى الشرقية في فرحة عارمة، حتى شارع الحمراء حيث رقص الشباب طوال الليل. كانت البهجة في كل مكان في لبنان، عفوية، جامعة.

على أن ما أريد أن أصارحك به، هو أن ذلك الحماس لم يكن موجهاً إلى سليمان فرنجية ـ الرجل الذي لا يعرفه جيداً إلا القليل من اللبنانيين. فأنت لست ذلك الخطيب الذي يلهب مشاعر الجماهير. وأنت لم تتزلف أبداً في سبيل كسب تأييد الناس. وأنت لم تفصح أبداً ـ حتى إلى أقرب المقربين إليك ـ بخفايا ما يدور في

ذهنك. . . وبما يشغل بالك من مشاكل، بل كنت دائماً، تفضل التأمل ومعالجتها بين الله وبينك.

أنت لا تتمتع بثقافة جامعية تثير إعجاب الناس، وغريزتك في التفكير الصائب لا يعرفها سوى المقربين إليك. فلماذا إذن، تلك البهجة التي نشهدها كل يوم، ذلك الأمل الذي ينبعث ـ لدى ظهورك ـ في قلوب المتواضعين من الشعب ـ كباراً وصغاراً ـ فيطلقون الدعاء والتمنيات العفوية، قائلين: «الله معك يا سليمان». أمل لم يعد بالإمكان تخييبه، يضاعف المسؤولية الملقاة على عاتقك.

أرجو أن تكون بهجة اللبنانيين نابعة من شعورهم بأن يكون اهتمامك بالعائلة اللبنانية التي تسلمت مقدراتها، شبيهاً باهتمامك بالعائلة الصغيرة التي أنا من بين أفرادها.

مزيج من الحزم والطيبة: حزم إزاء أية أخطاء تنال من المبادئ، وطيبة وتفهم الهفوات الناجمة عن الضعف البشري. حزم وطيبة. . . ثم شجاعة جعلت من حياتك المثل الذي نحتذي به. . . . وعطاء حتى التضحية في سبيل الغير.

إن عائلتك الصغيرة ـ بأفرادها التي كانت دائماً موضع اهتمامك ـ هي صورة مصغرة للعائلة اللبنانية التي أصبح مستقبله الآن بين يديك.

رأيتك يوماً تتألم عندما هاجرت إحدى شقيقاتي من لبنان. وهذا ما سيجعلك تفكر حتماً بأن آلاف العائلات سيحز فيها ألم مماثل كل سنة. ولا شك في أن صورة أولئك الشباب الذين

مزقوا جوازات سفرهم يوم انتخابك وعدلوا عن الهجرة، ستبقى راسخة في ذهنك. وإذا كان أخي الشاب يفتش بقلق وحيرة عن طريق المستقبل، فلا بد أن تفكر ملياً بأن ثلاثين ألف شاب مثله يعانون، كل سنة، من نفس المشكلة، وهذا ما سيجعلك تتفهم ثورة هؤلاء الشباب على مجتمع لا يحاول تفهم مشاكلهم وإيجاد الحلول لها.

عرفت المرض عن كثب، وكنت شاهداً على الكثير من الفقر ومما يجر من يأس. وهذا ما سيجعلك تعرف السبيل إلى تخفيف آلام الغير.

إن أمنيتي الوحيدة هي أن تكون ـ بالنسبة للبنانيين ـ رب العائلة الذي عرفت، عندها سنفتح أبواب الأمل أمام الجميع.

أمل بأن يتساوى الجميع أمام القانون.

أمل بأن يعم النظام، في ظل ذلك القانون.

أمل بأن يكون لبنان لجميع أبنائه دون تمييز للفقير قبل الغني، للمحروم قبل المنعم عليه.

أمل بأن تحظى الطبقات العاملة بظروف أفضل للعمل وفرص أشرف للعيش. أمل بأن تكون الإدارة في خدمة المواطن مجندة للخدمة غير خاضعة لنفوذ أو وساطات.

أمل بأن تتاح للشعب بأسره فرص المشاركة في مسؤوليات الحكم والإدارة والعمل، في إطار من الديمقراطية الحقيقية والحرية.

أمل بأن يفسح المجال أمام الشباب الكفؤ لوضع إمكاناته في خدمة بلد يتوق إلى خدمته.

عندئذ ينتاب اللبنانيين شعور بالفخر ـ كما أشعر أنا ـ بأنهم أبناء لأب صالح عرف باستقامته، وترفعه، باندفاعه في العطاء وكرمه، حتى أطلق عليه اللبناني الأول لقب «الفارس الأصيل».

(أنطوان سليمان فرنجية)
نائب زغرتا

ما إن أعلن طوني فرنجية ترشيحه حتى التفت زغرتا حوله لتزكّي خلافته لوالده في المقعد الذي خلا بارتقائه سدة الرئاسة. وأصدر زعماؤها، لهذه الغاية بياناً، جاء فيه:

«بمناسبة إجراء الانتخابات النيابية الفرعية في قضاء زغرتا، يوم الأحد 8 تشرين الثاني/نوفمبر القادم، نحن ممثلي عائلات دويهي وكرم ومعوض ومكاري ـ بحسب الترتيب الأبجدي ـ حفاظاً منا على وحدة الكلمة في منطقتنا العزيزة، وتأكيداً على ما تمّ فيها، والحمد لله، من تآلف للقلوب، نعلن أن مرشحنا جميعاً هو الأستاذ أنطوان سليمان فرنجية.

وفيما نرجو أن يتم انتخابه بالتزكية، ودونما حاجة إلى إجراء عمليات اقتراع، يسرنا أن نتوسم في المرشح الشاب كل الخير، لما عهدناه فيه من صفات إنسانية أصيلة، واندفاع في سبيل المصلحة العامة، داعين له ولكم بالسعادة والتوفيق».

وحمل البيان تواقيع النائب الأب سمعان الدويهي، أسعد بك كرم، النائب رينيه معوض، والشيخ سيمون بولس[1].

ولما لم يتقدم أي مرشح آخر أعلنت وزارة الداخلية أن مهلة الترشيح للانتخاب الفرعي في دائرة زغرتا المقرر إجراؤه يوم الأحد 8 تشرين الثاني/ نوفمبر قد انتهت ليل الجمعة 23 تشرين الأول/ أكتوبر ولم يتقدم بتصريح ترشيح إلا السيد أنطوان سليمان فرنجية. واستناداً إلى المادة 35 من قانون انتخاب أعضاء المجلس الصادر في 26 نيسان/ أبريل 1960 يعتبر السيد فرنجية فائزاً بالتزكية ولا يصار إلى إجراء انتخابات للمقعد الخالي[2].

ـ كلمته الأولى في المجلس النيابي:

لا يزال أنصار ومحبو طوني فرنجية إلى اليوم، يتذكرون وقفته الأولى في المجلس النيابي. والإذاعة التي ثبت عامود إرسالها، عالياً، في سماء إهدن، آملاً منها حمل الصوت إلى البعيد، رددت، في محطاتها التذكارية، صدى كلماتها الأولى تحت قبة البرلمان. وهنا ما جاء في خطابه النيابي الأول الذي ألقاه سنة 1971:

«إنني أجد نفسي وأنا أقف للمرة الأولى تحت قبة هذا المجلس الكريم، أمام أخطر امتحان عرفته في حياتي، وربما لم يعرف أحد قبلي امتحاناً بهذه الدقة. وإنني أعتبر نداء الواجب مقدساً على أي حال والعمل بإرادة الأمة مثلاً أعلى وهدفاً أسمى، وإن أول

---

(1) «صدى الشمال» 24 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1970.

(2) جريدة «النهار»، 25/ 10/ 1970.

ما يدعوني إليه الواجب هو أن أكون أميناً في المحافظة على رسالة البيت الذي كان آخر عصاميه ولن يكون أخيرهم فخامة الرئيس سليمان فرنجية. ففي اليوم الذي انتخب فيه رئيساً للجمهورية أصبح أباً لجميع اللبنانيين وشعرت كفرد من أبناء الشمال أن الرجل الذي بدأ يملأ فراغ الحكم في لبنان بأصالة لبنان قد ترك في الشمال فراغاً لم أتردد في معانقة التجربة لأنني أؤمن بمبادئه الشريفة وأعمل على تطبيقها. وأول هذه المبادئ خدمة الشعب».

وأضاف: «أود في هذه المناسبة أن أقطع على نفسي ثلاثة عهود أمام هذا المجلس الكريم: عهداً تجاه فخامة الرئيس سليمان فرنجية والأستاذ حميد فرنجية اللذين أخلفهما رأياً وعقيدة في هذا البرلمان وأن أكون شديد الخصومة في الحق عنيداً في مقاومة الباطل وفياً لإخواني المواطنين من أبناء الشمال خصوصاً وأفراد الشعب اللبناني عموماً وعهداً تجاه الشباب هو أن أظل أميناً على رسالته حافظاً لإرادته في خلق لبنان جديد.

وعهداً ثالثاً تجاه نفسي هو أن أنجح في تمثيل هذا الشعب وخدمته وأن أردّ إليه الأمانة وأعود إلى صفوفه لأنني أفضّل ألف مرة أن أكون في القاعدة الشعبية التي تحمي الرئاسة من أن أكون دمية خرساء في الواجهة السياسية التي تحميها الرئاسة».

ـ النائب والمسؤولية:

حدّد النائب طوني فرنجية في خلال ممارسته العمل البرلماني مسؤولية النيابة فقال: «إن النيابة رسالة ومسؤولية، وبكلام آخر اعتبر النائب مواطناً عادياً انتدبه ناخبوه في مهمة معينة».

وقال: «إن الذي يرضى عن نفسه كلياً يكون قد انتهى. فالرضى عن النفس له عندي تفسير واحد، وهو أن يواصل الإنسان السعي والبحث عن الأفضل أو عما يراه أفضل».

ورأى أن واجبات النائب في أن يكون واعياً دوره الأساسي، تحت قبة البرلمان وأن يكون مخلصاً وأميناً في تمثيل الشعب الذي انتخبه بالسهر على مصالح هذا الشعب ومصلحة البلاد ثمّ مراقبة أعمال السلطة التنفيذية ومحاسبتها لا لمجرد المراقبة والمحاسبة بل من أجل تقويم كل اعوجاج وتلافي كل خطأ أو خطر.

وفي معرض دفاعه عن النظام الديمقراطي قال النائب فرنجية: صحيح أن النظام الديمقراطي البرلماني الذي نعيش في ظله ليس كاملاً وليس خالياً من العيوب والشوائب إلا أننا نجد بعد التأمل الهادئ أن نظامنا أقل سوءاً من غيره خصوصاً إذا كان المقياس بلدنا نحن.

أما الذين يطالبون بتغيره دون أن يعرضوا على الشعب النظام البديل الأفضل الذي يقترحونه، فليتفضلوا ويعرضوا النظام الذي يريدونه وليثبتوه كبرنامج عمل سياسي لهم، عبر الانتخابات النيابية وليترشحوا للانتخابات التي هي أسهل طريق لكل تغيير هدفه الأصلح والأفضل. فإذا كان الشعب مقتنعاً بنظامهم فإنه سينتخبهم ويوصلهم إلى المجلس النيابي بكل بساطة، وعندها يصبح بإمكانهم أن يغيروا ما يشاؤون. هذا إذا كانوا يثقون بالشعب وإذا كانت دعوتهم تتناول رفاهية الشعب وخيره.

ـ الوسط الجديد:

في سياق الأعراف البرلمانية، سعى طوني فرنجية، إلى تشكيل كتلة من داخل المجلس النيابي، وطموحه أن تكون هذه الكتلة في الموقع المتوازن بين الطروحات والاتجاهات المتناقضة، ولذا حملت اسم «تكتل الوسط الجديد» عام 1972 الذي ضمّ: طوني فرنجية، فؤاد غصن، حبيب كيروز، باخوس حكيم، بطرس حرب، عبد المولى أمهز. ولاحظت الصحف حينها أنه كان لهذا التكتل الذي وضع له طوني فرنجية خطوطه العريضة «وزناً سياسياً، وثقلاً في الاستشارات، وفي التوجه السياسي العام للبلاد».

ـ في مجلس الوزراء:

عندما عيّن طوني فرنجية وزيراً، كانت المرة الأولى، خلال ما تعاقب من عهود إستقلالية، يعين فيها نجل رئيس الجمهورية وزيراً. والمعروف أن وزارة الرئيس أمين الحافظ، ما كاد يجف حبر مراسيمها حتى انطوت صفحتها. لكنها شقت أمامه الدرب إلى المسؤولية الوزارية في الحكومة التالية، أي حكومة الرئيس تقي الدين الصلح، صيف العام 1973.

وكتبت الصحف في حينها أن الشيخ بشارة الخوري، أول رئيس جمهورية في عهد الإستقلال، الذي اشتهر بضعفه أمام أفراد عائلته، لم يخطر له أن يدفع بولديه، الشيخ خليل، والشيخ ميشال، إلى الكراسي النيابية والوزارية، وأيضاً لم يسند أي مقعد وزاري، في كل حكومات عهده ـ الذي استمر 9 سنوات ـ إلى شقيقه الشيخ سليم الخوري، الذي كان يسمى بـ «السلطان سليم».

وما كاد يحل الصيف اللاحق ـ أي صيف 1974 ـ حتى كتبت كل الصحف في عددها الصادر في 31/ 8/ 74، بأن وجود طوني فرنجية في عداد التشكيلة الوزارية لم يبرهن في شيء على كونه «سوبر وزير» بل الواقع أنه، في الحكم، مثله مثل بقية الوزراء. وليس من مؤشر واحد يدل على أن له في قصر الرئاسة معاملة خاصة تختلف عن معاملة غيره من الوزراء. الصحف اللبنانية أوردت ذلك في معرض إشادتها بحزمه حيال كبار موظفي وزارته. هذا الحزم الذي أظهر بقية زملائه في الوزارة بمظهر العجز والتخاذل، لأن أحداً منهم لا يقوى على ممارسة الحزم إياه.

وإذا عدنا إلى ما كتبته صحيفة «الحياة» في التاريخ عينه، ـ أي 31 آب/ أغسطس عام 1974 ـ نجد أنه مصوغاً بالروح والقناعة نفسها، فتحت عنوان «لو تصرف كل وزير مثل طوني فرنجية» تمنت لو كان كل وزير يقتدي في وزارته بما أقدم عليه وزير البريد والبرق والهاتف. ولو أنه فعل لتغير الوضع في مرافق الدولة كافة وأصبح الإنتاج عنواناً. وأضحت دوائر الدولة على غير صورتها القاتمة في نظر الناس.

ـ بداية الحرب الأهلية:

في العام 1975، وإنطلاقاً من تمسكه بسلامة الوطن ووحدته، سعى طوني فرنجية جاهداً، لتطويق مخطط تفجير لبنان، ووظف لهذه الغاية ثقله السياسي داخلياً وخارجياً، مؤكداً أن «لبنان المعافى أمانة يجب أن نحرص عليها، وصاحب رسالة عربية وإنسانية مكنته من الصمود والتطور، وأثبتت قدرته على التجاوب مع كل قضية

حق». وعبثاً حاول مواجهة المؤامرة بالمساعي المتواصلة، وبالدعوات إلى الحوار والتفاهم، حتى أطلّ 13 نيسان/أبريل، ذاك السبت الدامي، ونزل مسلحون إلى شوارع العاصمة مكشوفين وملثمين ونفذوا مجزرة أشعلت الوطن، وكان الرئيس سليمان فرنجية يومها في المستشفى حيث كانت تجرى له عملية جراحية، وحيال هذه المجزرة، ضاعف مساعيه فيما «أيادي الشر أبت إلا أن يستمر تصعيد الاقتتال» وفق ما قال الرئيس فرنجية في أول جلسة لمجلس الوزراء بعد ذاك التطور الدامي. وقد تفاعلت الوجوه الداخلية للأزمة، مع تطورات بارزة في الشرق الأوسط، وهذا ما كان ينبه منه مراراً طوني فرنجية، داعياً إلى «إدراك الانعكاسات الخارجية، ومحاولة الحد منها على وطننا»، وهذه التفاعلات أخذت مداها على غير صعيد، ولوحظ ارتفاع سريع في وتيرة الأحداث شمالاً وفي مناطق أخرى مع توقيع إتفاق سيناء بين مصر وإسرائيل في أيلول/سبتمبر عام 1975، فاندلع القتال واسعاً في الشمال، وكان الشمال آخر من دخل أو أُدخل هذه الحرب، مثلما كان أول منطقة تخرج منها وتؤكد تلاحمها التاريخي، وتجدد الإيمان بالعيش المشترك قيادة وشعباً. وإذا كانت مجريات عامي 1975 ـ 1976 قد باتت معروفة إلى حد بعيد، فإن ما تجدر الإشارة إليه، في تلك الفترة، هو أن القائد تعرف فيها عن كثب إلى أبناء منطقته، وازداد اقتراباً منهم، مثلما ازدادوا اقتراباً منه. وتعمقت لديه القناعة بالأسرة الزغرتاوية الواحدة المتضامنة، مثلما تعمقت قناعة الناس به قائداً لا حواجز تفصل بينه وبين شعبه، وقد أدت هذه الفترة إلى نتائج أبرزها نتيجتان:

1 ـ صمود قوي للمنطقة ضمن مبدأ «الدفاع عن النفس» الذي كان شعار القائد.

2 ـ وحدة داخلية، انطوت معها معظم الحواجز التي كانت تباعد بين أبناء المنطقة الواحدة، وهذا ما كان يشدد عليه.

ويُستخلص من مذكرات شخصية لبعض معاونيه والمقربين، أن طوني فرنجية، حال بحزمه وبحسه الوطني دون كثير من التجاوزات، خلال الحرب لا مجال هنا لعدّها.

ـ مرشح محتمل لرئاسة الجمهورية:

في العام 1976، بدأ اسم طوني فرنجية، يُطرح في بعض الأوساط السياسية والدبلوماسية كمرشح محتمل لرئاسة الجمهورية. وقد ذهبت بعض المصادر الصحافية إلى حد القول آنذاك: «إن طوني فرنجية، إما أن يكون رئيساً للعهد المقبل، وإما للعهد الذي يليه...»، وفي حوار له مع «الصياد» في صيف 1976، سئل: هل تفكر يوماً بخوض معركة الرئاسة؟ فأجاب: «كل شيء بوقته حلو، إن هذا الموضوع رهن الظروف، وما هو مؤكد أنني سأبقى أعمل في الحقل العام، والإنسان يتخذ موقفه في ضوء المعطيات....»، وفي المقابلة ذاتها لمح طوني فرنجية إلى بعض رؤيته «لوطن جديد»، فرأى أن «لبنان القديم لا يمكن أن يعود، ولا نريده أن يرجع، لبنان الذي نريده واحداً، هو لبنان المتطور، والذي يتفق عليه جميع اللبنانيين، إن الذين بنوا نظامنا القديم، من المؤكد أنهم جاهدوا كثيراً، لكن التطور أمر حتمي...».

ـ **منعطف السلام:**

تتالت التطورات على الساحة اللبنانية، حتى شكّل ربيع العام 1976، منعطفاً أساسياً في مسار الوضع العام، وتمثل هذا المنعطف بدخول قوات الردع العربية، تلبية لنداء لبنان دولة وشعباً، إلا أن الجهات المتضررة داخلياً وإقليمياً من هذا التطور السلمي الهام، عملت ما بوسعها لعرقلته، وقد لخص طوني فرنجيه في حديث أدلى به نهاية نيسان/ أبريل عام 1978 إلى مجلة «الجمهور»، هذه المرحلة التي عايشها بخلفياتها ودقائقها، ومما قال:

ـ الحديث عن قوات الردع العربية يجب أن يبدأ من الأساس، أي يجب الإنطلاق من تاريخ أول حزيران/يونيو عام 1976 عندما دخلت القوات السورية إلى لبنان لأول مرة بطلب من الرئيس الأسد الذي برر يومها دخول القوات الشقيقة بقوله: «أنه لن يقبل بخلق إسرائيل ثانية في الشرق الأوسط».

وبالفعل فقد دخلت القوات السورية فيما كان الفريقان المتصارعان يأملان بأن يتدخل فريق ثالث بينهما لوقف الاقتتال، خصوصاً بعدما تبين أن هذا القتال لا يفيد أحداً، بل بالعكس يضر الجميع.

يومها أثبت الرئيس الأسد أنه الصديق الوحيد الذي استطاع أن يستوعب أبعاد الأزمة اللبنانية فقرر التدخل ووقف الاقتتال بين فريقين لم يعد يجمع بينهما أي شيء.

وليس بسر القول أن الرئيس الأسد عندما أقدم على خطوته تلك

تحدى جميع الدول، كبيرها وصغيرها، بعدما أعلمته بواسطة سفرائها المعتمدين في دمشق أن نتائج هذا التدخل غير مضمونة.

وأذكر هنا أن سفير دولة عظمى زاره مرتين في يوم واحد لنقل رسالة من حكومته ورد فيها أنها لا تستطيع ضمان حياد إسرائيل في حال صمم الرئيس السوري على إدخال جيشه إلى لبنان لوقف القتال.

وأذكر أيضاً أن دولة عظمى ثانية طلبت إليه عبر وسطاء من دول صغرى تدور في فلكها عدم التدخل في لبنان. هذا طبعاً إلى جانب معظم الدول العربية التي بعثت إليه برسائل تحذره فيها من مغبة الإقدام على مثل هذه الخطوة.

لكن الرئيس الأسد تحمل المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقه، وقرر المجابهة وهو غير ضامن النتائج، في سبيل وقف المجزرة التي كانت تستمر فصولاً في لبنان.

ودخل الجيش السوري إلى لبنان وأوقف الاقتتال. ومع الأسف، عندما وجدت الدول العربية بأكملها أن نتيجة هذا التدخل كانت حسنة، سارعت للاستفادة من هذا الظرف، فكانت الدعوة لعقد مؤتمري الرياض والقاهرة، هذان المؤتمران اللذان تقرر فيهما إرسال قوات من الردع تحت إمرة الرئيس سركيس لوقف الاقتتال في لبنان. وحدد يومها عدد هذه القوات بثلاثين ألفاً.

وهنا بدأ الفصل الثاني من المزايدة على الرئيس الأسد. كل دولة تريد أن تشترك بعدد مماثل ضمن هذه القوات، فوقف الرئيس السوري يومها وقال لهم أنه ليس متشبثاً في إرسال جيشه إلى لبنان،

فإذا كان بإمكانهم تكملة عدد الثلاثين ألفاً، فلا مانع عنده ألا يبعث بأي جندي سوري ضمن قوات الردع العربية.

عندها احمرت وجوه واصفرت وجوه أخرى، ولم يجد العرب غير الأسد بإمكانه تغطية الجزء الأكبر من هذه القوات وكانت هذه التغطية بنسبة 90 بالمائة.

وكلنا على ما أعتقد ما يزال يذكر كيف استقبلت هذه القوات عند دخولها إلى مناطقنا.

ولكن ما الذي حدث منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا! للإجابة على هذا السؤال يجب التوقف عند هاتين النقطتين:

الأولى: إن الطوابير الخامسة وما أكثرها نشطت منذ دخول قوات الردع العربية إلى لبنان في مجالات تشويه سمعة هذه القوات، وبالذات القوات السورية.

ولا أذيع سراً هنا إذا قلت أن المخابرات الإسرائيلية، وغيرها من المخابرات المعادية للنظام السوري كانت المحرك الأساسي لهذه الطوابير.

النقطة الثانية: هو ما تردد عن بعض التجاوزات من قبل بعض عناصر القوات السورية.

وهنا أقول: إذا وجد بين كل مئة جندي سوري عنصر أو اثنان من غير المنضبطين وهذا طبيعي جداً وموجود في أعظم جيوش العالم فإن عدد هؤلاء من أصل الـ 30 ألفاً سيصل إلى حدود الـ 600 عنصر أو الألف.

وهنا أيضاً أتساءل، ـ ولا يزال الكلام لطوني فرنجية ـ : هل من العدل أن ننظر إلى تجاوزات الـ 600 عنصر متناسين النتائج الخيرة والإيجابية التي حققها لنا الجيش السوري عندما دخل لبنان وأعاد الأمن إلى ربوعه؟

إن المؤسف حقاً أن بعض سياسيينا غالباً ما يبنون آراءهم وتصريحاتهم على أخبار كاذبة ومغرضة».

ـ الإيمان الراسخ:

في العام 1977، عرفت اللغة السياسية في لبنان، مفردات ذات منحى تقسيمي، وسرت شائعات عن أن طوني فرنجية يطرح التقسيم، وقد أورد صاحب مجلة «الحوادث» ورئيس تحريرها آنذاك المرحوم سليم اللوزي، في مقالته الافتتاحية تاريخ 19 كانون الأول/ ديسمبر ما نصه: «إن طوني فرنجية نجل الرئيس، كان الوحيد في إجتماع بكركي بين الزعماء الموارنة الذي طالب بالتقسيم». وقد أرسل طوني فرنجية رسالة توضيحية، ردّ فيها على ما نُسب إليه، ونشرتها «الحوادث» في 17/ 6/ 1977، في زاوية «رسالة الأسبوع». وهذا نصها:

«عزيزي سليم، تحية وبعد،

قرأت مقالك في مجلة «الحوادث» تاريخ 19 كانون الأول/ ديسمبر 1975 واستغربت كل الاستغراب أن ينجر الأستاذ سليم اللوزي مع بعض المغرضين وذوي النوايا السيئة ويصدق أن: طوني فرنجية نجل الرئيس كان الوحيد في إجتماع بكركي بين

الزعماء الموارنة الذي طالب بتقسيم لبنان، لأن ذلك غير صحيح.

بادئ ذي بدء أود أن أسأل من الذي قال لك ذلك؟ لأن الذين حضروا إجتماع بكركي في 23 أيلول/سبتمبر 1975 هم فقط غبطة البطريرك والمطارنة ورؤساء الرهبانيات اللبنانية ورؤساء الأحزاب ورؤساء الكتل النيابية، والهيئات المارونية.

أملي أن تكون عندك الجرأة كما عودتنا على ذلك وتقول مَن من هؤلاء الأشخاص الذين حضروا قال بذلك، لأقول له أنه خبر غير صحيح وكاذب وكفى افتراء على الناس.

وإذا كان لا يمكنك أن تقول من هو لأسباب شخصية فأعذرك وأطلب من جميع الذين حضروا إجتماع بكركي أن يقولوا ما إذا كان طوني فرنجية قد طالب بالتقسيم.

وبالمناسبة أود أيضاً أن أذكّرك مع الناس الذين تزعم أنهم لم ينسوا أنه على أثر إجتماع بكركي صدر بيان عن المجتمعين وبالإجماع أعلن فيه صراحة:

- الإصرار على رفض الحد من السيادة الوطنية على أي منطقة من لبنان ورفض كل مساومة على هذه السيادة من أية جهة أتت.
- إيمانهم الراسخ بأن الصيغة اللبنانية هي تجربة حضارية فريدة من الحيف أن يقضى عليها الجهل والطيش والتعصب.

أما تساؤلك: «هل أن أهداف طوني فرنجية تلتقي هي أيضاً مع أهداف اليسار الدولي والصهيونية»؟.. فهو غير صحيح، وأربأ أن يأتي على قلم سليم اللوزي. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإنك تعلم يا صديقي عن أهداف المؤامرة التي تحدث عنها فخامة الرئيس في جلسة مجلس الوزراء تاريخ 1 كانون الأول/ ديسمبر 1975 وعن اليسار الدولي والصهيونية وغيرها.

وفي الختام وبكل تواضع وبكل فخر أقول أن تاريخ آل فرنجية منذ دخولهم المعترك السياسي ومجلس النواب سنة 1929 ولغاية الآن حافل بالمواقف الوطنية وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- موقفهم المؤيد للإستقلال سنة 1943، عندما كان بعض السياسيين الحاليين ضد الإستقلال وضد صيغة التعايش ومع التقسيم آنذاك ومع الإنتداب.
- موقفهم في 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1974 في الأمم المتحدة دفاعاً عن القضية الفلسطينية باسم العرب جميعاً. وأين هانوي الآن يا صديقي سليم. واليوم لولا سياستنا الوطنية والحكيمة التي رفضت تصفية المقاومة الفلسطينية لكانت تغيرت أمور كثيرة وأنت خير من يعلم ذلك.

وأخيراً كنت أتمنى عليك أن تتصل بي قبل تصديق ما نمي إليك من افتراء ضدي خاصة وأننا نمر في مرحلة تاريخية وفيها الافتراء خيانة وطنية. ودمتم».

طوني فرنجية

- مبادرة السادات والانعكاس الداخلي:

مع نهاية العام 1977، ازدادت الخشية لدى اللبنانيين، من أن تنعكس التطورات المتسارعة في الشرق الأوسط سلباً على لبنان، وقد كان طوني فرنجية يحذر تكراراً، ويعرب عن قلقه من هذه التطورات، لاسيما من أن يتم السلام في المنطقة على حساب وطننا، وتوقف عند مبادرة الرئيس أنور السادات في الذهاب إلى إسرائيل خارقاً الموقف العربي العام، ولفت إلى أن الانقسامات العربية وصلت إلى حدها الأقصى، داعياً إلى عدم الوقوف على الحياد، وإلى موقف متضامن مع سوريا، خاصة وأن الرئيس حافظ الأسد يعرف وضع لبنان، ويتفهم بعمق هذا الوضع، ولن يفرض عليه ما يضر بمصالحه.

- الجبهة الوطنية الشمالية:

في ما كانت «الكتائب» و«القوات» تسعى إلى احتكار القرار في المناطق المسيحية، في سياق مخطط التقسيم والفرز، كانت القوى المسيحية المؤمنة بوحدة لبنان، تتحرك في اتجاه مغاير، وأبرز صور هذا التحرك، ما أُعلن في أيلول/سبتمبر من العام 1977 عن تشكيل «الجبهة الوطنية الشمالية» التي كان طوني فرنجية حريصاً على قيامها، والتي تم إقرارها برعاية الرئيس سليمان فرنجية، وبالتفاهم مع عدد واسع من الفعاليات شمالاً، وقد جاء في ميثاق الجبهة المذكورة ما يلي:

أولاً: ينشأ، باسم «الجبهة الوطنية» تجمع سياسي موحد.

ثانياً: تهدف الجبهة إلى صيانة وحدة الصف وتوطيدها في ظل المبادئ التالية:

1 ـ إن لبنان وطن دائم سيد منفتح على العالم.

2 ـ لبنان وطن الإنسان والحرية والمحبة والمعرفة.

3 ـ لبنان ثمرة حضارات متفاعلة كونت تراثاً إنسانياً متكاملاً لنفعه ولنفع العالم.

4 ـ يؤمن لبنان كدولة في تطوره الإنساني بالتقدم والارتقاء على أساس العلم والبرمجة والتخطيط وبسط العدالة الإجتماعية على جميع المستويات.

5 ـ كل لبنان لكل اللبنانيين.

6 ـ ينشأ المواطن، في سبيل تنمية مواطنيته، على أساس التربية الوطنية والأخلاقية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية في قواعد موحدة ومستقبلية.

7 ـ يظل لبنان، الوطن الأوحد الذي يستحق أن نحيا لأجله ومن أجله نموت.

ثالثاً: تعمل الجبهة على أن يكون اللبنانيون متساوين في الحقوق والواجبات وعلى أن تكون جميع الأنحاء اللبنانية متساوية في الانتفاع بخيرات الوطن والحكم. فلا تفاوت ولا تمايز بين المناطق والأشخاص. . .».

ـ شتاء العام 1978:

في الخلوة التي عقدت في زغرتا لـ «الجبهة اللبنانية» التي

انعقدت في 21 كانون الثاني/يناير من العام 1978، برز اختلاف في التوجهات على غير صعيد، وكانت الخلوة الأخيرة للجبهة التي يشارك فيها الرئيس سليمان فرنجية، وبدأت تطفو إلى السطح الإعلامي بعض أوجه الاختلاف، وقد أشار إليها طوني فرنجية في أكثر من حديث صحافي، وأبرزها: «رفضنا لأي تعامل مع إسرائيل، ورفضنا لفرض الخوّات على المواطنين. . .».

واعتباراً من السابع من شباط/فبراير عام 1978، اتضحت الخيوط أكثر فأكثر. فقامت «الكتائب» بحرب ذات تخطيط ودعم إسرائيلي على قوات الردع السورية، وهذه الحرب استنكرها طوني فرنجية، ورأى فيها خطة لمصادرة السلام في لبنان، وبداية تهديم جديد للبنان الذي نريد أن نبني.

قام طوني فرنجية في خلال هذه الفترات بزيارات إلى دمشق، عقد في بعض منها إجتماعات مع الرئيس حافظ الأسد، ومع الدكتور رفعت الأسد (نائب الرئيس) وكان لعامل الصداقة المتينة تأثير إيجابي في النتائج، الأمر الذي لم يرق لأصحاب المشروع التقسيمي.

ـ التدويل والتقسيم:

في شتاء العام 1978، ارتفعت لهجة البعض، المطالبة بالتدويل، بدلاً من التعريب، كحل أمني للأزمة اللبنانية، وكان لطوني فرنجية غير تصريح وموقف حيال هذه الطروحات. وفي حديث منشور له في جريدة «النهار» في 22/ 3/ 1978. سُئل: «هل تعتقد أن القوات الدولية تحل المشكلة؟»، فقال: «يجب أن نعود

قليلاً بالتاريخ إلى الوراء، ونتساءل: أين عملت القوات الدولية وأدت رسالتها بنجاح؟. ففي الشرق الأوسط مثالاً، لا حصراً، كانت المرة الأولى في فلسطين، وقد تكرس من خلال عملها التقسيم، ولنأخذ مثالاً آخر في قبرص... فهذه القوات لم تنجح عن قصد أو عن غير قصد، أما المثل الثالث فهو في الكونغو - برازافيل التي حصل فيها التقسيم بعد دخول القوات الدولية... أما نحن في لبنان فواجبنا الحفاظ التام على لبنان الموحد من دون مزايدات ومراوغة».

- أيار/مايو عام 1978:

قد تكون المصالحة الشمالية بين الرئيسين سليمان فرنجية ورشيد كرامي والقيادات شمالاً في شهر أيار/مايو من العام 1978، والتي لعب طوني فرنجية، دوراً أساسياً في تحقيقها، من أبرز العوامل السياسية المباشرة التي أفقدت التقسيميين صوابهم على ما جاء في تعليق لجريدة «السفير»، وقد جاءت هذه المصالحة بين أركان القمة الشمالية في أعقاب مصالحة القاعدة العفوية، بل إنها الحلقة المنطقية المكملة، لما أبداه أبناء الشمال تجاه بعضهم البعض فور انتهاء حرب السنتين»... - كما جاء في تقرير نشرته مجلة «الصياد»، في أيار/مايو العدد 1653، وتناقلت بعضاً منه «وكالة الصحافة الفرنسية» ووكالات أخرى. وفي كتيب صادر عن حركة «طلاب المردة» في نيسان/أبريل من العام 1978، أن طوني فرنجية أوصى بوجوب دعم الجامعة اللبنانية، فروع الشمال، «لأن قدرنا أن نكون معاً، وأن نتعايش بسلام على كل الصعد...». وفي تحليل

لجريدة «النهار» إشارة إلى الدور الذي قام به النائب طوني فرنجية في مصالحة، من شأنها أن تكون مدخلاً للوفاق الوطني الشامل.

- إلى أين؟؟؟

في اعتقادك إلى أين نسير؟، سؤال طرحته «وكالة الأنباء الصحافية» البيروتية، في مطلع حزيران/يونيو من العام 1978، أي قبل أيام معدودة من «مجزرة الغدر في إهدن»، على طوني فرنجية، الذي أجاب باقتضاب شديد الإيحاء: «الأشخاص يزولون، أما لبنان فهو باق، ونتضرع إلى سيدة زغرتا أن تحرس لبنان». وفي الحديث ذاته، حذّر من التقسيم، وأكد على وحدة الشمال: «إن ما قمنا به في الشمال كان فعلاً لمحاربة التقسيم، ونحن على استعداد للموت من أجل منع التقسيم».

- قبل 13 حزيران/يونيو:

في تصريح حول الوضع العام: أبدى طوني فرنجية في 2/6/1978، قلقه من الخطة الإسرائيلية على لبنان. وتوقف عند نية إسرائيل، سحب قواتها من الجنوب، وتساءل ماذا تبيت إسرائيل للبنان من وراء هذا الانسحاب المنوي في 13 حزيران؟؟

- 13 حزيران:

في الثالث عشر من حزيران/يونيو، وفي ما أنظار المراقبين السياسيين تتجه نحو الجنوب، إذا بها ترتد نحو الشمال، حيث نفذت القوى العميلة لإسرائيل المتمثلة «بالكتائب» و«قوّاتها» مجزرة من أبشع المجازر حيث قتلت فيها القائد طوني فرنجية، وعقيلته

فيرا قرداحي فرنجية، وطفلته الملاك جيهان ابنة الثلاث سنوات و30 من أبناء البلدة الأبرياء.

و13 حزيران وصفته جريدة «النهار» في ملحق خاص، في 13/ 6/ 1979، بأنه «أكثر أيام محنة لبنان سواداً، وأشدها تأثيراً على مستقبل هذا البلد».

وجاء في الملحق ذاته: «مع الدقائق الأولى من فجر 13 حزيران، حاولوا القضاء على القوة المارونية التي تصدت لمخططات الكتائب الهادفة إلى التسلط على البلد، من خلال الحزب الواحد».

وفي إهدن، في بيت الرئيس سليمان فرنجية، حاولوا ذبح الوطن لكنهم فشلوا بكل تأكيد. والرئيس فرنجية الذي استهدفوا مواقفه الوطنية والوحدوية، قبل إصابة مشاعره الشخصية بأسلوبهم البربري المعروف، ردد مراراً: «إن دم طوني فرنجية وطفلته جيهان وزوجته وأبنائي الشهداء الأبطال، ومحاولة إذلال إهدن العريقة في تعلقها بلبنان والذود عنه، كلها تعني الغالي الذي كنا وما زلنا على استعداد لتقديمه في سبيل إنقاذ لبنان ووحدة شعبه».

والدم الزكي الذي أهرقه الإرهاب في أبشع مظاهره فوق الأعالي من ذرى لبنان، وعلى مشهد من أرزه الخالد، لم يثبط من عزيمة أحد، بل زاد تمسكاً بوحدة لبنان، وعناداً في محاربة التقسيم بكل أشكاله، وتصلباً في رفض التوطين، وتصميماً على محاربة المتعاملين مع إسرائيل، ومزيداً من الدعم للشرعية، وتشبثاً بالمواقف المبدئية الوطنية.

إن استشهاد طوني فرنجية ورفاقه الأبطال وطد الوحدة الوطنية في الشمال، وزاد من لحمة المواطنين على اختلاف ميولهم، وحقق اقتناعاً ميدانياً أن لبنان يموت بالصراعات الطائفية والفئوية ويحيا بالوفاق والوئام الوطني.

وفي مراجعة توثيقية لجريدة «العمل» الكتائبية، يتبين أن حملة إعلامية مدروسة، سبقت تنفيذ «المجزرة»، وتركزت على طوني فرنجية ودوره، وصباح 13 حزيران بالذات، تزامن الإعلام السياسي مع العنف الدموي، فكتبت «العمل» في الصفحة 12 العدد (9864) نقلاً عن «مصدر مسؤول» قراراً «بتعزيز الوجود الكتائبي في منطقة زغرتا ـ الزاوية، بشتى الوسائل».

ـ ردود فعل الصحافة على الجريمة:

بقيت تعليقات الصحف الأجنبية، ذات دلالة مستمرة، إذ أنها لم تتناول الحدث بوجهه المباشر، بقدر ما توقفت عند أبعاده التي ما زالت ماثلة نسبياً إلى اليوم، وهنا بعض منها:

«لا يمكن إعتبار مقتل طوني فرنجية وزوجته وابنته على أيدي الكتائب مجرد حادثة دموية. فهذه الجريمة النكراء تدل على موقف بعض الموارنة الذين يدعون الانتماء إلى نوع من المسيحية ولا يتراجعون أمام شيء من أجل الوصول إلى أهدافهم. فهم يقودون معركة من نتيجتها إعادة جر البلاد إلى الحرب الأهلية»[1].

«في الوقت نفسه الذي كانت تنسحب فيه القوات الإسرائيلية من

---

(1) جريدة «لوموند» الفرنسية في 15/6/1978.

جنوب لبنان كانت دماء نجل الرئيس سليمان فرنجية طوني وزوجته وطفلته البالغة ثلاث سنوات وخدمه و28 آخرين من بلدته تهدر بوحشية في الشمال على أيدي القوات الكتائبية المسيحية»[1].

حشد هائل مغطى بالسواد يرافق ثلاثين نعشاً بينها نعش النائب والوزير السابق طوني فرنجية والعيون كلها شاخصة نحو نعش صغير أبيض، إنه لجيهان طفلة السنوات الثلاث التي قتلت مع أهلها.

وفي أعماق حزنه يتمتم الرئيس فرنجية: «الأمور تتساوى بين الرجال ولكن هذه الطفلة من يغسل دمها»؟

فالمجزرة الرهيبة التي وقعت في المقر الصيفي لآل فرنجية في إهدن كان لها معنى خاص، فجسد هذه الطفلة الذي مزق بـ 25 رصاصة يعكس إلى حد ما، وضع لبنان الجديد الذي كان يخطو خطواته الأولى نحو الاستقرار.

صباح 13 حزيران كان مقرراً أن تنسحب إسرائيل ليستعيد لبنان سيادته على أراضيه. كان ذلك يوم التحرير الكامل للأرض فإذا به يوم رعب في الشمال وخداع في الجنوب[2].

بني حزب الكتائب بزعامة آل الجميل على أسس فاشية وعلى نازية الحرب العالمية الثانية ولم يكن لهم في الشمال أية قوة تذكر فأتوه بعد الحرب الأهلية ليعززوا وجودهم ويقووا عضلاتهم هناك...

---

(1) «الوفيغارو».

(2) «اللوبوان» 19/6/1978.

ومع فجر 13 حزيران أغار رجال من أكثرية المناطق المسيحية وهم ينتمون إلى ميليشيا الكتائب على إهدن مصيف الزغرتاويين، وكانت عملية مستوحاة من الهجوم الإسرائيلي على منطقة فردان في بيروت عام 1973[1].

- وقائع الجريمة بلسان منفذها[2]:

- حادثة إهدن:

س: لنعد قليلاً إلى الوراء، الناس يقولون إن المسيحيين كانوا موحدين قبل حادثة إهدن، هل هذا صحيح أم أنه غير صحيح؟ وهل أنت تعتبر أن حادثة إهدن هي غلطة أم لا؟

ج: قبل كل شيء أريد أن أؤكد أن ما جرى في إهدن هو عملية وليست حادثة. فالحادثة هي مسألة عابرة وما حدث في إهدن ليس مسألة عابرة. إنها عملية أمنية فرضتها الظروف في الشمال وظروف العمل السياسي والممارسة السياسية التي كان يقوم بها آل فرنجية. وأنا أتمنى أن يعرف جميع الناس، أن مستقبل الحريات السياسية ليس فقط في الشمال إنما في باقي المناطق أيضاً، يتعلق بنتيجة الصراع الدائر في الشمال.

من هنا، على الناس ألا يعتقدوا أن موضوع الشمال هو قصة صراع بين عشيرتين وبين بلدتين، إنما هو صراع على الحريات السياسية.

(1) «الواشنطن بوست» 23/6/1978.

(2) «النهار العربي والدولي» 1985، مقابلة مع سمير جعجع.

س: يعني أنك تعتبر أن العملية كانت لازمة؟

ج: أكيد. وقد تلزم عمليات أخرى. . . . .

س: أكان الهدف من العملية قتل طوني فرنجية؟

ج: ليس بالضرورة، كان الهدف من العملية أن نثبت لآل فرنجية أن الشمال ليس مزرعة لهم.

ـ سمير جعجع يتذكّر حروب الجمهورية الأولى[1]:

قالوا لي: ما حدا غيرك قادر يتحمل هالمسؤولية على مستوى المنطقة ككل. أنت عايشت كل المجموعات العسكرية خلال حرب السنتين ولهم ثقة بك. ما لازم نبعث مسؤول غريب كرمال معنويات أولاد الشمال. وافقت وتحدثنا في بعض التفاصيل.

يومها صدرت عن بشير بوصفه رئيساً لمجلس الأمن مذكرة أبلغت إلى كل المراكز المعنية، وفحواها:

«نظرا للأوضاع الحالية السائدة في منطقة الشمال يعين وبشكل مؤقت الرفيق سمير جعجع مسؤولاً عن كل القوى العسكرية والنشاطات والتحركات العسكرية التي تشهدها منطقة الشمال في الوقت الحاضر وذلك حتى نهاية الوضع القائم».

صباح 13 حزيران وفي الرابعة فجراً انطلقت العملية وتوزعت المجموعات حسب الخطة المعدة لها واصطدمت بمقاومة عنيفة.

كنت أتحرك بين كل المجموعات العسكرية وأرافق تقدمها.

(1) جريدة «الشرق الأوسط»، كانون الأول/ ديسمبر عام 1990.

وكنت في معظم الوقت مع القوة المتجهة إلى إهدن من جهة زغرتا ـ إهدن أي من المدخل الغربي (منزل طوني فرنجية). والسبب أنني كنت أعتبر أن هذه النقطة هي الأصعب. كانت هناك مجموعات تهاجم من جهة بشري وكانت مهمتها سهلة نسبياً لأننا حمينا ظهرها وكانت تواجه من جهة واحدة. أما نحن فكنا في الموقف الأصعب. كنت على اتصال مع كل المجموعات وأتحدث إلى مسؤوليها.

ـ قضية اغتيال طوني فرنجية، مذكرة توقيف وجاهية لـ حنا شليطة[1]:

«خطت قضية مقتل النائب السابق طوني فرنجية وزوجته وابنته وتسعة وعشرين من مناصريه ليل 13 ـ 14 حزيران 1978 خطوة نوعية بعد إعادة فتح الملف الذي أحيل بموجب المادة الثامنة من قانون العفو العام إلى المجلس العدلي بعدما كان من صلاحية القضاء العسكري.

وقد أصدر المحقق العدلي في هذه القضية عبد الله بيطار، أمس، مذكرة توقيف وجاهية بحق حنا يوسف شليطة بعدما استجوبه بعد ظهر أمس الأول، على مدى أربع ساعات متواصلة في وزارة الدفاع الوطني في اليرزة.

وكان الإدعاء قد أسند إلى شليطا تهمة التدخل والإشتراك بمجزرة إهدن التي تصل عقوبتها إلى الإعدام عملاً بالمواد

(1) جريدة «السفير»، فارس خشان، 28/ 9/ 1994.

549 و219 و220 و201 من قانون العقوبات و2 و3 و4 و5 من قانون 11/ 1/ 1958.

والجدير ذكره أن شليطا اتهم بمحاولة اغتيال الوزير الياس حبيقة على طريق الديمان وأطلق سراحه بعدما كفت المحكمة العسكرية الدائمة برئاسة العميد عبد الحميد خربطلي التعقبات بحقه لإسقاط حبيقة حقه الشخصي في هذه القضية. وبعد مدة من الإفراج عنه أعيد إلقاء القبض عليه على ذمة التحقيق في مجزرة إهدن.

وواصل بيطار بعد ظهر أمس، تحقيقاته في هذه القضية مع الموقوف طوني بطرس واثنين آخرين وأصدر بحقهم مذكرات وجاهية بتوقيفهم بعدما كان قد بدأها ليل أمس الأول ولم يستكملها فأمر بوضعهم في الإنفراد.

وعلمت «السفير» أن التحقيقات التي أجريت بيّنت أن أبرز مطلقي النار على المغدور طوني فرنجية وزوجته وابنته في داخل القصر يدعى ادمون صهيون من كفرعبيدا، وهو فار وقد سطر بيطار استنابة قضائية للتحري عنه وعن غيره من الفاعلين وكشفهم وتوقيفهم. كما سطر استنابات قضائية لضبط الأسلحة التي كانت في حوزة المهاجمين على إهدن.

يذكر أن مسلحاً واحداً من «القوات اللبنانية» كان موقوفاً في هذه القضية ويدعى جورج نجم فرح قد أطلق سراحه عام 1992 بعد موافقة الوزير سليمان طوني فرنجية على ذلك».

ـ ماذا في القضية؟

بيّنت التحقيقات مع الموقوفين في هذه القضية أن نحو أربعمائة وخمسين مسلحاً من ميليشيا «حزب الكتائب» توجهوا بقيادة قائد منطقة الشمال الكتائبية آنذاك سمير جعجع إلى إهدن بعدما تمّ تجميعهم بناء على أوامر خطية ووفق لوائح اسمية ضبط معظمها في مكان المجزرة، من مختلف بلدات الشمال ولا سيما منها بلدات قضائي البترون وبشري لتنفيذ مهمة محددة بالانتقام من قاتل جود البايع. وكانت هذه القوة مزودة بسيارات ناقلة للجند وبأخرى تحمل رشاشات من عيار 500 وبفرقة مزودة بصواريخ «آر بي جي» أطلقت صاروخين على مدخل القصر المهاجم.

ـ ماذا في الملف عن سمير جعجع شخصياً؟

لقد اعترف كتابة بمشاركته في هذه الجريمة في أثناء التحقيقات الأولية التي أجريت معه فور إلقاء القبض عليه من ضمن عشرين صفحة كتبها في وزارة الدفاع بخط يده إلا أنه نفى أن يكون قد شارك بإطلاق النار على طوني فرنجية وعائلته ورفاقه لأنه أصيب خارج القصر بيده اليمنى مما استدعى نقله بسرعة إلى المستشفى للمعالجة، كما كان قد قال بصراحة «أنا قتلت طوني فرنجية» في مؤتمر صحافي عقده في دير القمر أثناء حصاره فيها، واعترافه هذا مسجّل.

وعلم أن بيطار سيستجوب في مدة أقصاها 48 ساعة سمير جعجع في هذه القضية ويصدر بحقه مذكرة وجاهية بتوقيفه.

ـ **شهادة بشير الجميل[1]:**

س: أنت تبرر قتل طوني فرنجية؟

ج: أنا لا أبرر شيئاً، ما فعله رجالنا بفرنجية كان خطأً.

س: هل عاقبت المسؤولين؟

ج: كانت لدينا مشاكلنا مع المجموعة التي قامت بالعملية، إنهم قوة مستقلة، وأكثر ولاءً لقائدهم سمير جعجع.

ـ **خاتمة:**

حاولنا، في ما تقدّم، رسم صورة سريعة عن طوني فرنجية في حياته الخاصة، ومواقفه السياسية، في خطوطه العريضة، وصولاً إلى يوم استشهاده، ورفاقه الأبطال، في 13 حزيران/يونيو عام 1978.

ونحن نرى، الآن، أن كافة الأحداث التي تتالت، مذ ذاك، على الساحتين المسيحية واللبنانية، عموماً، أثبتت صدقية مواقفه فيما يخصّ الثوابت التي كانت تحكم نظرته إلى الأوضاع القائمة في لبنان والتي استشهد من أجلها. ففصول المحنة برهنت أن لا خلاص للبنان إلا باستعادة سيادته التي طالب بها طوني فرنجية، كاملةً، ولا للطائفة المارونية إلا من ضمن وحدة لبنان، ولا للبنان الواحد إلا محيطه العربي، لبنان الموحد الديمقراطي المتطوّر[2].

---

(1) من كتاب «حب وموت في بيروت»، للكتابة باربرا نيومان.

(2) مكتب الإعلام والتوثيق في حزب «المردة»، بنشعي 1990.

هنري كورييل

(1914 - 1978)

من خلال محاولة متابعة حالة الحركة اليسارية المصرية التاريخية، حاولنا أن نصل إلى عقل الرجل وأن يفتح لنا أرشيف الذكريات والأسرار من خلال كشف ارتباط الحركة الشيوعية المصرية بمجموعة روما التي أسسها هنري كورييل، وجاءت الإجابات مقتضبة مثل تحقيقات أقسام البوليس، لماذا كان اليهود المقيمين في مصر فاعلين في الحركة الشيوعية المصرية؟ كان اليهود الموجودين في مصر لديهم فرصة أكبر نظراً لوجود الإمتيازات الأجنبية والتي كانت تحميهم بالإضافة إلى أنهم كانوا أكثر إطلاعاً على الأدبيات الماركسية، وكانوا بصفتهم تجاراً كباراً لديهم الإمكانات المالية التي تساعدهم في هذه التنظيمات. لماذا رفض الكومنترن دخول روزنتال الحزب الشيوعي المصري؟ لقد اطلعنا على وثائق الكومنترن ولم نجد هناك سبباً واضحاً لذلك، ولقد كانت ابنة روزنتال موجودة في الحزب ولم يعترض عليها الكومنترن.

إن اليهود المصريين ليس لهم علاقة بالمنظمات الصهيونية لأنهم

أنشأوا لجنة اليهود لمحاربة الصهيونية التي حل تنظيمها النقراشي باشا. لكن ذلك لا يوضح لماذا اليهود بالأخص كان لهم هذا الدور في تكوين المنظمات الشيوعية؟ اضطهاد النازي لليهود ونشاط الفاشيين والنازيين في مصر أدى بهم أن يدخلوا في تنظيمات مضادة ولكن عدد اليهود الذين دخلوا منظمات مثل إتحاد الصناعات ومنظمات مناهضة الصهيونية كان عددهم أكبر من اليهود الذين دخلوا في تنظيمات شيوعية.

ـ كيف تكونت جماعة روما في فرنسا؟

بعد القبض على كوادر الحزب الشيوعي عام 1948 رحّلت السلطات بعض العناصر التي لها جنسية أخرى غير مصرية وإلا فإنهم سيظلون في السجون، فسافروا إلى فرنسا وكونوا جماعة روما في فرنسا وهي اسم حركي وكان يرأسها هنري كورييل وظل التعامل مع الحزب الشيوعي المصري في العام 1958 عندما أرسل إتحاد الحزب الشيوعي المصري خطاب شكر إلى مجموعة فيينا يطلب منهم حل التنظيم لكن ذلك لم يعجب الجماعة واعترضوا عليه.

ـ ما هو دور يوسف حاران في تلك المجموعة؟

كان يوسف حاران عضو عادي في الجماعة وكان يعمل تحت أمرة هنري كورييل، وكانت جماعة روما تعتبر نفسها جزءاً من الحزب الشيوعي المصري وعندما سافر أعضاؤها إلى فرنسا انضموا إلى الحزب الشيوعي الفرنسي ولكنهم بعد فترة طلبوا الانفصال عن

الحزب نظراً لأن انتماءاتهم كانت مع مصر فخرجوا من الحزب الشيوعي الفرنسي.

كانت جماعة روما تقوم بإرسال المساعدات المالية نظراً لكونهم تجار كذلك كانوا يرسلون الأدوية إليهم وكانوا يجمعون التأييد من كبار المسؤولين في فرنسا وأوروبا للإفراج عن الشيوعيين المصريين.

كان هنري كورييل من الشخصيات التي لعبت دورها في التنظيم الشيوعي المصري، وبعد أن سافر إلى فرنسا مطروداً وكون جماعة روما كان يقوم ببعض الأنشطة الإنسانية بعد حل جماعة روما عام 1958 تمثلت في مساعدة ثورة الجزائر ضد الإحتلال الفرنسي، حتى أنه اعتقل إثر ذلك. وكان يدعو إلى تعامل العرب مع منظمات السلام في إسرائيل لتكوين جبهة ضغط على الحكومة الإسرائيلية، وكان مناصراً للشعوب المضطهدة، وعمل تنظيم التضامن مع الشعوب المضطهدة بعد انتهاء ثورة الجزائر.

ـ اغتياله:

اغتيل هنري كورييل عام 1978 وهو خارج من المصعد ولم يعرف حتى الآن من المسؤول عن اغتياله. يقال أنه الموساد أو المخابرات الفرنسية. وكانت هناك محاولات لعودة هنري كورييل إلى مصر لكن الرئيس جمال عبد الناصر رفض ذلك ولكنه سمح لأمه بأن تسافر إليه. لكن جماعة تكونت في فرنسا تسمى جماعة أصدقاء هنري كورييل فتحت باب التحقيق في جريمة اغتياله من جديد، أما بالنسبة ليوسف حازان فهو مصري ويحمل أيضاً الجنسية

الفرنسية وكان يعمل في قسم الأجانب بمنظمة حدتو وكان له نشاط شيوعي في الصعيد وكان دارس زراعة وقد طرد من مصر عام 1948 إلى فرنسا في ظل وزارة إبراهيم عبد الهادي وكان يرسل مساعدات مالية إلى التنظيم الشيوعي المصري، وهو الآن يقيم في فرنسا ويبلغ من العمر 88 سنة وأصبح ضريراً ومقعداً.

ـ قائمة وثائق وأرشيف الحزب الشيوعي المصري في الخارج (مجموعة روما):

أوراق هنري كورييل (1914 ـ 1978).

تعود وثائق مجموعة روما إلى الموجة الثانية من الحركة الشيوعية المصرية التي نشطت في ثلاثينيات القرن العشرين مع بدء الحرب العالمية الثانية. وكانت الموجة الأولى من الحركة الشيوعية المصرية قد بدأت بتأسيس الحزب الشيوعي المصري الأول الذي لم يعمر طويلاً، حيث انتهت الحركة إلى التحلل عام 1922 لافتقارها إلى سند جماهيري واسع خاصة في أوساط العمال.

اجتذبت الموجة الثانية من الحركة الشيوعية المصرية أعداداً كبيرة من الأقليات ذات الأصول الأجنبية وطلاب مدرسة «الليسيه الفرنسية» في القاهرة. وقد نشأت الحركة الشيوعية المصرية مجزأة ومنقسمة ولم يتدخل الإتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية الأوروبية لفرض قيادة موحدة عليها وتأسست أربع منظمات شيوعية مستقلة هي أيسكرا (الشرارة) والحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو)، تحرير الشعب والفجر الجديد بقيادة مثقفين يهود كان من أشهرهم

هنري كورييل (1914 ـ 1987) أحد مؤسسي وقادة «حمتو» وقائد مجموعة روما فيما بعد.

عقب الحرب العالمية الثانية تواترت الجهود لتوحيد الحركة الشيوعية المصرية وتمصيرها وتوسيع نشاطها وعضويتها بين الطبقة العاملة المصرية وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هو توحد الحركة المصرية للتحرر الوطني وايسكرا وتحرير الشعب لتكوين الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) عام 1947. وبالرغم من أن هذه الوحدة قد حققت نجاحاً وتوسعا في بدايتها إلا أن الفروق الثقافية بين قادتها والتكتلات التنظيمية على أسس التنظيمات القديمة أدت إلى إضعافها واعتقال معظم قياداتها عام 1948. وقد أبعد معظم القادة الشيوعيين اليهود إلى أوروبا لأن الحكومة المصرية نظرت إليهم كأجانب حيث بدأ معظمهم حياتهم الجديدة في أوروبا تاركين تاريخهم المصري خلف ظهورهم.

كان هنري كوريل ومجموعة أصدقائه استثناءًا على هذه القاعدة حيث بقوا أوفياء لرفاقهم المصريين ولنضال المصريين للتحرر الوطني وأسسوا عام 1951 مجموعة دعم للحركة الشيوعية المصرية (مجموعة روما) التي اعترف بها «حدتو» كفرع لها في باريس التي كان يقيم فيها هنري كورييل. وتمكنت مجموعة روما من الحفاظ على صلتها بالرفاق القدامى في مصر بالرسائل المشفرة والزيارات السرية المتبادلة بين القاهرة وباريس للاطلاع على أوضاع بعضهم البعض وتقديم الدعم والمساندة.

بعد خلع ونفي الملك فاروق عن مصر في تموز/يوليو 1952

واستيلاء الجيش على السلطة كانت «حدتو» هي الحركة الشيوعية الوحيدة في مصر وخارجها التي أيدت استيلاء الضباط الأحرار على السلطة لكنها عادت أدراجها واتخذت موقفاً معادياً للسلطة بعد قمعها الدموي لإضراب عمال كفر الدوار وإعدام القادة العماليين والتأييد النسبي الذي قوبل به النظام الجديد من الولايات المتحدة الأميركية عام 1953. وقد تعرضت الحركة الشيوعية المصرية للقمع والملاحقة خلال السنوات القليلة التي أعقبت ذلك وقدمت مجموعة روما عونا مادياً ومعنوياً كبيراً للرفاق في مصر وكثفت اتصالاتها بناشطي حركة أنصار السلام بقيادة يوسف حلمي وأيدت بنشاط مبادرته لإحلال السلام بين العرب وإسرائيل.

لم تراجع الحركة الشيوعية المصرية موقفها من نظام عبد الناصر إلا عقب مؤتمر باندونق وتأميم شركة قناة السويس وصفقة الأسلحة التشيكية، حيث عدلت عن موقفها الأول واعتبرت النظام الناصري في مصر جزءاً من القوى المناضلة ضد الامبريالية. وخلال أزمة السويس تحصلت مجموعة روما على معلومات سرية عن العدوان الثلاثي البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي الوشيك على مصر وحاولت تمرير تلك المعلومات لعبد الناصر ولم تشفع حتى تلك المحاولة لهنري كورييل في استعادة جنسيته المصرية.

تراجع نفوذ وأهمية مجموعة روما باضطراد مع تزايد محاولات توحيد المجموعات الشيوعية المختلفة عقب عام 1955. فقد أدى تأسيس الحزب الشيوعي المصري المتحد إلى إبعاد هنري كورييل عن اللجنة المركزية للتنظيم لكنه استعاد عضويته في اللجنة المركزية

بعد عام ليفقدها بعد عام واحد بتأسيس الحزب الشيوعي المصري المتحد عام 1957 وامتدت هذه الإجراءات لتشمل كل مجموعة روما عقب قرار المكتب السياسي للحزب بحل المجموعة في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1957 وانتهى دور مجموعة روما في الحركة الشيوعية المصرية عام 1958 بإتحاد كل الفصائل الشيوعية المصرية في الحزب الشيوعي المصري وقد انضم حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري لهذه الوحدة بشرط مسبق هو إبعاد كل اليهود من قيادة الحزب الجديد. وانصاعت مجموعة روما لقرار الحل وواصلت عملها تحت اسم جديد هو «مجموعة الديمقراطيين المصريين المنحدرين من أصول يهودية»، وتحول نشاطها إلى دعم النضال التحرري للشعب الجزائري وفي العام 1962 أسس هنري كورييل وأصدقائه «مجموعة تضامن» التي عملت على دعم حركات التحرر في العالم الثالث حتى اغتيال هنري كورييل عام 1978 في ظروف غامضة في باريس.

ـ مجموعة الوثائق:

بالرغم من أن وثائق مجموعة روما قد عرفت بأرشيف هنري كورييل فإن جزءاً كبيراً منها لا يمكن إعتبارها أوراقه الشخصية كما أنه لا يمكن الحديث عنها باعتبارها أرشيف تنظيم واحد لأنها تتضمن وثائق مختلفة لتنظيمات مختلفة ووثائق جُمعت بعد حل المجموعة، لذلك ربما كان من الأفضل النظر لهذه الوثائق باعتبارها أرشيف عدد من الشيوعيين المصريين المنفيين (مجموعة روما) بما في ذلك أوراق هنري كورييل.

تتضمن الأوراق مجموعة محاضر السكرتارية واللجنة العامة اللتان كانتا تجتمعان أسبوعياً وكان هنري كورييل وجوزيف هزان عضوين في السكرتارية واللجنة بالإضافة إلى ألفريد كوهين (أناتولي) ورايمون استانبولي ورايمون بريوتي وكانت نفس اللجنة بإضافة عدد آخر من الأعضاء لها تجتمع باسم اللجنة الموسعة. وتتضمن الوثائق أيضاً محاضر إجتماعات الجمعية العمومية أعلى هيئات المجموعة التي كانت تجتمع نصف سنوياً كما تتضمن الوثائق مجموعة كبيرة ومتنوعة من المراسلات والاتصالات مع الحزب في مصر حول الأنشطة السياسية والخلافات الأيدلوجية وحملات التضامن مع المعتقلين الشيوعيين في مصر وإصدارات مجموعة روما ومجموعة قيمة من مطبوعات وبيانات ومنشورات الحركة الشيوعية المصرية.

عقب اغتيال هنري كورييل عام 1978 حفظت الوثائق لدى جوزيف هزان الذي أودعها لدى المعهد الدولي للتاريخ الإجتماعي عام 1992 واستُلمت مجموعة أخرى من مخطوطات رسائل هنري كورييل عام 1995 وفي نفس العام تسلم المعهد مجموعة من وثائق «تضامن» التي تتكون من التقارير السياسية التي أعدها هنري كورييل وفي عام 1996 تسلم المعهد مجموعة من وثائق ديدار فوزي روزانو.

كانت مجموعة وثائق الحركة الشيوعية المصرية مرتبة في ملفات تحتوي على قائمة مختصرة وغير مكتملة للمحتويات لكن العناوين المكتوبة على الملفات كانت مصدراً مهماً للمعلومات. عموماً لم تكن الوثائق التي تسلمها المعهد أرشيفاً مكتملاً وقد شكل قلة

المعلومات المتوفرة حول تنظيم وإدارة مجموعة روما عائقاً أمام إعادة ترتيبها وتنظيمها كما أن تعقيد الوثائق وتفريعاتها المختلفة سببت صعوبات إضافية للباحثين الذين عملوا على تنظيم الوثائق وفهرستها. كما أن الاستخدام المفرط للأسماء الحركية في المراسلات أو استخدام الاسم الأول للشخص فقط جعل من الصعب التعرف على مراتب وهيكلية التنظيم وعلاقته بالعالم الخارجي واتبع التنظيم قاعدة إعادة كتابة الرسائل عقب وصولها إلى باريس بعد استبعاد اسم المرسِل والمرسَل إليه مما عقّد مهمة الباحثين الذين عملوا على الأرشيف.

لهذه الأسباب مجتمعة تقرر عدم إجراء أي تعديل على محتويات الملفات بالرغم من أنه كان من الصعب في بعض الأحيان اكتشاف العلاقة بين الوثائق المضمنة في ملف واحد وأخذت الملفات الأصلية كوحدات أساسية وأعيد ترتيبها بعناوين مختلفة للتوصل إلى ترتيب وفهرسة موضوعية وزمنية للوثائق ومع ذلك فإن بعض الملفات تحتوي على وثائق يمكن تصنيفها بأكثر من طريقة وتحت أكثر من عنوان وقد تم التغلب على هذه المشكلة في بعض الحالات بالإشارات المرجعية المتعددة.

ـ «هنري كورييل.. الأسطورة والوجه الآخر»[1]:

يتناول هذا الكتاب «هنري كورييل ـ الأسطورة والوجه الآخر» لمؤلفه د. حسين كفافي بتحليل شخصية أسطورية ثار حولها جدل

(1) كتاب من تأليف: د. حسين كفافي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة 2003.

كبير حيث كان لها دورها الواضح في الحياة السياسية السرية في مصر في العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين، وهي شخصية هنري كورييل ابن المليونير اليهودي المصري دانيال نسيم كورييل صاحب بنك الرهونات في وسط القاهرة في ذلك الوقت. يتحدث الكتاب من خلال فصوله التسعة فضلاً عن الخاتمة عن نشأة هنري وتغلغله في المجتمع السياسي المصري، كما يتعرض للحركة الصهيونية في مصر في عام 1944 والحركة الشيوعية ودور هنري كورييل فيها حيث كان هو المبشّر للفكر الشيوعي فضلاً عن تعرضه لحرب فلسطين ومحاولات هنري الحد من كراهية اليهود في مصر مروراً بطرده منها وموقفه من ثورة الجزائر إلى أن تم اغتياله في باريس عام 1978.

كان هنري كورييل مصرياً بالمولد حيث ولد في قصر والده بضاحية الزمالك الراقية بالقاهرة، نشأ في حالة من رغد العيش لا ينقصه شيء فقد والده بصره وهو مازال في الثالثة من عمره، ووجد نفسه وهو مازال في العشرين من عمره مسؤولاً عن إدارة بنك الرهونات الخاص بأسرته وخصوصاً أنه كان حاصلاً على ليسانس الحقوق الفرنسية والذي معه يستطيع تحرير عقود الرهونات التي كان يقوم بإملائها عليه والده الضرير. ولأنه كان لا يهوى هذا النوع من العمل لذلك فقد كان يؤديه في حدود ضيقة ويصرف باقي وقته في القراءة وصحبة الفتيات أحياناً.

ولكن كيف كان انخراط هنري كورييل في الواقع السياسي المصري يقول المؤلف: في العام 1942 تعرض هنري لتجربة فتحت

عينيه على حقائق لم يكن يدركها فقد تم اعتقاله في هذا العام مع خمسين من ذوي الميول الفاشية في معتقل الزيتون وكان عمره 28 عاماً، وقد تم اعتقال كل هؤلاء بموجب قانون الأحكام العرفية وكانوا جميعاً من المصريين ولما كان هنري مصرياً بحكم المولد فقد أودع معهم في نفس المعتقل، ورغم أن اعتقاله لم يدم طويلاً حيث تدخل والده لإطلاق سراحه، إلا أن اعتقاله كان على حد قوله، أول غوص له في واقع السياسة المصرية التي لم يكن يعرفها جيداً فقد أتاح له احتكاكه بالمعتقلين المصريين أن يعرف أن المواطن المصري الأصيل لا يمكنه قبول أية مرونة تجاه الانجليز الذين كانوا يحتلون البلد في ذلك الوقت وبالتالي ما كان يمارسه «أي هنري» من نشاط قبل الاعتقال للدعوة لمقاومة قوات المحور (تحالف ألمانيا وإيطاليا)، لا يؤدي الغرض المطلوب، فكيف يقنع المصريون بمساعدة عدوتهم بريطانيا.

أدرك هنري أن الاقتراب الأمثل من الجماهير المصرية يكون من خلال الإنطلاق من نقطة محدودة وهي العداء للاستعمار وتكوين حركة شيوعية يمكن إقامتها والإنطلاق بها من خلال تلك المنصة وعند خروجه من الاعتقال كانت قد تكونت لديه قناعات ثلاث أولاً: اتخاذ معاداة الامبريالية محوراً لنضال الشيوعيين، ثانياً: حق تقرير المصير والكفاح المشترك بالنسبة للسودان، والقناعة الأخيرة هي للموقف المحايد من الدين وعدم الخوض فيه، وهكذا أسس هنري الحركة المصرية للتحرير الوطني «حمتو» سنة 1943 ولم يكن يعمل وحده وإنما ضمن مجموعة مترابطة من الشباب اليهودي، وبينما كان جهد هنري في العلن في نضاله المستميت في تجنيد

الشباب للانضواء تحت راية الشيوعية رافعاً الشعارات المعادية للاستعمار والامبريالية وحق تقرير المصير، كان جهده الرئيسي في السر وتحت الأرض هو مساعدة إسرائيل وكبح جماح الروح العدائية ضدها، حيث كانت في هذه الفترة قمة النشاط الصهيوني والمؤتمرات الصهيونية التي تحيك بحكمة واقتدار المؤامرات من أجل الوقيعة بين أولئك وهؤلاء، وكل هذا من أجل زرع إسرائيل في قلب البلاد العربية وقبل هذا زراعة عملاء في أرجاء الوطن العربي وفي المقدمة منه مصر.

ولم يكن هنري وحسب ما جاء في الكتاب، هو وحده الذي أسس حركة شيوعيين، بل كان ضمن مجموعة مترابطة من الشباب اليهود الذي اتجه في نفس الوقت لتكوين تنظيمين آخرين هما أيسكرا، ومنظمة تحرير الشعب، وقد أرجع هنري ظاهرة اعتناق الشباب اليهودي للشيوعية إلى تأثرهم بالنضال الأوروبي وخاصة إنتصار الحزب الشيوعي الفرنسي والجبهة الشعبية في انتخابات العام 1936 وذلك بحكم ثقافاتهم الفرنسية، كما يرجع إلى تأثرهم بالحركة الشيوعية الدولية، وقد كان العام 1947 هو عام الإتحاد بين «حمتو» الحركة المصرية للتحرر الوطني، و«ايسكرا» وأصبح هذا الإتحاد تحت اسم «حدتو» الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني، ولم تقم أي من المنظمتين بحل نفسها للاندماج في الأخرى بل احتفظت بتنظيماتها الأساسية دون تغيير، وأصبح قطاع الأجانب في المنظمة الجديدة حدتو على أساس الجاليات، وقد كان أول رد فعل لقيام حدتو قيام التنظيمات الماركسية الأخرى بعد حدوث خلافات بين أعضائها من المصريين والأجانب.

ورغم أن التنسيق بين المنظمتين المكونتين لحدتو كان تاماً لمدة تزيد على أربعة شهور إلا أنه بمرور الوقت اختلفت المنظمتان حول بعض المواقف ومنها الموقف من القضية الفلسطينية، حيث كانت حمتو ترى في المعارضة الوطنية المصرية لتدفق اليهود على فلسطين نوعاً من العداء للسامية، وفي مقاومة الصهيونية درباً من دروب الامبريالية، كانت ايسكرا تعمل على مقاومة الصهيونية وشكل مؤسسها هلل سوارتز العصبة اليهودية لمقاومة الصهيونية، كما كان هناك خلاف آخر حول «مدرسة الكوادر» وبنهاية شهر العسل كما كان يسميها هنري كورييل أخذت الانقسامات تطل برأسها وبدأت حدتو تتفجر في الداخل وكانت النتيجة الطبيعية لهذا أن أصبحت الضوابط الأمنية مختلة تماماً، كما أصبحت حدتو مخترقة من جانب البوليس السياسي وتجلى ذلك في اعتقالات أيار/مايو 1948 بعد إعلان الأحكام العرفية بمناسبة حرب فلسطين، فسقطت كوادر حدتو في أيدي البوليس وسيقوا إلى معسكر الاعتقال في الهايكستب، فقد ظهر من خلال هذا الصراع والانقسامات بين المنظمتين أن كورييل كان يجمع كل شيء في يده وكان الوحيد الذي يملك كل المعطيات ومن ثم كان مسيطراً على قيادة الحركة متشبثاً بموقعه رافضاً لمبدأ التمصير، وكان يحتفظ بصلات وثيقة مع رجال الفيلق اليهودي «الصهاينة» خلال الحرب العالمية الثانية، كما كان يعادي الموقف اليهودي الذي يقف موقف العداء من الصهيونية ويتهم هذا النشاط بالمعاداة للسامية، ومن ذلك أيضاً وصفه لحرب فلسطين في العام 1948 بالحرب الامبريالية الظالمة ضد دولة إسرائيل.

ويشير المؤلف إلى أنه في العام 1948 حيث قبل معظم

الشيوعيين اليهود الذين اعتقلوا في الهايكستب أن يفرج عنهم تنفيذاً لشروط هدنة رودس وأن يغادروا مصر فقد أدركوا أن قيام إسرائيل قد أغلق الطريق أمام إمكانية متابعة العمل في مصر، وهكذا خرج الشيوعيون اليهود من المعتقل إلى إسرائيل ما عدا ثلاثة منهم هنري كورييل الذين رفضوا أن يفرج عنهم لقاء مغادرتهم البلاد، فقد ظل هنري يتوهم أن دوره لم يعد في ذمة التاريخ، ولكن نهاية هذا الدور جاءت سريعاً على يد أجهزة الأمن التي نجحت في إبعاده عن البلاد حيث غادر ميناء بورسعيد على ظهر السفينة سوريانتو بوثيقة سفر زوده بها قنصل إيطاليا والدموع في عينيه فهو ما كان يتصور أن يخونه البوليس المصري الذي كان التعاون بينهما صادقاً وحميماً، وطالما كان يعطي البوليس قضايا تحسب لهم وطالما وشى بكثير من رجاله ممن لم ينصاعوا له مثل شهدي عطية، فقد كانت مصر بالنسبة له مملكته فكان ملكاً غير متوج، كان يحب الشعب المصري ولكنه في الوقت نفسه يحب اليهود فهو واحد منهم ويرى أنهم عذبوا وشردوا وقد كان قلبه يتمزق لمغادرته مصر قبل أن ينهي الفصل الثاني من مخطط تيودور هيرتزل وهو اعتراف الدول العربية بإسرائيل ولكنه خطط في نفسه أن يكمل المشوار وهو خارج مصر.

استقر هنري عام 1951 في باريس وهناك راح يطرق أبواب الحزب الشيوعي ولكنه قوبل بفتور شديد من أوساط الشيوعيين، بل إنه أصبح على حد قول البعض، كالجمل الأجرب يتحاشاه جميع أعضاء الأحزاب الشيوعية الأوروبية خشية أن تحل عليهم لعنته، ولذلك حرص على استمرار العلاقة مع «حدتو» من خلال التراسل حتى يشعر بأنه مازال له دور، وقد أشار المؤلف في هذا الصدد إلى

تعليماته التي أصدرها إلى كوادر «حدتو» بالنزول إلى الشارع لتأييد الجيش في أعقاب ثورة يوليو، لقد كان هنري مطمئناً لسلامة توجهات الضباط الأحرار وخصوصاً أن من بينهم يوسف صديق وثروت عكاشة وخالد محيى الدين وأحمد حمروش وكذلك القاضي أحمد فؤاد الذي كان على صلة وثيقة بعبد الناصر والذي كان بدوره على صلة إجتماعية قديمة وحميمة بهنري كورييل.

وتنوعت اهتمامات هنري كورييل ونشاطاته وحسبما جاء في الكتاب إنه ظل على علاقة بالثورة الجزائرية لمدة تزيد على العشر سنين قدم خلالها أقصى طاقاته، فقد كانت هذه الثورة على حد قوله شغله الشاغل، بل إنه تعرض للاعتقال مع مجموعة الأحرار الجزائريين في باريس حتى تم الإفراج عنه مع قدوم حكومة ديغول، وكان أن استقلت الجزائر عام 1962 ومع تولي بن بيلا رئاسة الجمهورية الجزائرية كان كورييل أحد مستشاريه المقربين، وكان في هذه الغضون تبرع بقصره الذي ورثه عن والده في الزمالك والذي أصبح مقراً لسفارة الجزائر بالقاهرة، وأياً كان من مساعدة هنري لثورة الجزائر فقد عرف فيما بعد أنه واضع بذور الفتنة بين «العسكر» اليسار والأصوليين من جهة وبين العرب والبربر من جهة أخرى.

مما سبق فضلاً عن الكثير الموجود بين دفتي هذا الكتاب يتضح حجم الغموض الذي يحيط بهذه الشخصية الأسطورية وكذلك الشخصيات العامة التي التقاها وكان له علاقات بها، إلى أن أسدل الستار على مشوار حياته بحادث ليس أقل غموضاً حيث جاء اغتياله

فجأة في العام 1978 عقب مغادرته لمصعد منزله في بهو العمارة التي يسكن فيها بباريس في طريقه لدرس اليوغا الذي كان يحرص عليه في أحد النوادي القريبة من منزله، وكان يحمل بيده مفكرته الشخصية وقد وضع أصبعه بين صفحاتها على موعد يشير إلى لقاء مع الدكتور وهو الاسم الذي كان يستخدمه كلما حدد موعد لقاء مع عصام السرطاوي أحد معاوني ياسر عرفات، والذي كان يتولى الحوار الفلسطيني مع العناصر التقدمية في إسرائيل.

أحمد حسين الغشمي

(1941 ـ 1978)

ولد الغشمي في ضلاع همدان إحدى ضواحي صنعاء عام 1941. التحق بالقوات المسلحة بعد قيام ثورة أيلول/ سبتمبر، وتولى مهام ومسؤوليات قيادية عسكرية كرئيس لأركان حرب فوج، وقائداً للمحور الغربي ثم الشرقي، واللواء الأول مدرع.

أسهم بدور رئيسي في حركة 13/ 6/ 1974 التصحيحية، وتولى منصب رئيس الأركان ثم نائباً لرئيس مجلس القيادة (رئاسة الدولة).

اغتيل في مكتبه برسالة مفخخة نقلها مبعوث لرئيس الشطر الجنوبي في 24/ 6/ 1978.

كان المقدم أحمد الغشمي من أعضاء مجلس القيادة الذي تشكل عقب نجاح حركة 13 حزيران/ يونيو عام 1974م التي أقصت القاضي عبد الرحمن الإرياني. وفي أثناء الخلاف بين الرئيس الحمدي وبين آل لحوم ثم المشايخ الذين كان الحمدي يريد إقصاءهم بحجة بناء دولة حديثة قوية، في تلك الأثناء كان أحمد الغشمي يتبنى موقف الحمدي ضد الطرف الآخر ومن أكبر المساندين له والمحرضين على المعارضين له.

لم يكن هناك أي تواصل أو تنسيق بين مجموعة المشايخ في خمر وبين المقدم الغشمي، ولذلك عندما حدثت عملية اغتيال الحمدي كان الأمر مفاجئاً للمشايخ في خمر، وأثار غضبهم ما حدث خاصة التغطية الإخبارية التي صاحبت الاغتيال.

ظل المشايخ بقيادة الشيخ عبد الله في خمر بعد اغتيال الرئيس الحمدي وتولى الغشمي رئاسة الدولة، وحرص الغشمي على إبقاء المشايخ الذين عارضوا تفرد الحمدي بالسلطة، بعيداً عن صنعاء رغم إرسال المشايخ للعميد مجاهد أبو شوارب إلى صنعاء للالتقاء بالغشمي، بل وفي بداية عهده استمر الغشمي في توجيه النقد لحركة المشايخ المعارضين، لكنه فيما بعد تواصل معهم مؤكداً لهم أن الخلاف قد انتهى لكنه طلب منهم البقاء في خمر هم والمشايخ الآخرين الذين كانوا أيضاً قد قاطعوا العاصمة صنعاء. واستمر هذا الموقف فترة طويلة قبل أن يلتقي الغشمي بالمشايخ في بيته كضيوف فقط قبل اغتياله بأيام معدودة.

وهكذا لم يدخل المشايخ صنعاء إلا بعد مقتل الرئيس الغشمي في 24 حزيران/يونيو عام 1978م. فقد وصل الشيخ عبد الله وإخوانه إلى العاصمة يوم دفن الغشمي، ـ وكان اليمنيون يعتبرون بأن الرئيس الحمدي اغتيل على يد الغشمي ـ بعد أن قرروا الدخول وعدم الانتظار إلى أن يأتي رئيس جديد قد يمنعهم من الدخول كما حدث في السابق، وكان دخولهم برؤية موحدة وهي تدارك الخطأ الذي حدث في العام 1974م وأنهى الحكم المدني، ولذلك ركز المشايخ على إقناع أعضاء مجلس الشعب التأسيسي ورئيسه

القاضي عبد الكريم العرشي برؤيتهم وقد وجه الشيخ عبد الله رسالة تاريخية إلى القاضي العرشي حول الموضوع، لكن حقائق الواقع لم تساعد على إنجاح هذا المسعى، وآلت الأمور إلى اختيار المقدم علي عبد الله صالح قائد لواء تعز رئيساً للجمهورية. وبذلك دخلت اليمن مرحلة جديدة من تاريخها السياسي.

الإمام موسى الصدر

(1928 ـ 1978)

1 ـ نسب الإمام السيد موسى الصدر:

هو ابن السيد صدر الدين ابن السيد إسماعيل ابن السيد صدر الدين ابن السيد صالح شرف الدين من جبل عامل.

أ. السيد صالح شرف الدين (جدّه الأول).

وُلد السيد صالح شرف الدين سنة 1122هـ في بلدة شحور في جنوب لبنان، وأقام فيها، وكان عالماً دينياً جليلاً، يملك مزرعة اسمها «شدغيت» بالقرب من بلدة معركة في قضاء صور، وفي تلك المزرعة وُلد ابنه السيد صدر الدين.

تعرّض السيد صالح شرف الدين لاضطهاد أحمد الجزّار في إطار حملة الأخير الشاملة لاضطهاد العلماء المسلمين الشيعة في جبل عامل، فأقدم جنود الجزّار على قتل السيد هبة الدين ـ الابن الأكبر للسيد صالح ـ أمام منزل والده في بلدة شحور وبحضوره، ثم اعتقلوا السيد صالح، فبقي تسعة أشهر في معتقل عكّا، إلى أن تمكّن من الفرار إلى العراق حيث أقام في النجف الأشرف، ثم تبعه

أخوه السيد محمد الذي ألحق به زوجته وولدَيه السيد صدر الدين والسيد محمد علي.

ب ـ السيد صدر الدين الصدر (جدّه الثاني)

وُلد السيد صدر الدين سنة 1193 هـ في بلدة معركة، وكان من جهابذة علماء الدين في العراق. تزوّج ابنة المجتهد الأكبر الشيخ كاشف الغطاء، ثم هاجر إلى أصفهان التي كانت تُعتبر في ذلك الزمان مدينة العلم وعلماء الدين، واشتغل هناك بالتدريس والقضاء والفتوى بصفته مرجعاً من الدرجة الأولى، وقد استفاد من محضره العلمي عدد من مشاهير العلماء أمثال الشيخ مرتضى الأنصاري، وأخوه صاحب «الروضات»، والسيد محمد شفيع صاحب «الروضة البهية».

ومن الجدير ذكره أنّ هناك صلة قربى تربط بين عائلتَي شرف الدين والصدر، فهم أبناء عمّ، وقد برزت عائلة الصدر عندما انعقدت المرجعية العامة للشيعة للسيد صدر الدين بن صالح.

وأنجب السيد صدر الدين خمسة علماء دين، وأصغرهم سنّاً هو السيد إسماعيل.

ج ـ السيد إسماعيل الصدر (جدّه الأخير)

وُلد السيد إسماعيل سنة 1258هـ في أصفهان، ثم قصد النجف الأشرف، فانعقدت له المرجعية العامة للشيعة، وكان من تلامذته الميرزا محمد حسين النائيني والسيد عبد الحسين شرف الدين.

أنجب السيد إسماعيل أربعة علماء دين: أوّلهم السيد محمد مهدي، والذي كان من مراجع الدين الكبار في الكاظمية، وثانيهم السيد صدر الدين والد الإمام السيد موسى الصدر.

د ـ السيد صدر الدين الصدر (والده)

وُلد السيد صدر الدين سنة 1299هـ في الكاظمية، نال درجة الاجتهاد، وقاد إبّان شبابه حركة دينية تجديدية، وارتبط اسمه بالنهضة الأدبية في العراق، ثم هاجر إلى مشهد المقدسة، وتزوج من السيدة صفية كريمة المرجع الكبير السيد حسين القمي، ثم توجّه إلى قم المقدسة بناءً على دعوة من مرجعها الأعلى ومؤسس الحوزة العلمية فيها الشيخ عبد الكريم الحائري اليبزدي ليكون معاونه وخليفته.

يُعتبر السيد صدر الدين من مراجع الدين العظام في عصره، وقد تولّى زعامة الشيعة بعد وفاة آية الله العظمى الحائري إلى جانب علمَين آخرين هما: آية الله العظمى الخونساري، وآية الله العظمى حجت، واستمر ذلك إلى ما قبل زعامة آية الله البروجردي، وقد قدّم السيد صدر الدين خدمات علميّة وإجتماعيّة وصحيّة بالإضافة إلى تربية عدد كبير من العلماء.

أنجب السيد صدر الدين سبع بنات وثلاثة صبيان، هم: المرحوم آية الله السيد رضا، والسيد علي أصغر، والإمام السيد موسى الصدر.

انتقل السيد صدر الدين إلى الملأ الأعلى سنة 1954م، ودُفن

داخل حرم السيدة فاطمة المعصومة في قم المقدّسة.

هـ ـ السيد الشهيد محمد باقر الصدر (إبن عمّه)

هو العالِم والمرجع الإسلامي الكبير الذي قاد الثورة الإسلامية في العراق واستشهد تحت التعذيب والإجرام الصدّامي ومعه أخته المجاهدة الكاتبة اللامعة بنت الهدى، وذلك بسبب مواقفهما الصلبة في مواجهة الحكومة البعثية في العراق ونصرته للثورة الإسلامية في إيران وقائدها الإمام الخميني ﷺ.

و ـ السيد حسين الطباطبائي القمّي (جدّه لأمّه)

وُلد آية الله السيد حسين الطباطبائي سنة 1282هـ في عائلة دينية من الدرجة الأولى، وتولّى المرجعية العامة للشيعة بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني.

وكان اسم السيد حسين الطباطبائي يترادف مع مفاهيم التضحية ومواجهة الظالمين، وكان عالِماً مقداماً رفَع راية الجهاد في زمن حُبست فيه الأنفاس وبلغ ظلم رضا خان أوجه، فتصدّى السيد لمؤامرة نزع الحجاب وغيرها من مفاسد الحكّام، وجسّد العنفوان الحسيني بين صفوف الشعب في إيران، وقاد تحركاً تاريخياً نادراً ضد الغزو الثقافي الغربي الذي تعهّده رضا خان، وانطلق السيد في ذلك نتيجة إحساسه بتكليفه الشرعي، فتحرّك سريعاً، وقال للمترددين الذين اشتبه عليهم الأمر: «أعتقد بجواز التصدّي لمؤامرة نزع الحجاب ولو أدّت إلى قتل عشرة آلاف إنسان وأنا واحد منهم».

ز ـ السيدة صفية (والدته)

تزوّج السيد صدر الدين الكريمة المؤمنة الطاهرة للسيد حسين الطباطبائي القمّي، وهي السيّدة صفيّة، وكانت بمثابة شمعة تحمّلت مع زوجها كافة معاناة المرحلة الدراسيّة، وكانت زوجة مضحّية وأمّاً رؤوفة ومربّية صالحة، واشتهرت بين معارفها بـ «صفيّة الصالحة»، وقد نالت احترام وتقدير كافة علماء الحوزة الكبار الذين عرفوا فيها الوقار والعظمة.

2 ـ نشاة الإمام السيد موسى الصدر:

أ ـ ولادة موسى الصدر:

عاشت المدن الإيرانية وشعبها المعذّب تحت وطأة وظلم السلالة المتفرعنة التي سعت بكل قدراتها لإبعاد إيران عن تعاليم السماء ونداءات الفطرة الإنسانية، ومع ذلك فقد ثبت هذا الشعب وانتظر تلاميذ موسى الذين ما زالوا في بطون أمهاتهم.

خلال تلك الظروف، وُلد السيّد الكريم في أحد أحياء قم في محلّة جهار مردان في زقاق «عشّاق علي» عليه السلام (عشقعلي) في أحد البيوت الصالحة، فانتشر خبر ولادة سليل الأنبياء عليهم السلام وسط أجواء من البهجة والسرور، وكانت عقارب الزمان تشير إلى الرابع من حزيران/ يونيو من العام 1928م.

بعد عدة أيام انتخب له والده اسم موسى، نعم.. موسى.. كم هو اسم جميل ومناسب لتلك القامة، اسم يشير عند سماعه إلى

مواجهة الكفر والظلم، ويعيد إلى الأذهان ذكريات مقارعة الطواغيت والجبابرة.

ب ـ دراسته:

انتسب السيد موسى إلى مدرسة «الحياة» الإبتدائية في قم سنة 1934م، وبرز أثناء الدراسة شغفه للتعلّم، فالتحق في نفس الوقت بمدرسة ثانية لينهل منها الدين والالتزام وغاية الحياة، وكان ذلك برعاية جدّه السيّد الطباطبائي صاحب القلب الذي حضَن التاريخ، والروح التي عانقت الشمس، والقامة التي نسجت صلابتها من أركان السماوات السبع.

ج ـ نهاية المرحلة الثانوية:

حاز السيّد موسى على الشهادة الثانوية من مدرسة «سنائى» في قم، وكان لتلك الشهادة في ذلك الزمان أهمية خاصة لتأمين متطلبات العيش والحياة المرفَّهة، لكنه قرّر أن يُتحف أمّته المعذَّبة بصيانة كرامتها وتحقيق سعادتها على خطى أجداده الأطهار، وأراد لوجوده أن يكون شمعة أمل توقظ الغافلين وتبعث النور في قلوب المحرومين والمعذَّبين.

د ـ الالتحاق بحوزة قم المقدّسة:

كان السيّد موسى يتلقى الدروس الحوزوية إلى جانب دراسته الإبتدائية والثانوية، لكنه قرّر في سنة 1941 م التفرّغ للدراسة في حوزة قم العلميّة، وقد امتدت دراسته الحوزوية لأكثر من عقد من الزمن، وبعد اجتيازه مرحلة المقدِّمات والسطوح المتوسطة والعالية

شارك السيّد في حلقات بحث الخارج في الفقه والأصول بالإضافة إلى الفلسفة عند أساتذة الحوزة المشهورين، ومن أبرز أساتذته في حوزة قم العلمية في مرحلة السطوح: ـ آية الله علوي أصفهاني، وآية الله المحقِّق الداماد، وآية الله السيد رضا الصدر (أخوه).

أما في مرحلة الخارج في الفقه فكان أساتذته: ـ آية الله الإمام الخميني، آية الله السيد أحمد خونساري، آية الله حجت كوه كمره اى، آية الله السيد صدر الدين الصدر (والده)، آية الله المحقِّق الداماد.

في مرحلة الخارج في الأصول فكان أستاذه: ـ آية الله المحقِّق الداماد.

في الفلسفة: ـ آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي، آية الله السيد رضا الصدر (أخوه).

وقام السيّد خلال دراسته بتدريس المقدِّمات والسطوح والفلسفة، وقد تمتّع بأسلوب شيّق وجذّاب في بيان المسائل المهمة والمعقدة، فنال إعجاب طلبته، وتمكّن بجهده الدؤوب من إثبات وجوده أستاذاً مميّزاً بين أساتذة الحوزة خلال مدة قصيرة.

هـ السيد موسى في الجامعة:

انتسب السيّد إلى كليّة الحقوق في جامعة طهران سنة 1950م، وتابع دراسته الجامعية إلى جانب دراسته وتدريسه في الحوزة، وكانت عِمّته أول عمامة تدخل حرم تلك الجامعة. نال شهادة الليسانس في الحقوق الإقتصادية سنة 1953م.

استفاد السيّد من قدراته الذاتية وهمّته العالية، وتعلّم اللغتين الإنكليزية والفرنسية بعدما أتقن الفارسية والعربية، واغتنم الفرص الثمينة في مرحلة شبابه، وبحَث عن كل علم ومهارة تساعده على حل مشاكل الناس ومواجهة التخلّف الفكري والسلوكي عند البشر.

و ـ الهجرة إلى النجف الأشرف:

بعد وفاة والده في العام 1954م، ومن أجل الاستفادة من الفيض العلوي والأخلاقي للأساتذة العظام في حوزة النجف الأشرف، وبعد استئذان وتأييد آية الله العظمى البروجردي، قام الإمام بالتوجه إلى العراق، حيث بقي فيها حتى سنة 1959 م، وقد حضر خلال تلك الفترة دروساً عند العديد من المراجع.

ومن أبرز أساتذة السيد موسى في النجف الأشرف: ـ آية الله السيد محسن الحكيم، آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين، آية الله السيد أبو القاسم الخوئي، آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي، آية الله الشيخ حسين الحلّي، آية الله الشيخ صدر بادكوبه، آية الله السيد محمود الشاهرودي.

ز ـ فقيه عارف بزمانه:

حافَظ السيد موسى في النجف ـ كما كان في قم ـ على تفوّقه بين زملائه في الدراسة والمباحثة، فأدهش جميع معارفه بنبوغه وذكائه، ونال احتراماً لدى مراجع وعلماء النجف لشخصيته الجامعة، وكانوا ينظرون إليه بعين العظَمة والأمل، حتى أنّ بعضهم

لم يكن يسمح لأحد بطرح الإشكالات أثناء إلقاء درسه، إلا للسيد موسى، وكانوا يسمعون مداخلاته بدقة عالية.

تدلّ هذه المكانة على درجة الاجتهاد العالية للسيد موسى، وليس الاجتهاد الذي اعتاد عليه الكثيرون، بل استلهم جهاده من الفقه التقليدي ومناهج الجواهري والمحقق الأردبيلي والشيخ الأنصاري. . ، فكان فقيهاً عارفاً بزمانه مدركاً لشؤون الحياة ومتطلباتها وتحلّى بملكات الإخلاص والتقوى والزهد الضرورية لكل مجتهد.

ح ـ جمعية «منتدى النشر»:

شارك السيد موسى في الهيئة الإدارية لجمعية «منتدى النشر» في النجف الأشرف، والتي كانت تهتم بعقد الندوات الثقافية ونشرها.

3 ـ زيارة السيد الأولى للبنان:

قدِم السيد موسى إلى لبنان ـ أرض أجداده ـ لأول مرة في سنة 1955م، وذلك بعد سنتين من إقامته في النجف الأشرف، فتعرّف على أنسبائه في صور وشحور ومعركة، وحلّ ضيفاً عند العلامة الجليل السيد عبد الحسين شرف الدين.

وقد شاهد السيد موسى خلال زيارته هذه وقائع مهمة سبق وقرأ حولها في الكتب، وسمع عنها من والده وعائلته، فشعر بمسؤوليته التاريخية تجاه ما رآه من التخلف الثقافي والإقتصادي.

وقد برزت شخصية السيد خلال زيارته وتقدّمها العلمي والأخلاقي والسياسي بشكل تجاوز رجال الدين والسياسة في لبنان،

إضافةً إلى مواقفه الشجاعة ودوره الساطع والأساسي في تعبئة الشعب اللبناني ضد المستعمرين.

أ ـ التكليف التاريخي:

جاءت زيارة السيد إلى لبنان في وقت كان العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين يستعد لوداع الدار الفانية ويبحث عن خليفة ينوب عنه، فاكتشف أثناء حواره مع السيد موسى نبوغه ومزاياه العلمية وسجاياه الأخلاقية وجدارته القيادية التي أثبتت له ـ إضافةً لما عرفه عنه أثناء وجوده في قم والنجف ـ أنه وجد ما كان يبحث عنه، فانتجبه قائداً مستقبلياً في لبنان، وأخذ يتحدث حول لياقته ويعرّف الناس على شخصيته الجامعة.

بعد زيارته القصيرة إلى لبنان، عاد السيد الصدر إلى النجف، وذلك لمتابعة تحصيله العلمي.

ب ـ ميثاق الزواج:

فكّر السيد الصدر في سنة 1956م بتشكيل أسرة وانتخاب زوجة لائقة تضفي السكينة والعزيمة على حياته الحافلة بالمعاناة، لأنّ العالِم الربّاني المدرِك لمسؤولياته يعيش دوماً في خضمّ الحوادث ويمضي معظم أوقاته في مقارعة الجبابرة ويتعرض للسجن والإبعاد، فلا بد للمرأة أن تتمتع بروحية عالية ومزايا تمكّنها من العيش مع هذا النوع من الرجال.

وهكذا، تزوّج السيد الصدر وله من العمر 28 سنة، وأنجب

هذا الزواج المبارك أربعة أولاد، وهم: صدر الدين، وحميد، وحوراء، ومليحة.

ج ـ ثقة زعيم الحوزة العلمية آية الله البروجردي:

لم يكن السيد عبد الحسين شرف الدين العالِم الحكيم الوحيد الذي أُعجب بعظَمة السيد موسى، بل جذب بشخصيته الجامعة الكثير من المواقع الدينية والجامعية، فحاز سماحته على ثقة المرجع البصير آية الله العظمى السيد البروجردي لتمثيله المطلق في إيطاليا حين أعدّ لائحة تضم شخصيات لامعة في الحوزة لتكليفهم بهذا النوع من المسؤوليات.

وبعد وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين في العام 1957م كتب أنصاره رسالة إلى الإمام الصدر دعوه فيها إلى لبنان، وحاول مشيّعو جثمانه الطاهر إلى النجف اصطحاب الإمام الصدر معهم إلى لبنان، وقد أشار إليه المرجع البروجردي لتلبية الدعوة.

د ـ تأييد المرجع الكبير السيد محسن الحكيم:

بعد وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين، نتج عن ذلك فراغ كبير في لبنان، فبادر المرجع الأكبر السيد محسن الحكيم إلى ملئه عبر إقناع الإمام الصدر ـ تلميذه آنذاك ـ بتلبية الدعوة والذهاب إلى صور، وأرسل معه رسائل عديدة إلى وجهاء الشيعة وأعيانهم يخبرهم فيها عن ميّزات ومواهب الإمام الصدر.

4 ـ عودة الإمام الصدر إلى إيران:

أ ـ إصدار المجلة الحوزوية الأولى:

عاد السيد موسى إلى قم في سنة 1958م، فشارك في تأسيس مجلّة «مكتب إسلام» وتولّى رئاسة تحريرها، وكتب فيها عدة مقالات وكان لهذه المجلة الثقافية الإسلامية الأولى ـ التي صدرت في الحوزة العلمية في مدينة قم ـ الأثر المميز في تشكيل الوعي النهضوي في إيران.

وقبل ذلك، لم تكن ظروف الحوزة تساعد على تقبّل هذا النوع من النشاطات، وتطلّب دخول هذا الميدان التحلّي بشجاعة وإرادة استثنائية. وهكذا، وبالتوكل على الله، وبدعم آية الله العظمى البروجردي، وفي صيف العام 1958م صدر العدد الأول من المجلة، فنالت موضوعاتها اهتمام الشهيد مطهّري، وخاصةً مقالات السيد موسى الصدر حول «المذهب الإقتصادي في الإسلام»، لأنها كانت متناسبة مع متطلبات العصر لأنها كانت من الأبحاث الحديثة في ذلك الزمان.

ب ـ تاسيس المدرسة الأهلية:

كان أعداء الإسلام يشنّون هجماتهم من كل جانب لإيجاد الانحراف الفكري عند الشعب المسلم في إيران، وفُرضت الثقافة المستوردة على الوزارات والمؤسسات والمراكز الثقافية والعلمية ووسائل الاتصال. ولم تكن المدارس بعيدة عن مخططاتهم الشيطانية، فكان الأبناء الأبرياء يتلقون تربية فاسدة في المدارس،

وكان لا بد من التصدّي لذلك في وقت أعرض المراجع العظام وعلماء الدين والأهالي المتدينين في قم عن إرسال أولادهم إلى المدارس الرسمية لحفظهم من الانحراف معتمدين في ذلك على المواجهة السلبية.

أما الإمام الصدر فقد بادر مع أحد المثقفين المتدينين إلى تحصيل رخصة تأسيس ثانوية أهلية، وتولّى سماحته إدارتها شخصياً، وعندها بدأ أبناء قم يتلقون تربية إسلامية إنسانية بعيدة عن مفاسد الحكّام.

ج ـ إصلاح نظام الحوزة:

كان الإمام الصدر يعتقد بضرورة تطوير منهج الحوزات العلمية وإخراجها من التحجّر والجمود والاستغراق في الأحكام الفردية والعبادية لتمارس دورها في التصدي لمقتضيات الزمان، فقام إلى جانب عدد من أصدقائه أمثال الشهيد د. بهشتي بتحرك تاريخي في سنة 1959م، فأعدّوا برنامجاً يتضمن خطوات أوّلية، لكن عدم توفّر الظروف والاستعدادات الكافية في الحوزة أدى إلى تأجيل ذلك.

5 ـ هجرة الإمام الصدر إلى لبنان:

هاجر السيد الصدر للمرة الثالثة إلى لبنان سنة 1960م، ولمدة شهر واحد، ليتعرف أكثر على ظروف الناس، وبعد اطلاعه على مستوى الحرمان شعَر بعظَمة التكليف وقرر البقاء في لبنان خلافاً لرغبته الخاصة.

وكان من الجلّي للجميع أنه لو استمر الإمام بنشاطه في

الحوزات العلمية بالكفاءات والاستعدادات التي يتمتع بها لأصبح من المراجع والمفكّرين الهامين في عالم التشيّع، لكن هول المأساة في لبنان أقلقه وهزّ كيانه، فضحّى بكل آماله وتحمّل أعباء هذه المسؤولية التاريخية لإنقاذ المجتمع اللبناني بكل طوائفه الإسلامية والمسيحية.

أ ـ إمامة مسجد الإمام شرف الدين:

بعد وصوله إلى لبنان، اختار السيد موسى الإقامة في مدينة صور، وباشر مسؤوليته التاريخية بإمامة مسجد المجاهد الأكبر آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين، والذي كان لا يزال يعبق بعطر خطبه ومواقفه الجيّاشة، فوضع السيد موسى بذلك نهاية لانتظار العلامة شرف الدين وأحيا في مسجده دور الهداية والجهاد.

ب ـ مواجهة الحرمان الثقافي:

اكتشف السيد الصدر بعد دراسة معمّقة لظروف الحرمان أنّ سببها الأساسي يعود إلى التخلّف الثقافي والإقتصادي، فبدأ مباشرةً في إعداد خطة لمواجهة الحرمان الثقافي بالإضافة إلى التدريس في الكلية الجعفرية في مدينة صور والكلية العاملية في مدينة بيروت، وألقى المحاضرات المنتظمة في المراكز الثقافية والإجتماعية والتربوية، واهتم بإقامة علاقات مباشرة مع الشباب والمثقفين.

ج ـ الحضور في المراكز المسيحية:

اهتم السيد بزيارة المراكز المسيحية الدينية والثقافية، فألقى الخطَب في الكنائس، وحاور الشخصيات المسيحية الدينية والعلمية

والسياسية، وتمكن خلال مدة قصيرة أن يجذبهم إلى تقدير شخصيته الاستثنائية.

د ـ مواجهة الحرمان الإقتصادي:

اعتقد السيد موسى بوجود علاقة مباشرة بين الحرمان الثقافي والإقتصادي، وأنّ لهما تأثيراً كبيراً على القضايا الفكرية والأخلاقية والسياسية والعسكرية، ويقول سماحته في هذا المجال: «ما يدعو للتعجّب أنّ الإسلام يعتبر طلب العلم فريضة واجبة، لكن أكثر الأمّيين هم من المسلمين!، والإسلام يعتبر أنّ النظافة من الإيمان، بينما أكثر الأحياء والأسواق وساخةً هي أحياء المسلمين وأسواقهم، فكيف يصدّق الناس إدعاء المسلمين بأنّ الإسلام يضمن سعادة الدنيا والآخرة، وهم يغرقون في الجهل والفقر والمرض ويسيطر الفساد والانحراف على سلوك نسائهم وشبابهم وتجّارهم وزعمائهم»؟!..

إنطلاقاً من هذه الوقائع، ومن أجل اقتلاع جذور هذه المعضلات وأبعادها المختلفة، فإنّ نشاط الإمام لم يقتصر على المسجد والمدرسة والجامعة، بل بادر سماحته إلى تأسيس مراكز ومؤسسات أخرى ذات أهمية.

هـ ـ جمعيّة «البِرّ والإحسان»:

اهتم الإمام الصدر بالعديد من المشاريع والجمعيات الخيرية والثقافية، وأعاد تنظيم جمعية «البِرّ والإحسان» في مدينة صور، وتولّى نظارتها العامة، ونجح في القضاء على التسوّل والتشرّد في

المدينة، وتمكّن من شدّ أواصر الأخوّة والتعاون بين المواطنين من مختلف الطوائف.

و ـ تفعيل دور المرأة:

كان وضع النساء والبنات آنذاك مأساوياً، ولم يكن مطروحاً يومها أمر الحجاب أو عدمه، بل كانت الخطورة في خلاعة المرأة التي فاق فسادها في لبنان كافة الدول الأخرى في الشرق.

ويقول الإمام في هذا المجال: «اكتشفتُ أنّ السبب الرئيسي لهذا الانحراف هو الضياع الفكري والأميّة والابتعاد عن التعاليم الدينية، فقرّرتُ في البداية رفع مستوى الوعي الديني والأخلاقي، لكنّني واجهت عقبتين كبيرتين:

1 ـ ضعف مشاركة النساء في النشاطات العامة.

2 ـ اهتمامهن بالأزياء والموضة وأدوات التجميل.

فلم يكن ممكناً بدايةً دعوتهن لارتداء الحجاب الإسلامي، لذا قرّرنا اعتماد أساليب غير مباشرة، فأعلنت جمعية «البِرّ والإحسان» عن استعدادها لقبول عضوية النساء ومشاركتهن في نشاطاتها بفعالية، وهكذا، انتسبت للجمعية خلال مدة قصيرة أكثر من مائتي امرأة، وانتخبن ثمانية منهن كأعضاء شكّلن هيئة إدارية نسائية في السنة الأولى.

وتطوّر نشاط النساء في الأعمال الخيرية نتيجة حُبّ التضحية والعطاء، فنالت إحداهن جائزة أفضل عضو فعّال في الجمعية لسنة

1960م، ولتطوير علاقتهن بأهداف الجمعية تم تكليفهن بتوزيع المساعدات الشهرية وزيارة العائلات الفقيرة، فأدّت هذه المهمّة إلى تحقيق الارتياح النفسي وإحياء الأصالة الإنسانية في نفوسهن، وأدركن أنّ الحشمة والعفّة هي مقوّمات أساسية تضفي على شخصيتهن الحياء والعظّمة».

ز ـ تأسيس «بيت الفتاة»:

أسّس السيّد الصدر مؤسسة «بيت الفتاة» لتعليم بنات الفقراء الأشغال اليدوية والخياطة، وبعد تخرّجها من الدورة تعود إلى منزلها بروحية عالية ومهنة شريفة وتعمل في منزلها لتؤمّن احتياجاتها واحتياجات عائلتها.

ح ـ إنشاء «معهد التمريض»:

أسّس السيّد الصدر معهد تمريض خاص بالنساء يؤهّلهن لنيل شهادة رسمية في مهنة التمريض ويساعدهن للعمل في المستوصفات والمستشفيات ويحقّق لهن مكانة إجتماعية مرموقة واكتفاءً ذاتياً ويقوم بدور فاعل في خدمة الفقراء والمحرومين.

ط ـ «مؤسسة حياكة السجّاد»:

قامت المؤسسة بتعليم حياكة السجّاد لأكثر من ثلاثمائة بنت من بنات جبل عامل، وكانت المؤسسة تؤمّن أدوات الحياكة لكل متخرّجة لتعمل في منزلها مقابل أجر محدَّد، كما تولّت المؤسسة بيع السجّاد في معارض خاصّة.

ي ـ «مؤسسة جبل عامل المهنية»:

أسّس الإمام الصدر «مؤسسة جبل عامل المهنية» بهدف إزالة فقر الناس وجهلهم المتراكم منذ عشرات السنين، وتركّز اهتمامها على المحرومين والأيتام الذين استشهد آباؤهم وأمهاتهم بسبب الاعتداءات الإسرائيلية، وكانوا يدرسون نهاراً ويبيتون ليلاً بشكل مجّاني، وكانت المؤسسة تمنح طلابها شهادات رسمية في اختصاصات مختلفة وتساعدهم على تأمين متطلبات حياتهم.

ولم تقتصر المؤسسة على تحقيق التفوّق العلمي، بل شكّلت مصنعاً فكرياً لإعداد الكوادر من خلال إقامة صلاة الجماعة والمحاضرات والنشاطات الإسلامية المختلفة.

وبسبب الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة كان أساتذة المؤسسة وطلابها يتدربون على فنون القتال ويواجهون إسرائيل في المواقع الأمامية، فقدّموا العديد من الشهداء.

ك ـ «معهد الدراسات الإسلامية»:

تُعتبر الحوزة العلمية في مدينة صور «معهد الدراسات الإسلامية» من المشاريع الأساسية التي أسّسها الإمام الصدر تلبيةً لحاجات الناس الضرورية والدائمة للعلماء والمبلّغين الذين يتمتعون بالبصيرة وتحمّل المسؤولية، فاهتمت بإعداد طلبة العلوم الدينية اهتماماً شديداً، وكان يدرس في المعهد إضافةً إلى الطلبة اللبنانيين عدد كبير من أبناء أفريقيا وأندونيسيا والصين وأفغانستان واليابان،

حيث نهلوا من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعادوا إلى بلدانهم لنشر رسالة الإسلام والتشيّع فيها.

ويُعتبر العلامة الشهيد السيد عباس الموسوي (أمين عام حزب الله) نموذجاً من خرّيجي هذه الحوزة، وقد وجد الإمام الصدر فيه ملامح شخصية مميزة ورجلاً لن يكون عادياً في مسيرة شعبه، وقد التحق السيد الشهيد بالمعهد بناءً على رغبة الإمام الذي أشار إليه بعد تخرجه من المعهد للسفر إلى العراق لمتابعة دراسته في كنف السيد الشهيد محمد باقر الصدر.

ل ـ مشاريع وأملاك مختلفة:

في بدء ولايته عمل الإمام الصدر على تأمين مقرّ للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في بناء لائق من أربع طبقات على عقار مساحته 6475 متر مربّع، ويحتوي على قاعات واسعة للإجتماعات العامة، ويقع في محلة الحازمية بضاحية بيروت الشرقية الجنوبية، وسُجّلت ملكية هذا العقار باسم أوقاف الطائفة الشيعية.

كما عمل سماحته على تمليك أوقاف الطائفة عقاراً ثانياً بضاحية بيروت الغربية الجنوبية محلّة خلدة مساحته 7904 متر مربّع، ويقوم عليه بناء مؤلف من سبع طبقات، وأُطلق عليه اسم «مدينة الزهراء الثقافية والمهنية»، وتقوم مؤسسات الطائفة باستخدامه. كذلك، أمّن الإمام لمشاريع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الانتفاع من قطعة أرض مساحتها 15034 متر مربّع من مشاعات بلدة الغبيري في ضاحية بيروت الغربية الجنوبية محلّة الجناح، وأنشأ عليها مستشفى «الزهراء» التابع للمجلس.

وحقّق سماحته شراء 190 ألف متر مربّع من الأراضي في الوردانية على طريق صيدا ـ بيروت لتشييد مؤسسات إجتماعية وثقافية ومهنية عليها، وسجّل ملكية هذه الأراضي باسم أوقاف الطائفة.

كما حقّق الإمام لـ «جمعية البر والإحسان» في صور ـ التي يتولى نظارتها العامة ـ شراء 900 ألف متر مربّع في بلدة اللبوة بعلبك لإنشاء مدرسة فنيّة زراعيّة ومشاريع أخرى عليها، وعمل على توسيع منشآت وتجهيزات لـ «جمعية البر والإحسان» في صور وهي من مؤسسات الطائفة ذات المنفعة العامة، وذلك تحقيقاً لتوسيع المؤسسات المهنية التابعة للجمعية ولإنشاء المدرسة الفنية العالية للتمريض التي استحدثها. كذلك أقام سماحته مبرّة الإمام الخوئي لرعاية أبناء الشهداء في برج البراجنة في ضاحية بيروت الجنوبية وفي بعلبك والهرمل.

كما أقام الإمام مراكز صحية في برج البراجنة وحيّ السلّم في ضاحية بيروت الجنوبية، وأيضاً في مدينة صور حيث أقام مدرسة للتعليم الديني.

م ـ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى:

بدأ الإمام الصدر الرعاية الدينية والإجتماعية موسّعاً نطاق العمل الديني من خلال المحاضرات والندوات والإجتماعات والزيارات متجاوزاً سلوك الاكتفاء بالوعظ الديني إلى الاهتمام بشؤون المجتمع، فتحرّك في مختلف قرى جبل عامل وبعلبك والهرمل والشمال، وعاش سماحته حياة أهل هذه القرى ومعاناتهم من

التخلف والحرمان، ثم تجوّل في مختلف المناطق اللبنانية متعرفاً على أحوالها ومحاضراً فيها، وأقام العلاقات مع الناس من مختلف فئات المجتمع اللبناني وطوائفه داعياً إلى نبذ التفرقة والطائفية باعتبار أنّ الأديان واحدة في البدء والهدف والمصير، ودعا سماحته إلى تفاعل الحضارات الإنسانية ومكافحة الفساد والإلحاد.

وبعد وقوفه على أحوال الطائفة الإسلامية الشيعية ظهرت للإمام الحاجة إلى تنظيم شؤون هذه الطائفة، فأخذ يدعو إلى إنشاء مجلس يرعى شؤونها أسوةً ببقية الطوائف، ولقيت دعوته معارضة من داخل الطائفة وخارجها، لكن ذلك لم يمنعه من متابعة دعوته، فعقد مؤتمراً صحفياً بتاريخ 15 ـ 8 ـ 1966م عرض فيه آلام الطائفة ومظاهر حرمانها بشكل علمي مدروس معتمداً على الإحصاءات، وبيّن الأسباب الموجبة لإنشاء المجلس وأعلن أنّ المطلب أصبح مطلباً جماهيرياً تتعلق به آمال الطائفة.

وهكذا آتت الدعوة ثمارها وأقرّ مجلس النواب اللبناني الاقتراح بتاريخ 16 ـ 5 ـ 1967، علماً أنّه سبق وأُقر مرسوماً مشابهاً للطائفة السنيّة في سنة 1955م، وللطائفة الدرزية في سنة 1962 م.

وبتاريخ 23 ـ 5 ـ 1969 م انتخبت الهيئة العامة للمجلس الإمام موسى الصدر أول رئيس للمجلس، وأعلن سماحته عن برنامج عمله لتحقيق أهداف المجلس، وقد تضمن الخطوط الرئيسية التالية:

1 ـ تنظيم شؤون الطائفة وتحسين أوضاعها الإجتماعية والإقتصادية.

2 ـ القيام بدور إسلامي كامل فكراً وعملاً وجهاداً.

3 ـ عدم التفرقة بين المسلمين، والسعي للتوحيد الكامل.

4 ـ التعاون مع الطوائف اللبنانية كافة، وحفظ وحدة لبنان.

5 ـ ممارسة المسؤوليات الوطنية والقومية، والحفاظ على إستقلال لبنان وحريته وسلامة أراضيه.

6 ـ محاربة الجهل والفقر والتخلف والظلم الإجتماعي والفساد الخلقي.

7 ـ دعم المقاومة الفلسطينية، والمشاركة الفعلية مع الدول العربية الشقيقة لتحرير الأراضي المغتصبة.

ن ـ «هيئة نصرة الجنوب»:

على أثر العدوان الإسرائيلي على القرى الحدودية الجنوبية والذي ألحق خسائر جسيمة بأرواح المواطنين الأبرياء وممتلكاتهم وتسبّب بنزوح أكثر من خمسين ألف مواطن من ثلاثين قرية حدودية، على أثر ذلك بادر الإمام بتاريخ 13 ـ 5 ـ 1970 إلى دعوة الرؤساء الدينيين في الجنوب من مختلف الطوائف وأسّس معهم «هيئة نصرة الجنوب» التي أولت رئاستها للإمام الصدر ونيابة رئاستها للمطران خريش الذي أصبح فيما بعد بطريركاً للموارنة، وتبنّت هذه الهيئة مطالب الإمام الصدر لحماية الجنوب وتنميته.

س ـ «مجلس الجنوب»:

طالب الإمام الصدر السلطة اللبنانية مراراً لتقوم بواجباتها في دعم الجنوبيين، لكنها لم تتجاوب بالشكل المطلوب، فأعلن

هجومه ضدها ودعا إلى إضراب وطني عام بتاريخ 26 ـ 5 ـ 1970، فلبّى الإضراب مختلف فئات الشعب، واجتمع مجلس النواب مساء ذلك اليوم وأقرّ تحت ضغط التعبئة العامة مشروع قانون يقضي بإنشاء مجلس الجنوب مهمته المساهمة في تعزيز صمود الجنوبيين والتعويض عن أضرار الاعتداءات الإسرائيلية والإنفاق على مشاريع وخدمات عامة.

ع ـ مطالب الطائفة:

بعد التأجيل والتعثّر لم يبق أمام الطائفة سوى أسلوب المطالبة الضاغط، وقد حصل إجتماع برئاسة الإمام في 8 ـ 2 ـ 1974م (عاشوراء 1393هـ) وأقرّ المطالب التالية:

1 ـ في حقل الوظائف العامة: وعلى أساس العدالة التي يؤكّدها الدستور، نجد أنّ الطائفة الشيعية تشغل في الوقت الحاضر وفي الفئة الأولى على سبيل المثال 19 مركزاً من أصل استحقاقها البالغ 30. هذا مع العلم أنّ الطائفة محرومة من أي مركز في الوظائف العليا الإدارية والقضائية إضافةً للحيف اللاحق بها في مراكز الجيش وقوى الأمن الداخلي، فضلاً عن رؤساء كل مجالس إدارات الدولة. إنّ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى يطالب بإنصاف الطائفة الشيعية بشكل سريع عن طريق تعيين أصحاب الكفاءات من أبناء هذه الطائفة في أحد عشر مركزاً من مراكز الفئة الأولى.

2 ـ بالنسبة لنوعية المراكز: يرفض المجلس تصنيف المواطنين طائفياً، ويؤكّد بقوّة مطالب القائلين برفض طائفية الوظيفة وضرورة تبادلها بين مختلف الطوائف حسب كفاءاتهم.

3 ـ إنّ مسألة الدفاع عن حدود الوطن وعن سلامة المواطنين في أرجاء البلاد هي المسؤولية الأولى للسلطات، وفي هذا الحقل يحتجّ المجلس على إهمال قضية الدفاع عن الجنوب، ولا يمكنه القبول بأعذار ومبررات غير صحيحة أو غير كافية.

4 ـ إنّ الألوف من المواطنين في مناطق بعلبك والهرمل والشمال ومناطق أخرى لا يملكون بطاقة هوية لبنانية، وبالتالي يُحرمون من كافة حقوق المواطنية، إنّ هؤلاء لا يمكن التشكيك في لبنانيتهم أو ولائهم الوطني، ولكن ظروفهم الحياتية وسكنهم في مناطق نائية جعلتهم من المكتومين والمعلّقين.

5 ـ في حقل الإنماء: يؤكّد المجلس على ضرورة تنفيذ مشاريع إنمائية في المناطق المحرومة والمتخلفة، وذلك عن طريق قوانين وبرامج ولحظ اعتمادات في الموازنة العامة لكي تصبح المناطق اللبنانية متقاربة المستوى ويطلب المجلس في هذا المجلس تحقيق ما يلي: تنفيذ مشروع ري الجنوب من مياه الليطاني بإنهاء الجدل حول منسوب المياه واعتماد الدراسات الدقيقة التي وُضعت بهذا الخصوص ـ إصدار التشريعات اللازمة لتأمين اعتمادات التنفيذ ـ إلغاء جر مياه الليطاني إلى

بيروت، والاستعانة بمياه نهر بيروت ونهر إبراهيم - اعتبار الليطاني مشروعاً وطنياً إجتماعياً إلى جانب كونه ذا صفة إقتصادية.

6 - تنفيذ المشروع الجاهز للبحيرات الاصطناعية الذي يروي الأراضي الواقعة في قضائي صور وبنت جبيل (مثلّث يارين - كفرا - يارون) والتي لن تستفيد من مشروع الليطاني.

7 - تنفيذ مشروع القاع - الهرمل في المرحلة الأولى من الاعتمادات المرصودة منذ العام 1962، وإصدار التشريع اللازم لتأمين الاعتمادات اللازمة لإنهاء شبكات الري في المرحلة الأولى وضخ المياه في المرحلة الثانية بحيث يتم تأمين ري سبعة آلاف هكتار ويجب إنشاء عمليات الضم والفرز بحيث تنتهي مع نهاية تنفيذ المشروع للتمكن من الإفادة بصورة صحيحة.

8 - لحظ الاعتمادات اللازمة لإنشاء الخزّان الواجب تنفيذه في بحيرة اليمّونة القديمة لتأمين ري أربعة آلاف هكتار إضافية مع ما يلزم من اعتمادات لإتمام شبكة الري في الأراضي الواقعة بين دير الأحمر والكنيسة حتى شمسطار.

9 - تنفيذ مشروع السدود في نحلة - وادي سباط - جنتا - يحفوفا - شمسطار ومشروع ري سهل بعلبك من مياه رأس العين، وري الأراضي من حوش تل صفية وإيعات من نبع عدوس ومشروع منخفض عيحا، ومشروع ري مرجحين -

جباب الحمر من عيون أرغش ومشروع مياه اللبوة، وتقويم مجرى الليطاني في أراضي حوش الرافقة ـ بدنايل ـ تمنين التحتا، وتزويد بعلبك بمياه نبع البغل ونبع اللجوج.

10 ـ إعطاء الأولوية في إنشاء المدارس الرسمية والمهنية ودور المعلمين والمعلمات في الجنوب والبقاع وعكّار، وعدم اللجوء إلى تمرير المشاريع المدرسية في المناطق المتقدمة تدريجياً كما هو الحال الآن.

11 ـ إنشاء المستشفيات والمراكز الصحيّة في المناطق المحرومة، وتحسين وضع مستشفى الهرمل، وتخصيص الأموال الموجودة في مصلحة التعمير لإنشاء شبكات المجارير في تلك المناطق، وذلك بموجب قوانين نافذة تمنع التصرف الكيفي بأموال مصلحة التعمير.

12 ـ تنفيذ مشروع أوتوستراد بيروت ـ صيدا ـ صور، وأوتوستراد بيروت ـ شتورا ـ بعلبك ـ الحدود السورية، وتنفيذ مشروع طرق القرى المحرومة.

13 ـ تصحيح أوضاع مزارعي التبغ وإنهاء مأساتهم.

14 ـ زيادة اعتمادات المشروع الأخضر، ووضع قانون لإعطاء الأولوية للمناطق المحرومة.

15 ـ إنماء الثروة الحيوانية، وتعميم المشاتل الزراعية، وتصنيع الزراعة، وإنشاء مصانع لتأمين تصريف المنتجات الزراعية بعد تصنيعها.

16 ـ رصد الاعتمادات اللازمة لإنهاء التنقيب عن الآثار في مدينتَي بعلبك وصور خلال مدة عشر سنوات، وإنشاء فندق سياحي في بعلبك مع مشاريع سياحية في كافة المناطق الأثرية.

17 ـ إعداد دراسة شاملة للمناجم في مختلف المناطق، وبصورة خاصة النفط الذي تؤكد الدراسات وجوده في لبنان.

18 ـ تصحيح قانون توزيع أموال البلديات بحيث يؤمّن العدالة والازدهار لمختلف البلاد اللبنانية.

19 ـ العفو العام عن مخالفات البناء لكي يستفيد سكّان ضواحي بيروت وغيرهم من المياه والكهرباء.

20 ـ تصحيح أوضاع ضواحي بيروت، وبصورة خاصة الكرنتينا والنهر وحي السلّم وبرج حمّود وتلّ الزعتر وبرج البراجنة.

ف ـ حركة المحرومين:

لم توافق السلطات اللبنانية على مطالب الإمام التي تفاعلت وبلغت ذروتها في سنة 1973م، وأخذت وسائل الإعلام ومحافل السياسة تتناقل هذه المطالب، فأعلن سماحته عن تصميمه على المواجهة السلبية بحال لم تتجاوب السلطة مع المطالب، ولكن في تشرين الأول/أكتوبر 1973 حصلت الحرب بين العرب وإسرائيل، وكان لا بد آنذاك من توحيد كافة الجهود في الداخل لمواجهة العدوان الخارجي.

وبعد نهاية هذه الحرب أعلن الإمام معارضته للحكّام لأنهم يتجاهلون حقوق المحرومين، وصعّد حملته بمهرجانات شعبية عارمة كان أضخمها مهرجان بعلبك بتاريخ 17 ـ 4 ـ 1974م، ثم مهرجان صور بتاريخ 5 ـ 5 ـ 1974م، وضمّ كل منهما أكثر من مائة ألف مواطن أقسموا مع الإمام على متابعة جهادهم وأن لا يهدأوا حتى لا يبقى في لبنان محروم واحد أو منطقة محرومة. وهكذا وُلدت «حركة المحرومين» التي رسم الإمام الصدر مبادئها بقوله: «إنّ حركة المحرومين تنطلق من الإيمان الحقيقي بالله وبالإنسان وحريته الكاملة وكرامته، وهي ترفض الظلم الإجتماعي ونظام الطائفية السياسية، وتحارب بلا هوادة الاستبداد والإقطاع والتسلّط وتصنيف المواطنين، وهي حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وبسلامة أرض الوطن، وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التي يتعرض لها لبنان».

تابع الإمام الصدر تحركه وعقَد لقاءاتٍ مع شخصيات البلاد ورؤساء الطوائف، وبعد حوار مع نخبة من المفكّرين اللبنانيين من مختلف الطوائف وقّع 190 مفكّراً على لائحة تضم المطالب العشرين التي أعلنها.

ص ـ أفواج المقاومة اللبنانية «أمل»

بعد إنطلاقة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وتأسيس «حركة المحرومين» وازدياد الترحيب الشيعي بهما يوماً بعد يوم، ومن أجل مواجهة الاعتداءات الخارجية على لبنان والتصدّي للاعتداءات الصهيونية، كان لا بد من تشكيل جناح عسكري لحركة المحرومين.

وبتاريخ 20 ـ 1 ـ 1975 م في ذكرى عاشوراء ألقى الإمام الصدر خطاباً ثورياً دعا فيه الشعب اللبناني إلى تشكيل مقاومة لبنانية تتصدى للاعتداءات الصهيونية والمؤامرات التي تدبّرها إسرائيل، وقال سماحته: «إنّ الدفاع عن الوطن ليس واجب السلطة وحدها، وإذا تخاذلت السلطة فهذا لا يلغي واجب الشعب في الدفاع».

وهكذا، بدأ الإمام الصدر منذ ذلك اليوم وبشكل سري بناء أسس الجناح العسكري لحركة المحرومين، إلى أن عقد مؤتمراً صحفياً بتاريخ 6 ـ 7 ـ 1975م أعلن فيه رسمياً عن ولادة أفواج المقاومة اللبنانية «أمل» وقدّمها بأنها أزهار الفتوّة والفداء ممن لبّوا نداء الوطن الجريح الذي تستمر إسرائيل في الاعتداء عليه من كل جانب وبكل وسيلة، فيما لم تقم السلطات المسؤولة بواجبها الدفاعي مقابل تلك الاعتداءات التي بلغت ذروتها على الوطن والمواطنين.

وجاء هذا الإعلان على أثر انفجار لغم بعناصر كانوا يتابعون دورة عسكرية في معسكر «عين البنّية» أدى إلى استشهاد 36 وجرح أكثر من 70.

ويقول الشهيد د. مصطفى شمران في هذا المجال: «منذ ذهابي إلى لبنان في سنة 1971م نظّمتُ دروساً في الثقافة الإسلامية، وانتخبتُ من كل قرية واحداً أو اثنين من المعلّمين الملتزمين، فبلغ مجموعهم حوالى 150 شخصاً، واستمر نصفهم حتى النهاية ليشكّلوا النواة الأولى لحركة المحرومين في الجنوب وبهذا الأسلوب نظّمنا نخبة الشباب المؤمنين الذين أصبحوا فيما بعد كوادر حركة

المحرومين وأفواج المقاومة اللبنانية «أمل»، وقد توجّه الشيعة أفواجاً أفواجاً للالتحاق بهذه النهضة الرسالية القائمة على أساس العقيدة الإسلامية ومدرسة علي والحسين ﷺ، لكننا امتنعنا عن استقبالهم جميعاً لأننا لم نكن بقادرين على استيعابهم، فقرّرنا استقبال المعلّمين والطلاب لنصنع منهم الكوادر لأننا كنّا نعتبر أنّ جميع الشيعة أعضاء في حركتنا ولا داعي لتسجيل أسمائهم في سجلاتها، كما أنّنا لم نشأ أن تتحول الحركة إلى دكّان يدخل إليها ويخرج منها كل فكر وإنسان متى يشاء، لا سمح الله، فتصبح عندها مثل بقية الأحزاب اللبنانية الفاسدة التي تعتمد على الكذب والاتهام وفرض الخوّات وسرقة أموال الناس والدولة وتوزيع المنافع والغنائم.

وقد أكّدتُ منذ البداية بأنّنا أسّسنا حركة وليس حزباً، وأردناها لتهذيب النفس بالدرجة الأولى وليس من أجل المنافع المادية والمصالح الشخصية، وذكرنا الأساس الفكري في البند الأول من ميثاق الحركة (الإيمان بالله)، فطالما أنّ الإنسان لم يعرف الله ويؤمن به إيماناً حقيقياً لا يمكن أن ينضم إلى صفوف الحركة، وأردنا انضمام الإنسان الذي يهدف من حياته لرضا الله، ويقاتل في سبيل الله، ويسعى ليكون خليفة الله في الأرض، وأن تكون صفاته وأعماله مظهر صفات الله وأعماله، وباختصار أردنا نموذجاً يمثّل عليّ والحسين ﷺ.

فعقيدة الحركة هي العقيدة الإسلامية التي أصبحنا الممثّلين لها والمجسّدين لتعاليمها، وليس إسلام المشايخ الجامد وإسلام الإقطاعيين وإسلام العجائز والإسلام التقليدي. وقد انتشر هذا الفكر

وهذه الحركة بسرعة، وأقول بصدق أنّ استمرار هذا الفكر وتقدّمه يعود لبركة وجود الإمام موسى الصدر».

6 ـ موقف الإمام الصدر من الحرب الداخلية:

فور إنطلاق الشرارة الأولى لهذه الحرب في 13 ـ 4 ـ 1975م بادر الإمام إلى بذل المساعي الحميدة والجهود لدى مختلف الفرقاء لخنق الفتنة وتهدئة الوضع، ووجّه نداءً عاماً نُشر في 15 ـ 4 ـ 1975م حذّر فيه من مؤامرات العدو ومخاطر الفتنة، ودعا اللبنانيين لحفظ وطنهم وفي قلبه مكان للثورة الفلسطينية، وناشد الثوّار الفلسطينيين لحفظ قضيتهم التي جعلت من قلب لبنان عرشاً لها.

أ ـ «لجنة التهدئة الوطنية»:

بادر الإمام إلى دعوة عدد كبير من نخبة المفكّرين وممثلي الفعاليات اللبنانية اجتمع منهم سبع وسبعون شخصية في مركز المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في 18 ـ 4 ـ 1975م وشكّلوا من بينهم لجنة دعيت «لجنة التهدئة الوطنية»، وقد اجتمعت هذه اللجنة فوراً بممثل الثورة الفلسطينية وباشرت مهمتها لتهدئة الأوضاع وتحديد أسباب الفتنة ووضع الحلول الآنية والبعيدة المدى مسترشدةً بتوجيهات الإمام الصدر القاضية بوجوب المحافظة على تعايش الطوائف اللبنانية واعتماد الحوار والوسائل الديمقراطية سبيلاً لتحقيق الإصلاحات السياسية والإجتماعية ورفض القهر الطائفي ووجوب المحافظة على التعايش اللبناني ـ الفلسطيني وصيانة الثورة الفلسطينية.

ب ـ اعتصام العاملية:

عندما استمر القتال واستقالت الحكومة في 26 ـ 5 ـ 1975م، ظهرت بعد ذلك صعوبات في وجه قيام حكومة جديدة، مما هدد بخطر انقسام الوطن، فاعتصم الإمام الصدر في 27 ـ 6 ـ 1975م في مسجد الصفا ببيروت متعبّداً وصائماً، وأعلن: «نعتصم لنفرض على المواطنين الاعتصام عن السلاح الذي يُستعمل ضد اللبنانيين والإخوان. . إننا نريد أن نخنق صفحة العنف بصفحة العبادة والاعتصام والصيام، فالسلاح لا يحل الأزمة بل يزيد في تمزيق الوطن». .

وطالب الإمام بالإسراع في تشكيل حكومة وطنية تعيد السلام وتقيم المصالحة الوطنية على أسس واضحة يعاد بناء الوطن عليها وتلبّي مطالب المحرومين.

وقد لقيت خطوة الإمام هذه تأييداً شاملاً في الأوساط الدينية لدى مختلف الطوائف والأوساط الشعبية والسياسية، وتألفت حكومة جديدة في 1 ـ 7 ـ 1975م، فأنهى سماحته اعتصامه بعد أن تلقّى وعداً بتبنّي المطالب المطروحة والعمل على تنفيذها، لكنه سرعان ما توجّه إلى بعلبك ـ الهرمل ليعمل على فك الحصار عن قرية القاع المسيحية وتهدئة الأوضاع في المنطقة.

عبّر الإمام الصدر عن نظرته للحرب اللبنانية بقوله: «إنّ انفجار الوضع اليوم يؤدي إلى سقوط لبنان وتحجيم المقاومة وإلحاق الضرر الكبير بسوريا والقضية العربية، وهذا لمصلحة العدو». . لذا

أكّد من البداية على المصالحة الوطنية في إطار أسس جديدة للوطن تحقّق العدالة الإجتماعية وتعالج الحرمان وتصون الجنوب.

ج ـ الوثيقة الدستورية:

شارك الإمام الصدر في إجتماعات القمّة الإسلامية في عرمون، والتي تكوّنت من رؤساء الطوائف الإسلامية وبعض كبار الشخصيات الإسلامية السياسية، حيث رفضت الحكومة العسكرية ورحّبت بالمبادرة السورية التي أدّت إلى الوثيقة الدستورية المعلنة من رئيس الجمهورية بتاريخ 14 ـ 2 ـ 1976م.

واعتبر الإمام الصدر الوثيقة الدستورية مدخلاً للسلم النهائي في لبنان وأرضية للوفاق الوطني، ورأى أنّ أي تعديل لهذه الوثيقة يجب أن يمر عبر الطرق الديمقراطية والحوار الهادئ بالمستقبل، وعلى هذا الأساس استمر سماحته بتأييد الوساطة السورية الرامية إلى إنهاء الحرب وإجراء مصالحة وطنية شاجباً بشدّة استئناف القتال وتوسيع رقعته في حرب الجبل.

د ـ الاعتراض على الإدارة المحلية:

عارض الإمام الصدر بشدّة أعمال الجبهتين المتحاربتين في لبنان في إنشائهما إدارات محلية تابعة لهما بديلة عن الإدارات الرسمية، واعتبر سماحته أنّ ذلك يؤدي إلى تقسيم الوطن.

هـ ـ السعي لتحقيق تضامن عربي حول لبنان:

أدرك الإمام الصدر أنّ إنهاء الحرب في لبنان يتطلب قراراً عربياً مشتركاً يسبقه وفاق عربي، فانتقل سماحته إلى دمشق

بتاريخ 23 ـ 8 ـ 1976، ومنها إلى القاهرة في 2 ـ 9 ـ 1976 محاولاً تنقية الأجواء بين البلدين وتوحيد مواقفهما من الحرب الداخلية من أجل إنهائها، وقد استمرت مساعيه لغاية 13 ـ 10 ـ 1976 تنقل خلالها بين البلدين، وبين السعودية والكويت، واتصل برئيس الجمهورية والمقاومة الفلسطينية ساعياً مع الملوك والرؤساء والمسؤولين العرب لتحقيق تضامن عربي، وقد أثمرت هذه المساعي مع مساعي بعض المسؤولين العرب وانتهت بانعقاد مؤتمر قمة الرياض في 16 ـ 10 ـ 1976 وبعده مؤتمر القاهرة في 25 ـ 12 ـ 1976، حيث تقرّر فيهما إنهاء الحرب اللبنانية، وفُرض ذلك بدخول قوات الردع العربية.

و ـ السعي لإنقاذ الجنوب:

لم تدخل قوات الردع إلى الجنوب، ولم تتمكن السلطة اللبنانية من فرض سلطتها هناك، فانتقل إليها صراع الفئات والقوى التي كانت تتصارع على الأراضي اللبنانية، واشتدت محنة الجنوب، فبات مسرحاً لأحداث خطيرة تهدّد مصيره، وكان الإمام يتابع مساعيه مع المسؤولين والقيادات في لبنان ورؤساء بعض الدول العربية ويرفع صوته في الخطابات والمقابلات الصحفية ابتداءً من أواخر سنة 1976 وصولاً إلى مطلع العام 1978، محذّراً من كارثة على جنوب لبنان ومن خطر تعريضه للإحتلال الإسرائيلي ومؤامرة التوطين.

وبعد الاجتياح الإسرائيلي في 14 ـ 3 ـ 1978 واستقرار الإحتلال في الشريط الحدودي من الجنوب، قام الإمام بجولة جديدة على

الدول العربية ليعرض خلالها على الملوك والرؤساء العرب واقع الأوضاع في منطقة الجنوب مطالباً بعدم جعلها ساحة للخلافات العربية، وبعقد قمة عربية محدودة تعالج قضية الجنوب وتعمل على إنقاذه. وبعد أن زار لهذه الغاية سوريا والأردن والسعودية والجزائر، انتقل إلى ليبيا في 25 ـ 8 ـ 1978م.

7 ـ سفر الإمام الصدر إلى ليبيا:

وصل الإمام الصدر إلى ليبيا بتاريخ 25 ـ 8 ـ 1978 يرافقه فضيلة الشيخ محمد يعقوب، والصحافي عباس بدر الدين، حيث حلّوا ضيوفاً رسميين على السلطات الليبية في فندق الشاطئ بطرابلس الغرب.

وكان الإمام أعلن قبل مغادرته بيروت أنه مسافر إلى ليبيا من أجل عقد لقاء مع معمّر القذّافي، ولكن وسائل الإعلام الليبية أغفلت خبر وصول الإمام إلى ليبيا كما أغفلت وقائع أيام زيارته، فلم تذكر أي شيء عن لقاءاته هناك، ولم يتوقف الأمر هنا، فقد انقطعت اتصالات الإمام بالعالم الخارجي خلافاً لعادته خلال أسفاره، حيث كان يُكثر من الاتصالات الهاتفية بشكل يومي بأركان المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان وبعائلته، بالإضافة إلى أنّ الصحافي بدر الدين رافق الإمام في هذه الزيارة لتغطية أخبارها بواسطة وكالة أخبار لبنان.

وقد ثبت في التحقيقات أنّ الإمام كان على موعد للإجتماع بالقذّافي ليل 29 ـ 30 آب/ أغسطس، وقيل أنّ الأخير ألغى الموعد خلال إجتماعه بعدد من اللبنانيين بينهم السادة: بشارة مرهج وطلال

سلمان وأسعد المقدّم ومنح الصلح وبلال الحسن ومحمد قبّاني.

لكن المعلومات المتوفرة من مصادر عدة تؤكد حصول الإجتماع ووقوع نقاش حاد خلاله وتباين شديد في وجهات النظر حول محنة لبنان والدور الليبي، وأكّد ذلك بشكل خاص حديث الملك خالد والملك فهد بتاريخ 25 ـ 2 ـ 1979 للوفد الذي زار السعودية بموضوع الإمام، وكان في عداده النائب محمود عمار والنائب محمد يوسف بيضون.

ومنذ صباح الثلاثين من آب/أغسطس 1978 لم يعرف شيء عن مصير سماحته ومرافقيه، وأن النظام الليبي يدعي بأن الإمام الصدر قد خرج من ليبيا متوجهاً إلى إيطاليا، ومن جهة أخرى تنفي الحكومة الإيطالية بأن الإمام قد وصل إلى أراضيها. ورغم المناشدات والمطالبات الصادرة عن جميع الدول في العالم للكشف عن مصير الإمام، إلا أن هذه المناشدات لم تلقى آذاناً صاغية حتى اليوم.

8 ـ كتابات الإمام الصدر ومحاضراته:

ترك الإمام مؤلفات قيّمة إلى جانب مسؤولياته الجبّارة الدينية والسياسية والإجتماعية التي لم تساعده على التفرغ الكامل للتأليف، وكان كل مؤلَّف يتميز بخصائص جذّابة وفريدة. ومن هذه المؤلَّفات:

1 ـ «المذهب الإقتصادي في الإسلام»: كتاب عبارة عن اثنتي عشر مقالة قيّمة نشرها الإمام في مجلة «مكتب إسلام» ونظّمها فيما بعد حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي

حجتي كرماني، وأعدّ لها مقدّمة وهوامش نشرها في كتاب جُدّدت طباعته 122 مرة حتى اليوم، كما نشره باللغة العربية «مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات».

2 ـ «أبجدية الحوار»: صدر عن «مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات».

3 ـ «دراسات للحياة»: صدر عن «مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات».

4 ـ «حوار تصادمي»: صدر عن «مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات».

5 ـ «أحاديث السحر»: صدر عن «مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات».

6 ـ «الإسلام وكرامة الإنسان»: صدر عن «مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات».

7 ـ «الدين وحركات التحرر»: صدر عن «مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات».

8 ـ «الإسلام ومشكلة الطبقية»: وهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرها في مجلة «مكتب تشيّع» خلال السنة الأولى لتأسيسها، ومن ثم طُبعت في كتاب، وكان لها تأثير خاص لدى القراء بلحظة تاريخ انتشارها، وطرح الإمام فيها آراءه الفكرية والإقتصادية، واستعرض وبحث وانتقد وجهات النظر الماركسية والرأسمالية، وعرض وجهة نظر الإسلام وموقفه من التمييز الطبقي وتطبيق العدالة

الإجتماعية، وأثبت أنّ الإسلام والتشيّع هو السبيل الوحيد لتحقيق سعادة الإنسان.

9 ـ «الإسلام وثقافة القرن العشرين»: تضمّن هذا الكتاب الخصائص العامة الأساسية للثقافة الإسلامية الأصيلة وموقفها من الثقافات الأخرى في أسلوب شيق ومتين.

10 ـ «منبر ومحراب»: مجموعة من المحاضرات والمقابلات حول موضوعات مختلفة.

11 ـ «الإسلام عقيدة راسخة ومنهاج حياة»: مجموعة من المحاضرات والأبحاث حول موضوعات مختلفة.

12 ـ «الإسلام والتربية الدينية» (الدين والحياة).

13 ـ «الإسلام خيارنا لتغيير الواقع المتخلف»: مجموعة من المواقف والآراء.

كذلك كتب الإمام مقدّمات طويلة ومهمة للمؤلفات التالية:

1 ـ «تاريخ الفلسفة الإسلامية» (للبروفسور الفرنسي هنري كوربان).

2 ـ «شرح حديث الغدير» (لآية الله السيد مرتضى خسروشاهي).

3 ـ «فاطمة الزهراء» عليها السلام (للأديب سليمان كتّاني الذي نال جائزة أفضل كتاب حول الزهراء)، وقد عرض الإمام في المقدمة بحثاً شيقاً حول شخصية الزهراء عليها السلام تناول فيه مكانة المرأة في الإسلام والمساواة في الحقوق بين المرأة والرجل، وحقّق فيه حول الأحاديث والروايات التي

وردت بشأن تقبيح المرأة بأسلوب تحقيقي، كما تناول فلسفة الحجاب في الإسلام.

4 ـ «القرآن والعلوم الطبيعية» (للكاتب المهندس يوسف مروّة).

أما في مجال المحاضرات، فقد ألقى الإمام مئات المحاضرات في الجامعات والمعاهد العلمية والمؤسسات والمراكز الدينية والثقافية والإجتماعية الإسلامية والمسيحية ومؤتمرات البحوث الإسلامية في لبنان وخارجه.

9 ـ الإمام الصدر والثورة الإسلامية في إيران:

بقيت العلاقة بين الإمام الصدر والثورة الإسلامية في إيران طي الكتمان، وانحصرت أسرارها بين قلة من الخواص حتى بزوغ فجر الثورة وانكشفت أهمية دوره فيها.

فالإمام الصدر لم يكن همّه محصوراً بلبنان فحسب، فقد كان يسعى وهو في لبنان لمساندة الثورة الإسلامية في إيران وكل الأحرار والمستضعفين في العالم.

وفي العاشر من المحرم من العام 1383هـ. ألقى الإمام الخميني (قده) خطاباً توعّد فيه الشاه بكسر شوكته وهيبته، فأصبح الشاه أمام خيار من اثنين: إما التسليم أمام غضب الشعب، أو ارتكاب المزيد من الجرائم ومواجهة الشعب، وقد اختار الخيار الثاني مصدراً أمراً باعتقال الإمام.

وفي منتصف ليل 15 خرداد (5 حزيران): انطلقت عدة شاحنات تحمل أعداداً كبيرة من الجنود ورجال الأمن واتجهت نحو قم

لاعتقال الإمام الخميني، وقاموا بمحاصرة بيته واعتقاله ثم انسحبوا بسرعة.

انتشر خبر اعتقال الإمام بسرعة فائقة في أرجاء إيران، فخرجت التظاهرات في كافة المدن، وتصدّت لها قوات الشاه وأمطرتها بالنيران، وقدّمت وكالات الأنباء أرقاماً لعدد الشهداء تراوحت بين 14 و15 ألفاً.

وفي صيف 1963م سافر الإمام الصدر إلى الجزائر والمغرب وإيطاليا وعدد من الدول الأوروبية لشرح القضية الإيرانية، وقد نقل عن السيد الخوئي قوله: «إنّ إطلاق سراح السيد الخميني يعود الفضل الأكبر فيه لرحلة السيد موسى الصدر ولقائه مع البابا بولس السادس في روما».

وهكذا، نرى أنّ نشاط الإمام انصب منذ البداية على العمل لحل مشاكل المسلمين في الوطن وخارجه.

هذا، وكان الإمام الصدر يسعى أثناء وجوده في لبنان لإسقاط نظام الشاه بالتعاون مع مجموعة من المقربين منه أمثال الشهيد د. مصطفى شمران. وكانت الحرب الخفية بينه وبين المخابرات الشاهنشاهية على قدم وساق يقودها سفير الشاه في بيروت آنذاك منصور قدر، وقد ظهرت هذه الحرب إلى العلن حين سحب الشاه الجنسية الإيرانية من الإمام الصدر الذي رد بالقول: «سوف أسحب عرشه من تحته». وكان سماحته أعلن في مهرجان في العاملية أنّ مخابرات الشاه تمزّق صفوفنا، وحمّلها مسؤولية نفي الإمام الخميني.

وقبيل إنتصار الثورة الإسلامية كان الإمام الصدر قد تنبأ بذلك في مقال له بعنوان «نداء الأنبياء»، وقد نُشر هذا المقال في جريدة «لوموند» الفرنسية بتاريخ 23 ـ 8 ـ 1978، وهنا بعض ما ورد فيه:

«تختلف انتفاضة الشعب الإيراني عن كل الحركات المماثلة لها في العالم، فهي تفتتح منظوراً جديداً للحضارة العالمية، ومن هنا فهي تستحق اهتمام جميع المعذّبين اليوم بقضايا الإنسان والحضارة، فحركة الشعب الإيراني برغم اتساعها وبرغم الاتهامات التي تلصقها بها السلطة تتمتع بأصالة كبيرة سواء من حيث اتجاهها، أو من حيث مكوّناتها الشعبية، أو من حيث مبادئها وأهدافها، أو من حيث أخلاقياتها، فقوى اليمين غائبة عن انتفاضة الشعب الإيراني برغم وجود البترول والمصالح الكبرى التي يمثّلها، وكذلك الأمر بالنسبة لليسار الدولي، فهو كذلك غريب عن هذه الانتفاضة برغم وجود أكثر من ألفَي كلم من الحدود المشتركة بين إيران والإتحاد السوفياتي، والحزب الشيوعي الإيراني ليس له دور كبير في هذه الانتفاضة مع أنه أقدم أحزاب المنطقة، إذن فكلاً من قوى اليمين واليسار بحدود ارتباطهم المباشر بالكتلتين الدوليتين ليس لهم تأثير على مجرى الأحداث.

والشعب الإيراني يعرف ذلك جيداً، فهو يعرف أنّ النظام الذي اتهم الانتفاضة بالرجعية يتجاوز كل الأنظمة الرجعية من حيث انتهاكه للحريات وأساليبه البائدة في الحكم، فالشعب الإيراني يعلم

أنّ النظام لا يتردد في التضحية بمصالح الأمة وفي توزيع ثرواتها على القوى العظمى ليحظى برضاها، وعندما يقارن الشعب هذا السلوك مع أصالة المعارضة فإنّه لا يتورع عن التضحية من أجل هذه الأخيرة، وهو برغم أنه أعزل فإنه يدلي بشهادة الدم بشكل بطولي ويوجِد قوة ليس لأي كان القدرة على تحطيمها.

والثوريون الإيرانيون لا يمثّلون شريحة إجتماعية جديدة، فالطلبة والعمّال والمثقّفون ورجال الدين يساهمون جميعاً في الثورة، إنها حركة شعب في تنوّع أجياله، في الأسواق والمدارس والمساجد والمدن وحتى في أصغر الدساكر، وهذا ما يجعل النظام يتهم اليمين واليسار والشرق والغرب والعرب بمختلف أنظمتهم وحتى الفلسطينيين. وهو بذلك يعترف باتساع الانتفاضة الشعبية وعمقها.

وحركة معارضة نظام الشاه تستند إلى إعلام خاص بها، فتصريحات قادتها وخطبهم تبلغنا بواسطة أولئك الذين توجَّه لهم التصريحات والخطب في قلب الشعب الإيراني.

والحق أقول: إنّ هذه الحركة وازعها الإيمان، وأهدافها هي أهداف إنسانية مفتوحة وأخلاقية ثورية، وهذه الموجة التي تهبّ اليوم على إيران تذكّرنا بنداء الأنبياء، وهي حركة حدّد زعيم المعارضة الإمام الأكبر الخميني أهدافها بوضوح في حديث أدلى به لصحيفة «لوموند» بتاريخ 6 ـ أيار، حيث شهد بأصالة هذه الحركة وأشار إلى أبعادها القومية والثقافية والتحررية.

إنّ أحداث إيران وما طرأ عليها من تحوّل دراماتيكي تضع العالم أمام جملة من المعطيات الأساسية:

1 ـ التجربة الإنسانية التي تخاض في إيران تستحق أن تُدرس وأن يدافَع عنها ضد الدعاية المغرضة من قبَل كل من يهتمون بقضايا الإنسان والحضارة.

2 ـ نظام الشاه بعد 40 سنة من التسلّط وبرغم الإمكانات الكبيرة المتاحة أمامه فشِل حتى أن يحمي نفسه من غضب الشعب، علماً أنه يمتلك في الوقت الحالي أكبر مخزون للأسلحة في العالم الثالث.

3 ـ القيم الأخلاقية للإنسان المتحضر باتت مهددة في إيران، ولا يمكنها أن تنقَذ طالما واصل النظام سفك الدماء وخنق الحريات مع إدعاء الدفاع عن التقدم والحضارة.

4 ـ النظام الذي بات يعاني خضّات داخلية كان بالأمس يتحدث عن الدفاع عن أمن الخليج والمحيط الهندي والصومال، لكن اليوم ليس هناك ما يزعجه أكثر من الحركات الشعبية.

5 ـ المذابح التي تدمي إيران حالياً والتي يحاول النظام إخفاءها تتوجه بنداء إلى الإنسان المعاصر ولحسّ المسؤولية عنده، وهذا الإنسان يتعين عليه أن يعطي عن هذه المذابح صورة حقيقية للعالِم، ففي مثل هذه الخدمة يؤكّد رفضه لها».

10 ـ الإمام الصدر ومواجهة الصهيونية:

«وُلدت إسرائيل عام 1948 كجسم غريب في هذه المنطقة، حيث زُرعت زرعاً فيها، ولكنها بقيت جسماً غريباً، لا تعامل، لا تجارة، لا ثقافة، لا زيارة، أبداً. إذاً: إسرائيل حتى الآن جسم

غريب معزول، لكن إذا بدأ التعامل معنى ذلك أنّ إسرائيل ترسّخت وتكرّست وبقيت في المنطقة».

«تعرفون أنّ إسرائيل تطمع بالجنوب، تطمع بمياه الجنوب، تطمع بأمن الجنوب، وتريد أن تجعل الجنوب حزام أمن لها».

«إنّ لبنان دولة مواجهة، ولا يمكن لمجتمعه إلا أن يكون مجتمع حرب وجدّ، لا أن يكون مجتمع رخاء واستهلاك».

«إنني كنت ولا أزال مؤمناً بأنّ إسرائيل هذه الدولة العنصرية بما لها من أبعاد هي شر مطلق، لذلك فإنّ الواجب يتطلب الوقوف في وجهها».

وعقد سماحته مؤتمراً صحافياً بتاريخ 19 ـ 11 ـ 1969 قال فيه:

- «إنّ إسرائيل بوجودها وبما لها من أهداف تشكّل خطراً محدقاً علينا على جنوبنا وشمالنا، على أرضنا وشعبنا، على قيَمنا وحضارتنا، على إقتصادنا وسياستنا.
- مجاورة هذا الخطر الدائم الداهم تقتضي الاستعداد الدفاعي والسياسي والإعلامي والإقتصادي.
- الاستعداد لهذه المعركة المحتومة يتطلّب إضعاف الخصم بأي صورة وفي أي حقل، وكلنا يعرف أنّ من أفضل الوسائل لتحقيق هذا وجود المقاومة ونموّها، ما يعني أنّ دعمنا للمقاومة ومشاركتنا في تصعيدها وحرصنا على سلامتها هو جزء من استعداداتنا لمجابهة العدو، لذلك فهي تنطلق من نفس المبدأ الذي ينطلق منه السعي للمحافظة على الوطن والدفاع عنه ولا تتناقض معه إطلاقاً.

- إن معركتنا هي ذات وجوه كثيرة، فهي معركة حضارية طويلة الأمد، إنها معركة الماضي والمستقبل، معركة المصير، وهذا يعني أنّ المطلوب منّا هو الاستعداد ليس لأجل الأيام والأسابيع القادمة بل للسنوات ولعشرات السنين وعلى جميع الجبهات وبكل المستويات ومع جميع الطاقات.
- النتيجة الحتمية هي ضرورة مشاركة جميع اللبنانيين بل العرب أجمع في تحسين أوضاع الجنوب دفاعياً وإقتصادياً ونفسياً وجعله مستعداً للصمود ولخلق السدّ الأول في وجه العدو. إنّ الحاجة إلى الأوطان ليست ترفاً فكرياً أو رغبة في اتساع رقعة المسكن أو إتفاقية مكتوبة تربط بين المناطق المتعددة، بل هي حقيقة التطور والنمو التدريجي في المنافع والأخطار والمصالح والأضرار، وهي أيضاً المشاركة الحقّة في الآلام والآمال. وبقاء الأوطان وخلودها ليس أنشودة ولا حلماً، ولا التزامات وطنية أو دولية، بل هو الوحدة الحقيقية في الاتجاه، في المبدأ، المتكوّن من الآلام والمنافع، وفي المنتهى المتجسّد بالآلام والطموحات».

ويقول الإمام الصدر عن القضية الفلسطينية: «بجبتي وعمامتي ومحرابي أحمي الفلسطينيين والقضية، لأنها قضية حق وعدل، قضية المسلمين، ونسأل الله أن ندخل المسجد الأقصى مع مجاهدين أولي بأسٍ شديد».

ويوضح سماحته المستقبل ويطرح قناعاته أمام من باعوا

القضية، فيقول بصراحة المؤمن الرسالي «إنّ شرف القدس يأبى أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين».

ويتابع: «يا أيها العالَم الذي انزعجتَ من انتشار وجودنا وعمق تأثير أبنائنا، فمن تبنّينا لقضية فلسطين ولنضال شعبها العادل، ومن إلقائنا لكلمة فلسطين في الأمم المتحدة، ومن حمايتنا لثورتها وثوّارها ومكاتبهم ومخيماتهم. إننا رغم معاناتنا التي تجاوزت كل حد باقون في ذات الموقع، وسوف نتعاون معهم في إعادة التقييم لمرحلة ثورتهم المقبلة وفي وضع إستراتيجية جديدة لها وفي حماية قضيتهم العادلة إلى يوم العودة.

إنّ القدس التي هي عاصمة بلدهم هي قِبلتنا وملتقى قيَمنا وتجسيد وحدتنا ومعراج رسالتنا، إنها قدسنا وقضيتنا، وجهادهم في سبيل تحريرها جهادنا ومسؤوليتنا.

إنّ وطننا أقوى شكيمة وأوسع أفقاً من أن يتأثر بالجروح المفتعلة، وإنّ الصعوبات التي تعترضنا هي أقل من أن تسلب رسالتنا. وهي من مسؤوليتنا التاريخية».

ـ مواقف ومساعي تلت اختفاء الإمام موسى الصدر:

ـ 8/ 1/ 1979: اجتمع النائب السيد حسين الحسيني بالرئيس السوري حافظ الأسد في دمشق، وأبدى الرئيس الأسد أن مساعيه في القضية ما زالت مستمرة، وعرض المساعي التي تابعها، وأعرب عن تفاؤله بنتائج إيجابية.

- 16/ 1/ 1979: اجتمع المفتي الجعفري الممتاز الشيخ عبد الأمير قبلان بالأمين العام لجامعة الدول العربية السيد محمود رياض، وسلّمه مذكرة من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في قضية الإمام الصدر. وتمّ عرض تفاصيل القضية والمعلومات المتوافرة، ووعد السيد رياض ببذل جهوده في القضية، وأفاد عن قيامه بمساع سابقة.
- 17/ 1/ 1979: تلقى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى معلومات من باريس تفيد أن آية الله السيد روح الله الخميني أوفد أحد كبار معاونيه للإجتماع بالسفير الليبي في فرنسا، حيث أبلغه أسف آية الله الخميني لعدم تلقيه أية نتيجة إيجابية في قضية الإمام الصدر، وأن التأخر في وضع حد سريع وسليم للقضية ستكون له نتائج سيئة.
- 21/ 1/ 1979: قامت في بيروت مسيرة شعبية حاشدة انتهت بمهرجان خطابي كبير، تأييداً للثورة الإيرانية ولقائدها آية الله الخميني، وإعلاناً للسخط والاستنكار من جراء استمرار إخفاء الإمام الصدر.
- 26/ 1/ 1979: استقبل سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين القائم بأعمال سفارة الجزائر في لبنان الذي أبلغ سماحته استمرار اهتمام حكومة الجزائر بقضية الإمام الصدر، وأنها من أولويات الرئيس الجزائري.
- 27/ 1/ 1979: اجتمع السيد ياسر عرفات وأبو إياد بسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين والنائب السيد حسين

الحسيني، وتناول البحث قضية الإمام الصدر واستمرار مساعي المقاومة الفلسطينية.

- 2/ 2/ 1979: ابتداءً من هذا اليوم وخلال الأيام اللاحقة لغاية 18/ 2/ 1979، قامت مسيرات وأقيمت مهرجانات خطابية في بيروت وضواحيها وفي صيدا وصور، احتفالاً بإنتصار الثورة الإيرانية وتأييداً لقائدها آية الله الخميني مع مناشدة الثورة الإيرانية وقيادتها في تفريج الهمّ وتأمين عودة الإمام الصدر.
- 13/ 2/ 1979: اجتمع وفد برئاسة النائب السيد حسين الحسيني بالملك حسين في عمان، وتبين استمرار اهتمام الملك بقضية الإمام الصدر.
- 14/ 2/ 1979: قاد «تجمع المرأة اللبنانية من أجل قضية الإمام الصدر» مسيرة نسائية كبرى إلى مقر رئاسة الجمهورية اللبنانية، وأبلغ الرئيس سركيس الوفد الذي اجتمع به قوله: «أشعر بفراغ كبير في غياب سماحة الإمام الصدر خصوصاً في هذه المرحلة التاريخية العصيبة التي نمرّ بها. ومنذ البداية كان اهتمامي ولا يزال كبيراً بهذه القضية ومستمراً على كل صعيد، راجياً من الله أن يوفقني في الوصول إلى نهاية سعيدة على رغم كل العوائق والصعوبات».
- 20/ 2/ 1979: نشرت صحيفة «النهار» اللبنانية تصريحاً أدلى به في طهران السيد هاني الحسن مندوب منظمة التحرير الفلسطينية يتضمن: «نأمل في أن يتحرك الجميع للعمل على

توضيح مصير الإمام الصدر وإعادته سالماً. والذي نعتقده أنه ما زال حياً ومحتجزاً».

- 22/ 2/ 1979: نشرت صحيفة «النهار» اللبنانية خبراً لوكالة «رويتر» نقلاً عن وكالة «بارس» الإيرانية، تضمن أن السيد ياسر عرفات قال في مؤتمر صحفي عقده في مدينة مشهد: «إن الإمام الصدر هو صديقي وأخي، وقد اتخذت تدابير لإنقاذه، وآمل في أن تؤدي هذه التدابير إلى نتائج في المستقبل القريب».
- 23/ 2/ 1979: سافر وفد من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى إلى الرياض حيث اجتمع بالملك خالد والأمير فهد والأمير عبد الله، واطلع منهم على معلومات ومساعي المملكة العربية السعودية في قضية الإمام الصدر، وأن المسؤولين السعوديين يتابعون هذه القضية الخطيرة باهتمام، ويعتبرون العالم الإسلامي والعالم العربي معنيين بمواجهتها بواقعية وشجاعة وباتخاذ الموقف المناسب في صددها.
- 24/ 2/ 1979: سافر إلى إيران وفد كبير برئاسة سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، للتهنئة بإنتصار الثورة الإيرانية، وحمل الوفد إلى قيادتها فرحه بهذا الإنتصار إلى جانب آماله بالثورة في أن تحقق عودة الإمام الصدر.

وتمّ في إيران لقاءات مع آية الله الخميني وكبار معاونيه وآية الله شريعتمداري وعدد من المراجع الدينية وكبار العلماء ورئيس الوزراء وبعض الوزراء، عرضت خلالها تفاصيل قضية إخفاء الإمام الصدر

ومرافقيه ومراحل المساعي المبذولة والتي لم تسفر عن نتيجة. وأبلغ آية الله الخميني الوفد تصميمه على متابعة الجهد لإنقاذ الإمام الصدر الذي له مكانة سامية في قلبه وفي قلوب الجميع. ولمس الوفد من سائر المراجع الدينية والعلماء والمسؤولين في قيادة الثورة وفي الحكومة، تبنيهم المطلق لقضية الإمام الصدر وشعورهم بالمسؤولية في معالجتها.

- 27/ 2/ 1979: استقبل آية الله الخميني وفداً ليبياً جاء مهنئاً بإنتصار الثورة الإيرانية. ونشرت صحيفة «النهار» اللبنانية في عددها بتاريخ 1/ 3/ 1979 أن آية الله الخميني أبلغ هذا الوفد قوله الآتي: «نحن قلقون على مصير الإمام موسى الصدر، ونريد أن تقولوا للعقيد القذافي فور عودتكم إلى ليبيا أن يهتم بالبحث عن مصيره».
- 18/ 3/ 1979: اجتمع سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين بالرئيس حافظ الأسد في دمشق، وتناول البحث قضية الإمام الصدر وضرورة بذل المزيد من المساعي لتأمين عودته سالماً مع مرافقيه.
- 22/ 3/ 1979: اجتمع سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين بالرئيس الياس سركيس، مطالباً بأن تكثف الدولة اللبنانية جهودها في قضية الإمام الصدر.
- 26/ 3/ 1979: وجّه المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى برقية إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد في بغداد تضمنت «إن إخفاء الإمام الصدر جريمة بشعة تماثل جريمة توقيع

معاهدة الاستسلام مع العدو الإسرائيلي الغاصب». وانتهت بمطالبة المؤتمرين بمواجهة قضية الإمام الصدر بروح المسؤولية العالية وبأن يعمل لحلها بما يضمن سلامة سماحة الإمام الصدر ورفيقيه وحريتهم وعودتهم إلى وطنهم.

- 27/ 3/ 1979: استقبل سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين السفير البابوي في لبنان المونسنيور كارلو فورنو الذي تزوّد بآخر المعلومات في قضية الإمام الصدر لينقلها إلى البابا يوحنا بولس الثاني.
- 23/ 4/ 1979: خلال زيارة الرائد عبد السلام جلود رئيس وزراء ليبيا لإيران التي امتدت من 23/ 4/ 1979 لغاية 6/ 5/ 1979 وأجرى أثناءها محادثات مع المسؤولين الإيرانيين بقصد إعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وتأمين زيارة العقيد القذافي لإيران، أثار آية الله الخميني والمسؤولون الإيرانيون في محادثاتهم مع الرائد جلود، قضية إخفاء الإمام السيد موسى الصدر، مطالبين السلطات الليبية بأن تجلى غوامض هذه القضية باعتبار أن الجماهيرية الليبية هي الوحيدة التي تستطيع حلّ اللغز. وكانت هذه القضية النقطة الرئيسية في المحادثات.

وبهذا الصدد، أدلى الرائد جلود بالتصريحين الآتيين:

- **التصريح الأول** بتاريخ 24/ 4/ 79 - نشرته صحيفة «كيهان» الإيرانية بتاريخ 25/ 4/ 1979، ونقلته وكالة الصحافة الفرنسية ووكالة أنباء الجماهيرية الليبية، ونشرته صحيفتا «النهار» و«السفير» بتاريخ 26/ 4/ 79 - بالنص الآتي:

«أكدّ جلود أن وثائق قدمت إلى الحكومة الليبية تظهر أن الإمام الصدر غادر الجماهيرية فعلاً إلى روما حيث نزل في أحد الفنادق. وقال: «إن الحكومة الإيطالية أبلغتنا بأن الإمام الصدر قد وصل بالفعل إلى إيطاليا». وأضاف: «إن ثمة دولاً كبرى تحاول استغلال اختفاء الإمام موسى الصدر للحيلولة بصفة خاصة دون عقد لقاء بين الإمام الخميني والعقيد معمر القذافي لأنها تخشى مثل هذا اللقاء».

- **التصريح الثاني** بتاريخ 4/ 5/ 1979 - نقلته وكالة الصحافة الفرنسية ووكالة الأنباء الإيرانية، ونشرته صحيفتا «النهار» و«السفير» بتاريخ 5/ 5/ 1979 وهو يتضمن ما يلي:

«أكد الرائد جلود أنه في الوقت الذي وصل فيه الإمام الصدر إلى إيطاليا، كانت هذه الدولة فريسة للإرهاب. ففي ذلك الوقت اغتيل الزعيم الإيطالي ألدو مورو».

وتفاصيل هذا التصريح ورد في كلمة ارتجلها الرائد جلود في مجلس تأبين الشهيد الكبير آية الله مرتضى مطهري في قم ونشرتها معظم الصحف الإيرانية، جاء فيها:

«إن الإمام الصدر قد اغتيل على يد الصهاينة والاستعماريين، وإن الأعداء يخططون ضد الإسلام ويريدون من عملية اغتيال الصدر أن يفصلوننا عنكم وأن يضيعوا الحق ويضعوا الباطل مكانه. إن الإمام الصدر كان صديق ليبيا، ومن أخوتنا، وكان دائماً يسافر إلى ليبيا. نحن نملك وثائق، ونطلب من لجنة إيرانية أن تسافر إلى ليبيا لتحقق في قضية الإمام الصدر، وسنثبت لهم أن الإمام سافر من ليبيا إلى ايطاليا، ذلك البلد الذي اغتالوا فيه رئيس حكومتهم».

ـ الرد الإيطالي:

هذان التصريحان دفعا السلطات الإيطالية للردّ الآتي نصه:

أذاعت السفارة الإيطالية في بيروت بتاريخ 5/ 5/ 1979 البيان الآتي نصه: «تعقيباً على مقالات ظهرت في الصحف اللبنانية والإيرانية، تعلن السفارة الايطالية أن قضية اختفاء الإمام موسى الصدر، خصوصاً الإشاعات التي راجت عن احتمال مروره ترانزيت في إيطاليا أو دخوله إليها، كانت موضع استقصاءات متواصلة تفرضها دقة هذه القضية.

إن الجانب الإيطالي أبدى كل الاستعداد للتعاون في التحقيق مع السلطات المختصة في حكومات الدول الأخرى. وكل التحقيقات التي أجريت والعناصر التي توافرت تنفي أن يكون شخص الإمام موسى الصدر قد وصل إلى الأراضي الإيطالية.

وبناء على ذلك، إن أي تصريح يتنافى مع ما تقدم وإن منسوباً إلى الحكومة الإيطالية، يجب إعتباره غير مستند إلى أي أساس».

وأعلن بتاريخ 5/ 5/ 1979 السفير الإيطالي في طهران السيد جوليو تامانييني أن رجلاً مجهولاً استخدم جوازاً وبطاقة سفر باسم الإمام موسى الصدر في رحلة بالطائرة من طرابلس الغرب إلى روما. وإن الإمام الصدر اختفى قبل وصول منتحل شخصيته إلى روما. ـ هذان البيان والتصريح نشرتهما صحيفتا «النهار» و«السفير» اللبنانيتان بتاريخ 6/ 5/ 1979 ـ.

زهير محسن
(1936 ـ 1979)

لقد أفرزت الحرب الأهلية في لبنان واقعاً أمنياً صعباً، فكانت المخابرات الإسرائيلية «الموساد» تدفع بعملائها باستمرار للتجسس على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية.

وكانت مهمة المخابرات الفلسطينية صعبة للغاية في ظل هذا الواقع، حيث استغلت «الموساد» ظروف لبنان، لتقوم عبر عملائها بمحاولات تخريب العلاقة بين التنظيمات الفلسطينية واللبنانية، كذلك محاولة استعداء المواطن اللبناني على الثورة الفلسطينية.

ـ زهير محسن في سطور:

زهير محسن، زعيم منظمة الصاعقة، جاء من الضفة الغربية إلى عمان ومن عمان ذهب إلى الخليج للعمل هناك، وبعدها انتقل إلى دمشق حيث أصبح عضواً في القيادة القومية لحزب البعث العربي الإشتراكي، ومن دمشق ذهب إلى باريس في زيارة خاصة، وهناك تم اغتياله من قبل الموساد الإسرائيلي عام 1979.

كان زهير محسن فلسطينياً متحمساً لقضيته، واقعياً، واضحاً، لم يهرب أبداً من أمام دروب الخطر، كان شرساً وعنيداً في مواقفه.

بعد فترة من عمله في الشأن الفلسطيني من خلال منظمة الصاعقة أصبح رئيساً لها، وعضواً في المجلس الوطني الفلسطيني، ورئيساً للدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية.

ـ اغتياله:

ـ الجاسوس المدلل:

قصة الجاسوس المدلل قصة واقعية، من ملفات المخابرات الفلسطينية، تعطي صورة حقيقية عن الدور الإسرائيلي في العديد من الأحداث المعروفة والتي في كثير من الأحيان حاول الإعلام الإسرائيلي إلصاق التهم الباطلة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

تروي هذه القصة تفاصيل مثيرة حول اغتيال زهير محسن الأمين العام لمنظمة الصاعقة في فرنسا، كذلك لإفشال الموساد لمحاولة اغتيال الرئيس أنور السادات.

هذه الحلقة من حلقات المواجهة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل انقلبت عكسياً لصالح المخابرات الفلسطينية التي اخترقت «الموساد» وقامت بتضليله لفترة طويلة.

قصة الجاسوس المدلل تسجل وقائع الحرب السرية بين المخابرات الفلسطينية والموساد منذ منتصف السبعينات وحتى الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982.

ـ الرذيلة تقود إلى خيانة الوطن:

كان وسيماً وذكياً، عيناه سوداوان يحتضنان في خفر حور العذارى، وجهه أسيل متوج بشعر فاحم مموج، وكم من مراهقة تمنت لو يكون هو العريس وكان يحلو له مطاردة الصبايا المراهقات ويحلو له أكثر أن يتحدث عن إنتصاراته الغرامية معهن أمام أصحابه ومجامليه من المراهقين، وهي إنتصارات بريئة، لم تكن تتعدى ابتسامة عن بعد أو لمسة وعن قرب أو غمزة في الطريق، فالأهل محافظون والبيئة كلها محافظة. لكن طارق كان يبني على تلك الإشارات المراهقة والبسمات البعيدة قصصاً تدب الحسد والغيرة في صدر الأتراب الصغار. كان كثير الاهتمام بنفسه ومظهره وقليل الاهتمام بدروسه وواجباته المدرسية، وكان يحلم أن يكون غنياً تتدفق الأموال بين يديه ليتسنى له تسجيل إنتصارات حقيقية في عالم الجمال والنساء، يترجم قصص المراهقة وخيالاتها إلى حقائق ووقائع. لكن المشوار طويل واليد قصيرة فهو ما زال طالباً في المرحلة الإعدادية وأبوه موظف في الجيش اللبناني، معاشه لا يكفي لأكثر من الستر وسد الحاجة ومصاريف البيت والعائلة لكن طارق يتلظى بتطلعات الشباب ومغامراتهم. يود لو أنه يستطيع ترك المدرسة ومزاولة العمل ليتسنى له تحقيق مآربه، يهمل دروسه ويكثر غيابه عن المدرسة، يطالب أمه دائماً أن تعطيه مصروفاً كغيره من الأولاد الأغنياء، يغادر المدرسة قبل حصوله على الشهادة الثانوية. تقدم من مكتب لشركة سفريات في شارع الحمراء في العاصمة بيروت، كان يجيد إلى حد ما الحديث باللغة الإنجليزية، الراتب قليل ولكنه كاف للظهور بمظهر القادر، والحياة في بيروت وسط

جيله من الشبان حياة مظاهر، لكنه كان يشعر بالندم حين يخلو إلى نفسه، لتركه المدرسة، فالحياة العملية بالنسبة لفتى غير متعلم مثله لا تُسمن ولا تغني من جوع. ثم إن والده في تلك الفترة أحيل إلى التقاعد ووجد لنفسه وظيفة في جريدة لبنانية.

ذات يوم وهو يجلس أمام «الكاونتر» في شركة السفريات دخل عليه رجل وسيم، شعره طويل ينسدل على كتفيه، فيه رشاقة وأناقة ظاهرة، تتسم حركاته بالسرعة والانفعال. تقدم منه بثقة طالباً تذكرة سفر ذهاب وعودة إلى باريس، ذكر له الاسم فبدا مألوفاً لديه، وكان طارق قد أدرك حتى قبل أن ينطق الرجل باسمه أن هذا الأرمني المسافر إلى باريس رسام مشهور يلعب بالمال كما يشاء. سافر الرسام وعاد وبعد فترة رجع إلى مكتب السفريات واشترى تذكرة أخرى للسفر إلى عاصمة عربية هذه المرة. ومرة أخرى إلى باريس. وهكذا قليلاً قليلاً توطدت المعرفة بينهما، وذات يوم دعا الرسام طارق للغذاء عنده في منزله، ولم يتردد طارق في قبول الدعوة فذهبا معاً إلى المنزل. كان الرسام كريماً إلى أبعد الحدود حيث مد لطارق مائدة شهية، من الحمص المتبل والمشويات والبسطرما، أكل كثيراً وشرب كثيراً وضحكا أكثر، ولاحظ الرسام أن النعاس أخذ يدب في عيني ضيفه فقال له: «مبين عليك تعبان، قوم. . . نام هونيك على السرير».

في الطريق إلى البيت، ثار طارق على نفسه، وندم على العلاقة التي بدأها مع الرسام، إذ كيف يقوم بمثل هذا العمل المشين وهو يعد نفسه شخصاً متكامل الرجولة. بل كيف يندمج في هذا العمل

بالرغم من تربيته المحافظة ودينه الذي نشأ عليه يمنعه ويحرمه عليه، وماذا لو عرف عنه أصدقاؤه ذلك، سيفضحونه بالتأكيد. وسيعلم والده بالأمر وأمه وأخوته، وتكون فضيحة ما بعدها فضيحة، الموت أهون منها، تحسس الخمسين ليرة التي دسها الرسام في جيبه، ومضى إلى البيت، اغتسل وخرج يتسكع في الشوارع على غير هدى، ثم ما لبث أن عاد إلى البيت ونام ليذهب في الصباح إلى عمله كالعادة.

بعد فترة جاء الرسام إليه قبل نهاية العمل بدقائق انتظره حتى أنهى عمله وخرجا بسيارة الرسام ومرا على أحد مطاعم الروشة.

بعد عام كامل في شركة السفريات ترك عمله هناك ليلتحق بإحدى الشركات التي تبيع الموسوعات وتسوقها، تدرب في مكتب الشركة في بيروت مدة ثلاثة أشهر قبل أن ترسله إلى إحدى البلدان العربية لتسويق الموسوعات هناك. مكث في ذلك البلد فترة طويلة جمع خلالها مبلغاً كبيراً من المال، عاد به إلى بيروت حيث استأجر مكتباً في بناية الحسن سنتر مقابل ثكنة الحلو على طريق المزرعة لممارسة أعمال الديكور وبيع معداته ومستلزماته من دهان وورق جدران وموكيت وما إلى ذلك. في البدء كان العمل صعباً ففشل في المشروع وخسر فيه تحويشة العمر. لكنه خلال تلك الفترة تعرف على عدد كبير من الأغنياء ومتوسطي الحال، كما تعرف على أحد الأثرياء واسمه سعيد الذي يستأجر كل عام فيلا ضخمة جميلة قرب فندق «الريفييرا» المطل على الروشة بمبلغ 50 ألف ليرة لبنانية في الشهر. وسعيد لا يأتي إلى بيروت إلا للسهر وإنفاق الفلوس على

العربدة والتحشيش والسهرات الحمراء، التي ينفق فيها بغير عد أو حساب، فالرجل سخي مع الأصدقاء، وكريم مع المعارف والنساء والشباب، يهدي العقود والخواتم المصنوعة من الأحجار الكريمة والذهب التي يسيل لها اللعاب، كما لو أنها سجائر وعلب شوكولا.

وكم دهش طارق حين رأى سعيد يهدي أحدهم سيارة بي.أم. دبليو فخمة من الشركة.

ودهش أكثر حين رأى سعيد يلعب بقطعة ضخمة من الألماس في يده، فسأله إن كانت ألماساً حقيقياً فضحك سعيد وألقاها بين يديه قائلاً: «ما رأيك أنت، خذ تفرج عليها وتفحصها جيداً». تفحصها طارق وعرضها أمام عينيه فرآها تضج بالألوان التي تتقاطع مع بعضها البعض مثل نور على نور، عندئذ قال له سعيد أن ثمنها مليون ونصف المليون دولار، صعق طارق لدى سماعه قيمة الألماسة فأعادها إلى سعيد وهو يرتجف.

الرسام الأرمني كان أيضاً هناك عند سعيد، فقد كان صديقاً له وقد اشترى منه سعيد خمس لوحات بمبلغ كبير. لكن الرسام الأرمني لم يكن يرتاح لمناورات سعيد مع طارق. فقد كان يغار عليه من كل الرجال، خصوصاً سعيد.

لم يجد طارق نفسه غريباً عن هذه السهرات الحمراء، وكان يطمح أن يصبح مقرباً من سعيد مهما كلف الأمر، بالرغم من غيرة صديقه الرسام عليه ولم يكن ليغيب عن سعيد الخبير في هذه الأمور أن يلحظ مدى اهتمام الرسام بالفتى، فاستغل ذهاب الرسام

إلى الحمام في إحدى الليالي ليدعو طارق إلى الغذاء عنده في اليوم التالي، وقد فرح طارق بالدعوة المنتظرة.

وبعد لقاء حافل ناول سعيد طارق 4 آلاف ليرة لبنانية دسها في جيبه وخرج، ليعود في السهرة كالعادة وكأن شيئاً لم يكن.

وصار طارق يغار على سعيد، وكانت غيرته تنصب على شخص واحد يدعى أنطوان الذي كان محظياً من قبل شخصيات معروفة.

صار طارق جزءاً من سهرات سعيد كما صار جزءاً من الليل لحياة الليل. ونظراً لأوضاع بيروت والعنف السائد في بعض مناطقها فقد اشترى طارق مسدساً، وارد أن يحصل على ترخيص له، ولما لم يكن منتمياً إلى أي تنظيم حزبي أو سياسي فقد صعب عليه الحصول على الترخيص اللازم. إلى أن كان في أحد الأيام يجلس في أحد المطاعم الصغيرة مقابل جريدة «النهار» حيث يعمل والده، هناك تعرف على سائق سيارة يعمل في الجريدة، فأخبره بالمسدس وطلب منه أن يساعده في الحصول على رخصة له، فقال السائق بسيطة لقد افتتحت منظمة «الصاعقة» مكتباً لها هنا، وأشار بيده إلى موقع المكتب وهو يضيف: مسؤول المكتب ضابط يدعى خليل وهو صديقي، سأعرفك إليه ولن يردك خائباً. فرح طارق وكان لا يزال غارقاً في الفرح حين دخل خليل بلحمه ودمه إلى المطعم وجلس إلى إحدى الموائد بعد أن سلم على السائق الذي عرفه على طارق فوراً وفاتحه بموضوع المسدس فقال خليل «ولا يهمك بسيطة».

بعد يومين أحضر خليل رخصة المسدس معه إلى المطعم وأعطاها لطارق الذي علم من خليل أنه دائم التردد على هذا المطعم لتناول الإفطار فيه وأحياناً الغداء، فكثرت لقاءاتهما وصار خليل يصطحب طارق كثير من الأحيان معه إلى مكتبه في الحمراء وهو مكتب أمن 13 الصاعقة، كما كانا يذهبان معاً للعب «الفليبرز» في أحد المحلات القريبة من المكتب، حيث يقضيان عدة ساعات أمام الماكينات يلعبان ويقتلان الوقت. مع الأيام ومن خلال الضابط خليل تعرف طارق على معظم المسؤولين في منظمة الصاعقة، خصوصاً «نسور الثورة» جناحها العسكري.

أصبح من عادة خليل تكليف طارق ببعض المهمات البسيطة في ظل الفوضى التي كانت تسود في بعض التنظيمات، وبالرغم من عدم انتماء طارق للتنظيم إلا أنه كان سعيداً بالمهمات التي يكلفه بها خليل والتي تمثلت في إعداد جوازات السفر لمقاتلين في مهمات خارجية، والحصول على التأشيرات اللازمة. ولم يكن يتقاضى مقابل عمله هذا أية أجور. فقد كان يشعر أنه يقوم بعمل مهما ضؤلت قيمته، إلا أنه يندرج في باب العمل الوطني القومي، خصوصاً أن خليل لم يكن من النوع الذي يخفي أسراراً، فقد كان كثير الحديث عن عمله في المنظمة وعن المسؤولين فيها وأحياناً كثيرة كان يدلي له بأخبار عن طبيعة المهام التي سيقوم بها الفدائيون.

ـ أحلام:

ذات يوم من شهر أيار/مايو عام 1978 كان طارق يجلس في

مقهى ومطعم نصر المطل على الروشة، كان الغارسون يرفع من أمامه الأطباق الفارغة حين حانت منه التفاتة إلى المائدة المجاورة، فوجد امرأة في أواخر الثلاثينات من العمر وعلى وجهها ملامح عز وجمال وأناقة، ومعها طفلان. اقترب أحدهما منه وكان صغيراً فتعثر ووقع على الأرض، فنهض طارق يرفع الصبي وينفض له ثيابه ويوصله إلى أمه التي شكرته ودعته بكل أدب لمشاركتها فنجان قهوة، فشكرها وجلس بجوارها، وهو يقول: «أولادك حلوين»، فضحكت وهي تقول: «قصدك يعني مش طالعين لأمهم» فارتبك وهو يقول معتذراً «بالعكس يا مدام. إنتِ حلوة كتير».

وهكذا دار الحديث بينهما، حول الأولاد والجمال والزواج والروشة والمطعم الذي يجلسان فيه، إذ فهم منها أنها كثيراً ما تتردد إلى هذا المطعم، لأنه كما تقول مطعم يغسل رجليه في البحر، والخدم فيه يحبون الأولاد ويلاطفونهم. طلبا فنجانين آخرين من القهوة وطلبت بوظة لطفليها، بعد فترة نظرت إلى ساعتها ونهضت وهي تقول: «نسينا الوقت، صارت الساعة 11 لازم الأولاد يناموا»، نهض طارق وعرض عليها أن يوصلها إلى البيت بسيارته فوافقت وهي تشكره. وضع الطفلين في المقعد الخلفي من السيارة بينما جلست هي إلى جواره فانطلق بها إلى بيتها.

توقف أمام العمارة. وفتح لها الباب ثم فتح الباب الخلفي، وحمل أحد الطفلين بين يديه ومشى معها إلى مدخل العمارة يوصلها به أمام باب الشقة، أخرجت المفتاح وفتحت الباب ودعته ليشرب فنجان قهوة.

بعد أن وضعت الطفلين في غرفة نومهما صنعت إبريقاً من القهوة وأحضرت فنجانين وجلست تصب ويشربان. إنها شقة فاخرة، وأثاثها فاخر والمرأة تبدو غنية، وحين سألها عن زوجها أخبرته بأنه رجل أعمال كبير في نيجيريا وهي لا تطيق الحياة في الصيف هناك، لذلك تفضل المجيء إلى بيروت أو أوروبا. دهش طارق وتململ في كرسيه بشكل ملفت فظهر المسدس تحت حزامه، فسألته عنه دون أن يبدو عليها الخوف، فقال لها بأنه يحمله تحسباً وهو مسدس مرخص، فردت بسؤال آخر ومن أين حصلت على الترخيص فأجابها «من منظمة الصاعقة» فردت بسؤال آخر «وهل تعمل معهم؟» فقال «لا، ولكنهم أصحابي، جميع المسؤولين فيها أصحابي». كانت تسأله وإمارات الإعجاب بشخصيته تبدو على قسمات وجهها الجميل، فانتهز الفرصة وأخذ يحدثها عن الأعمال التي يقوم بها مقاتلو الصاعقة والمساعدات القيمة والنصائح التي يقدمها لهم محاولاً جذبها إليه بتلميع صورته وشخصيته التي يعرف في أعماق نفسه أنها شخصية أذلها وسحقها الرسام الأرمني وسعيد وغيرهما.

بالمسدس وبهذه المرأة الثلاثينية أحس طارق بأنه يستعيد شيئاً من رجولته المهدورة. طال الوقت وجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فقالت له أحلام:

«طارق، أنا معجبة بك كثيراً وهذا رقم هاتفي، أرجوك أن تتصل بي في أي وقت تشاء. دعنا نلتقي ونتحدث، فحديثك شيق وجميل».

أجابها طارق «وأنتِ أيضاً جميلة يا ست أحلام، وتأكدي أنني سأتصل بك».

على الباب قبلته وهي تودعه قبلة فيها ألف معنى وألف إشارة، فانتفخت أوداجه واحمر وجهه، وكان يشهق بطعم الرجولة الذي تدفق فجأة في أعماقه بفضل هذه المرأة.

قاد سيارته بجنون، وهو يفكر في أحلام. هذه المرأة التي دخلت حياته هكذا بالصدفة وبلا مقدمات لتعيد له شيئاً من وهج الرجولة المفقودة عنده، وصمم وهو في غمرة هذه الأفكار ألا يتصل بها لا في الغد ولا بعده حتى يشعرها بشخصيته ويجعلها هي تسعى إليه وتتمسك به فهي الحلم الذي ضاع منه على سرير الرسام اللبناني وفيلا سعيد، ولا أقل من أن يكون هو فارساً لأحلام في غياب الزوج البعيد في نيجيريا.

ويوم اتصلت هي به بعد أسبوع شعر بأن خطته نجحت، وأن الصيد الثمين وقع. عاتبته فاحتج بكثرة العمل وانشغاله مع الشباب في نسور الثورة لكنه وعدها بالاتصال واللقاء.

وبينما هو يتناول العشاء في مطعم صغير في نهاية شارع الحمراء بنزلة أبو طالب جاءه النادل يخبره بأن هناك شخصاً على الهاتف يريد أن يتحدث إليه اسمه أحمد، فنهض فإذا هو صديقه الذي كان يعمل قبل الحرب في مسبح فندق «السان جورج» وبعد الحرب سافر إلى لندن حيث عمل هناك في عدة مهن بسيطة يوصل الطلبات إلى البيوت وينظفها، وكان قبل سفره إلى لندن قد التقى بطارق أكثر من مرة عند الرسام الأرمني.

فوجئ طارق بعودة أحمد من لندن وفوجئ به كيف حصل على هاتف المطعم فأخبره هذا بأنه اتصل به في البيت فأخبرته أخته أنه في هذا المطعم وهو يريد أن يسهرا معاً، سأله طارق وأين أنت الآن؟ فقال أحمد أنا في بيت إحدى الصديقات وهذا هو العنوان، تعال فوراً. وصعق طارق حين ذكر له أحمد العنوان. لقد كان عنوان أحلام، وليتأكد من ذلك قال لأحمد «بيت مين؟» فرد أحمد «بيت الست أحلام».

ولم يكمل طارق عشاءه دفع قيمة ما طلب وخرج على الفور وطار إلى بيت أحلام حيث كانت هناك مفاجأة في انتظاره.

ـ المصيدة:

وصل إلى شقة أحلام، وما أن قرع الجرس حتى انشق الباب عنها فقالت مرحِّبة: «أهلاً». رآه أحمد من بعيد فهرول من الصالون يعانقه ويعرّفه إلى أحلام. وكان طارق قد لمح أنها لا تريد أن يعرف أحمد أنها على معرفة به.

جلس أحمد بجواره، يحدثه عن مغامراته العاطفية في لندن، وعن الأثرياء الذين التقاهم هناك وتعرف بهم. كان طارق ممتعضاً من حديث أحمد، يسترق النظرات إلى أحلام معجباً بجمالها وقوة شخصيتها إلى أن قال: «أحد الأثرياء واسمه فلان، قال لي في لندن إذا جمعتني بطارق سأعطيك 5000 دولار»، هنا انتبه طارق مستفسراً فاسترد أحمد في ثرثرته موضحاً يقول:

«إنه رآك في «ملهى البلواب».

تفاهة أحمد جعلت طارق يتساءل بينه وبين نفسه عن السر الذي جمع بين أحلام وهذا المخلوق الجاهل، كما جعلته يتساءل عن الكيفية التي يتعرف بها أحمد على هذا العدد الكبير من الأثرياء وكأنما ظهرت تساؤلاته على صفحة وجهه.

فأدركت أحلام ما يدور في خاطره فقالت: «كان أحمد قبل أن يسافر إلى لندن يأتي دائماً لتنظيف البيت هنا، وقضاء حاجاتنا من السوق وقد أصبح جزءًا من العائلة فقد لحق بنا إلى نيجيريا حيث عمل في بيتنا هناك وكذلك في بيتنا في لندن».

ترى هل هذه هي الحقيقة؟ أم هناك رابطاً ما يجمع هذا (المشبوه) بهذه المرأة وبأولئك الأغنياء؟

تفسير أحلام أدى غرضه، فبعد أن انفرط عقد السهرة بأسبوع اتصل طارق بأحلام التي دعته إلى العشاء في منزلها فذهب وتعشى ونام ليلته هناك. كان شعوره في تلك الليلة فوراً برجولته.

فها هو يقفز فوق شذوذه، وتعجب به أحلام كرجل، فلا يخبرها عن شذوذه بالطبع ولم يدر في خلد الفتى أن أحلام تعرف عنه كل شيء من أحمد. صارت أحلام بالنسبة إليه حلماً ومتنفساً رجولياً له، يستعيض به عن ماضيه الشاذ مع الرسام والثري سعيد. وذات سهرة في بيت أحلام، وكان هناك أخوها إبراهيم الذي يعمل مدرساً سأل إبراهيم طارق:

«إلى أي عائلة تنتمي»؟

ورد طارق:

«عائلة الحمدان».

ضحك إبراهيم وسرح، فاستغرب طارق ضحكته وشعر بالإهانة فقال له:

«وما الذي يضحكك»؟

فقال إبراهيم:

«لا تغضب، ولكنني تذكرت أن أحلام اتهمت من قبل بأنها عميلة للمخابرات الإسرائيلية، كما اتهم معها آنذاك رجل من عائلة الحمدان».

دهش طارق إلى أحلام مستوضحاً بانفعال شديد، فهدأت من روعه بقولها: «لا تصدقه، إنه يهذي. فهو ثمل لا يعرف ماذا يقول».

لم يقتنع طارق بقولها، وظل كلام إبراهيم يدور في نفسه إلى أن فاتحها بعد يومين من تلك الأمسية قائلاً: «أحلام. لقد قلت لي أن إبراهيم ثمل، لكن الثمل غالباً ما يقول الحقيقة. فما قصة المخابرات الإسرائيلية»؟

وردّت أحلام تطمئنه:

«القصة سخيفة. كنت على علاقة صداقة مع شخص من عائلة الحمدان فعلاً، كان يملك ملهى «الكاسبا» في فندق «الكومودور» في الستينات وتبين أنه عميل للمخابرات الإسرائيلية فسجن وبعد

خروجه من السجن غادر لبنان، ولم أسمع عنه شيئاً منذ ذلك الوقت.

اكتفى طارق بهذا التفسير ليصدق أحلام فلم يكن ليهتم من قريب أو بعيد بالمخابرات الإسرائيلية، كل ما كان يريده امرأة جميلة وسريراً دافئاً يكفلان له وضعاً مزيفاً يعلو به فوق حماة الشذوذ الذي يعاني منه.

كان بحاجة إليها، كما ظن أنها هي الأخرى بحاجة إليه لغياب زوجها الطويل في أفريقيا الذي يفضل السوداوات ويلعب القمار في لندن، علماً بأن هذا هو الزوج الثاني لها، فقد سبق لها أن تزوجت من رجل يعمل في نيجيريا.

لكن سعادة طارق بأحلام لم تدم طويلاً، فقد سافرت إلى لندن بعد أن أعطته عنوانها هناك ورقم هاتفها. شعر بالفراغ والألم في غيابها، فصار يقضي وقتاً طويلاً معها على الهاتف.

تعذب، وفقد طعم الحياة، وتمنى لو أن في مقدوره السفر إلى لندن والحياة معها. وبينما كان يحادثها على الهاتف في أحد الأيام يشكو لها حبه وعذابه، قالت له فجأة وبلا مقدمات:

«ولا يهمك. غداً سأرسل إليك تذكرة سفر بيروت ـ لندن ـ بيروت. وما عليك إلا أن تحصل على تأشيرة دخول من السفارة البريطانية وتأتي، وأنا سأرتب كل شيء من هنا».

كاد يطير من الفرح، ولم يصدق، إنها تحبه كما يحبها وأكثر، أخبر الأهل بأنه سيذهب إلى لندن للتجارة والعمل، وافق الوالدان

وصلت التذكرة وحصل على التأشيرة، وها هو الآن في مطار بيروت يستعد للركوب في طائرة «الميدل إيست» إلى عاصمة الضباب.

في مطار هيثرو كانت آمال ابنة أحلام تنتظره بابتسامة عريضة دافئة ذكّرته بذلك اليوم الذي أمضياه معاً في بيروت حين جاءت من نيجيريا إثر خلاف لها مع زوجها، فقد سكنت مع والدتها في الشقة وتعرفت إلى طارق هناك. وذات ليلة بينما كان يقف أمام مبنى جريدة «النهار» ينتظره والده، مرت آمال بسيارتها فلمحته ولمحها فتوقفت وصعد معها إلى السيارة بعد أن أخبر والده بأنه قد يتأخر هذه الليلة.

كانت آمال في تلك الليلة في حالة نفسية سيئة. سألها:

«إلى أين أنت ذاهبة في هذه الساعة المتأخرة من الليل»؟

فقالت: «لا مكان محدد. أريد فقط أن أتجول في الشوارع... هكذا بلا هدف، وليتك ترافقني. تعال نقضي الليلة في فندق «الكومودور» معاً».

بلع ريقه وهو يناول موظف الاستقبال مئة ليرة ليخصص لهما غرفة حيث ناما حتى الصباح.

وحين أفاق صباح اليوم التالي كان طارق يشعر بأن رجولته قد ردت إليه أو معظمها على الأقل.

كان أكثر ما يهمه أن يثبت رجولته لامرأة، كأنما بثبوتها لامرأة يثبتها أمام نفسه وضميره.

وطار طارق إلى لندن بعد ذلك وكانت آمال في انتظاره.

أوصلته آمال من المطار إلى شقة أحلام وكان ذلك في شهر تشرين الأول/أكتوبر عام 1978. وعرف من آمال أنها تسكن في شقة أخرى في العمارة نفسها التي تسكن فيها والدتها. أقام في شقة أحلام ثلاثة أيام إلى أن وجدت له شقة مناسبة في العمارة نفسها ومقابل شقة آمال بالضبط دفعت أحلام إيجار الشقة وناولته مبلغاً من المال لمصاريفه اليومية.

أخذته الأم وابنتها إلى أحد الملاهي فصار يقضي وقته بين الملهى والسينما وأحلام وآمال. وقليلاً ما يتسكع في شوارع لندن. وفي الأسبوع الثالث من وصوله، وبينما كان يتمشى في أحد الشوارع القريبة من العمارة دخل إلى حانة ليتناول بعض الشراب. بعد برهة دخل رجل تدل سحنته على أنه عربي وطلب شراباً مثله وجلس على مقربة منه. ثم ما لبث الرجل أن التفت إلى طارق سائلاً بلطف: الأخ عربي؟ أجاب طارق: نعم.

فسأله الرجل:

من أين؟

أجابه طارق بأنه لبناني.

ودار بينهما حديث عادي حول لندن والطقس والحياة في هذه المدينة الباردة، استطاع طارق أن يلاحظ شفى لهجة الرجل العربية لكنة أجنبية غير واضحة تماما وعاد الغريب يسأل:

هل أنت هنا فى عمل أم سياحة؟

رد طارق باقتضاب: سياحة.

عندئذ قال الرجل:

أنا تاجر قماش مقيم هنا في لندن، دعنا نتقابل بين الحين والحين.

فرح طارق بالتعرف على هذا الرجل الدمث وتمنى في قرارة نفسه أن يجد عملاً له معه يبقيه في لندن، خصوصاً عندما سأله الرجل إن كان لديه هاتف فقال طارق على الفور: «هذا هو اسمي ورقم الهاتف. اتصل بي في أي وقت». شكره الرجل وقال له:

«أنا اسمي زكي وسوف أتصل بك إن شاء الله»، ثم نهض ودفع الحساب وانصرف.

بعد عودته إلى الشقة بقليل اتصلت به أحلام وطلبت منه أن يسهر عندها تلك الليلة. ثم سألته بعد العشاء: ماذا تفعل بالنهار؟

فقال: لا شيء أتسكع في الشوارع على غير هدى، إن لندن مدينة جميلة.

ـ ألم تتعرف إلى أحد؟

ـ لا أبداً.

لم يذكر لها عن زكي لثقته بأن الأمر لا يستحق أن يذكر إلا أن دعوة أحلام له لقضاء السهرة في تلك الليلة كانت مقصودة لاختبار قدرته على الثرثرة، ولم يكن يدري أنه بإجابته تلك قد سجل نقطة إيجابية لصالحه.

بعد يومين اتصل به زكي ودعاه لتناول الغداء في فندق «ذه وست مورلاند فلور» الساعة الواحدة، فذهب طارق في الموعد المحدد تماماً، لكن زكي لم يحضر إلا بعد نصف ساعة معتذراً عن تأخيره بسبب ازدحام السير والمرور في تلك الساعة.

والواقع أن المرور لم يكن سبباً في تأخر زكي بل هو تأخر تمليه الاحتياطات الأمنية التي توعد الرجل باتخاذها بشكل دائم. كذلك كان الاحتياط الأمني هاجسه وهو يجلس بظهره إلى الحائط كاشفاً كل شيء أمامه بينما طارق لا يرى غير الحائط وزكي.

دار الحديث على الطعام عادياً حول لندن وأوضاع لندن.

ويبدو أن جلسة التقييم الثانية كانت إيجابية، إذ قال زكي لطارق وهو يودعه: «سأحاول أن أجد لك عملاً هنا». ثم دفع الحساب وانصرف وهو يقول «سأتصل بك قريباً». ولم يحاول طارق أن يطلب من زكي رقم هاتفه مع أنه فكر في ذلك. فهو يريد أن يستعجل الحصول على الوظيفة.

كان التقييم يتم من قبل زكي بسرعة لشخصية طارق، فهو ذكي يركض خلف الشهوات والنزوات، إذ لاحظ زكي أنه غازل بعينه وابتساماته فتاة كانت تجلس إلى طاولة مجاورة في المطعم قبل أن ينهره زكي. ثم أنه شاذ جنسياً وهذه نقطة ضعف مناسبة جداً لاختراقه والضغط عليه، خصوصاً أنه يحمل إعتباراً كبيراً لأهله وعائلته وأصدقائه وستكون مصيبة المصائب في نظره إذا اكتُشف أمر شذوذه، ونقطة الضعف الثانية قلة المال بين يديه، فهو من عائلة متوسطة الحال ومستعد لعمل أي شيء من أجل الحصول على

المال. ثم هناك علاقته ببعض الأثرياء. والأهم من ذلك كله علاقته القوية بأحد مسؤولي منظمة «الصاعقة» المعادية لإسرائيل ومعرفته لمعظم العاملين والمسؤولين فيها.

- دعوة إلى العشاء:

بعد أيام ثلاثة هتف له زكي يدعوه للعشاء في مطعم «البستان» وقال له أنه سيتأخر قليلاً ويفضل أن يتم الحجز باسمه هو. فقال طارق:

اسمي طارق الحمدان.

فقال زكي: واسمك الثلاثي.

طارق أحمد الحمدان.

من الطبيعة أن لا يحتاج زكي لاسم طارق الثلاثي أو الثنائي أو حتى الأول لإجراء الحجز.

ولكنه أراد طارق أن يقول له اسمه الثلاثي لغاية في نفس يعقوب لم يدركها صاحبنا. خصوصاً وأن زكي عاود الاتصال بطارق قبل الموعد المحدد ليخبره أنه ألغى حجز «البستان» لأنه جد مشغول، وفي وسعهما بدلاً من ذلك تناول العشاء في مطعم فندق «ليونارد» القريب من مكتب زكي. ولما وافق طارق طلب منه زكي أن يتوجه من فوره إلى الفندق المذكور لأنه بعيد نوعاً ما. امتثل طارق لرغبة زكي واستقل سيارة تاكسي إلى حيث الموعد.

كان زكي ينتظره في إحدى زوايا المطعم، وأثناء العشاء قال زكي: «أنا مضطر للسفر غداً إلى إيطاليا لإحضار بعض الأقمشة

والموديلات من هناك، ولن أغيب أكثر من أسبوع». ثم تشعب الحديث ليطول الأوضاع في لبنان والطقس في لندن وتجارة الأقمشة والثياب. بعد العشاء نهض زكي ودفع الحساب ثم ودع طارق وخرج.

لم يلحظ طارق أن زكي في كل مرة يخرج قبله، وحين يخرج هو بعده لا يجد له أثراً. ثم أنه لم يفكر مطلقاً في هذه الدعوات المتكررة إلى المطاعم، وإن فكر في ذلك اعتقد أن الرجل رأى فيه برغم فارق السن مشروع صديق في هذه الغربة التي يعيشها في لندن. وكونه يدفع الحساب في كل مرة لا يعد أن زكي رجل كريم وتاجر، بينما هو عاطل عن العمل.

بعد ثلاثة أيام من عشاء الفندق فوجئ طارق بزكي على الهاتف يخبره بأنه أنهى عمله بسرعة وعاد إلى لندن وهو يدعوه لقضاء السهرة عنده مع عدد آخر من الضيوف. ولما لم يكن طارق على علم بعنوان زكي قال له هذا الأخير «سأمر لآخذك بالسيارة. انتظرني في نهاية شارع كرومويل رود الساعة الثامنة والنصف».

وصل زكي بسيارته في تمام الساعة الثامنة والنصف، فجلس طارق إلى جانبه، وتوجها إلى إحدى العمارات المطلة على هايد بارك. فتح زكي باب العمارة الخارجي بمفتاح معه وصعد السلم أمام طارق وبيده سلسلة مفاتيح حيث فتح باب إحدى الشقق. وجلسا في الصالون يشربان ويتحدثان عن إيطاليا ولندن والأقمشة. بعد حوالي الساعة دق جرس الباب، فنهض زكي وكبس على زر

المايكروفون وتحدث ببضع كلمات بالإنجليزية ثم انتظر قليلاً حتى طرق باب الشقة ففتحه ليدخل رجلان وفتاتان، أحدهما أشقر الشعر طويل عمره لا يتجاوز 27 عاماً، أما الآخر في الأربعين من عمره أسمر اللون وشعره خفيف أقرب إلى الصلع، وأما الفتاتان فلا يتجاوز كل منهما العشرين سنة، تتمتعان بجمال وافر، شقراوان فيهما إغراء وعدم كلفة جلست إحداهما بجواره بعد التعارف، تبادل معهما الحديث والنكات واللمسات.

مال زكي على أذنه هامساً:

طارق، بإمكانك أن تأخذها إلى غرفة النوم تلك. اعتبر البيت بيتك.

فرح بكلام زكي وأقنع الفتاة بالقيام معه. كان رأسه يؤلمه بشكل كبير. وعندما أوقظه زكي في الصباح وجد نفسه وحيداً في الفراش، إذ يبدو أن الفتاة ذهبت، أحس برأسه يكاد ينفلق من الصداع لبس ثيابه وطلب له زكي سيارة تاكسي وأوصلته إلى شقته. وبعد أربعة أيام اتصل به زكي مجدداً يسأله:

ـ هل استمتعت بالسهرة؟

ـ كانت جميلة جداً والفتاة كانت أجمل.

ـ بسيطة. هل أنت على استعداد لسهرة أخرى مثلها؟

ـ بالتأكيد. متى؟

ـ عند جماعة أصحابي.

ـ أوكي. لا مانع من أن نتقابل.

ـ سأمر عليك في الثامنة مساء. انتظرني أمام عمارتك، في ضاحية لندن.

في الثامنة مساء نزل طارق ليجد زكي بانتظاره في السيارة حيث توجه به إلى إحدى ضواحي لندن. توقفا في شارع جانبي وتمشيا حتى وصلا إلى عمارة من أربع طوابق. دق زكي الجرس ففتح الباب ودخلا حتى وصلا إحدى الشقق قرع الجرس وما إن فتح باب الشقة حتى رأى طارق ثلاثة رجال وثلاثة نساء، ليس بينهم أي شخص ممن كان في السهرة السابقة، الفتيات جميلات والدخان يملأ الغرفة. شرب معهم وانبسطت أساريره وهو لا يصدق وجوده في مثل هذا الجو شعر بالامتنان لزكي وهو يميل عليه قائلاً:

ـ أراك معجباً بجانيت خذها إلى تلك الغرفة. ستجد فيها سريراً كبيراً. واعتبر نفسك كأنك في بيتي، فهم أصحابي المخلصين.

كان يريد مثل هذه الإشارة من زكي، فجانيت جاهزة. ضحكت وهي تقوم معه إلى الغرفة. وفي الساعة الثالثة فجراً كان زكي يوقظه:

ـ قم، هل تريد أن تنام هنا عند الجماعة؟

نهض بتثاقل شديد، فالصداع يكاد يمزق رأسه، إنه يشرب باستمرار ولم يحدث له أن شعر بمثل هذا الصداع، فتح عينيه بصعوبة ليجد الفتاة تغط في النوم بجواره، حاول أن يلبس ثيابه فلم يستطع، ساعده زكي وهو يقول ضاحكاً:

ـ إذا لم تكن قد المشروب فلا تكررها.

لم يكن في حاله تلك قادراً على الإجابة، فسكت مع أنه ود أن يخبره بأنه يشرب عادة أضعاف ما شربه في تلك الليلة ولا يحدث له شيء من هذا القبيل.

هذه المرة أوصله زكي بالتاكسي إلى شقته وأدخله إلى سريره قبل أن ينصرف، كما كاد ينسى أحلام بعد أن فتح له زكي أجواء جديدة، وبعد أن جاء زوجها إلى لندن، فكانت تتصل به بين الحين والآخر معاتبة:

ـ طارق، أوعى تكون صاحبت امرأة غيري.

فيرد عليها قائلاً: «وهل هذا معقول يا أحلام».

وكان حين يذهب زوجها إلى الملهى يذهب هو إلى شقتها ساعة أو ساعتين ثم يخرج.

ـ مفاجاة صاعقة:

خفق قلبه بعد أن أخبره زكي بعد أيام أن مندوب شركته في بلجيكا وصل إلى لندن مع زوجته ويجب أن يعرفه عليه، وكم فرح عندما جاء زكي يصطحبه بسيارته إلى إحدى الشقق المفروشة في لندن، حيث وجد هناك مندوب الشركة في بلجيكا وزوجته التي تقترب من الأربعين، رحب المندوب بطارق كما رحبت به الزوجة بحرارة، بعد برهة دق الجرس ودخل شاب رياضي، تحادثوا قليلاً وتعارفوا قبل النهوض إلى مائدة العشاء فعرف أن الزوجة التي جلست بجواره إسبانية حدثته عن ماضي العرب وأماكنهم في إسبانيا، بعد عشاء وضعت موسيقى صاخبة وبدا أنها ثملت فقامت

ترقص بينما زكي والبلجيكي يتحدثان همساً فانزعجا من صوت الموسيقى، فقال لها زوجها: «اخفضي الصوت قليلاً».

فردت عليه بغضب: «أنا أحب هذه الموسيقى وأريد أن أرقص عليها مع طارق»!

فقال الزوج: «حسناً خذي الموسيقى وطارق واذهبا إلى إحدى الغرف».

كانت المرأة تنتظر مثل هذه الإجابة فأخذت المسجل وقالت لطارق:

هيا بنا.

ذهب معها طارق إلى إحدى الغرف وأخذا يرقصان وهما في قمة النشوة بينما زكي وزوجها يتحدثان في الصالون على راحتهما.

فتح عينيه في الفجر بصعوبة على زكي وهو يهزه بقوة قائلاً:

ما هذا يا طارق؟ الرجل نائم في الصالون وأنت هنا مع زوجته. هيا بنا، قم بسرعة.

نهض برأسه المتعب وجسده الثقيل يجر قدميه حتى كاد زكي أن يحمله إلى التاكسي.

ومرت أيام لم يدعه زكي إلى سهرة جديدة ولا حتى غداء.

كان يتصل به باستمرار ويسأله عن نفسه وأحواله وعن الصداع الذي يصيبه، خصوصاً أن طارق صار يتقيأ بين الحين والآخر والصداع لا يفارقه.

بعد أسبوع دعاه زكي إلى الغداء، وفى البداية سأله عن حاله، ولما لعن طارق الصداع قال له زكي:

ـ إنه المشروب والأفضل أن لا تشرب.

فرد طارق: ليس المشروب، فأنا معتاد عليه في بيروت.

سأله زكي: هل تعرف ضباطاً في منظمة التحرير الفلسطينية؟

دهش طارق وتسارعت دقات قلبه للسؤال الغريب المفاجئ. وبشعور عفوي رد قائلاً باقتضاب:

ـ لا.

فقال زكي:

ـ لا بد أنك تعرف بعضهم أو أحدهم على الأقل.

تمالك طارق زمام نفسه وهو يسأل:

ـ لماذا؟

فقال زكي بحزم وهو يرمقه بحدة:

ـ من الأفضل لك ولنا أن تعرف أحدهم.

ـ من أنت؟

فقال زكي بهدوء:

ـ نحن «الموساد» المخابرات الإسرائيلية!

صعق الفتى ولم يعطه زكي وقتاً كافياً ليفيق من صدمته، إذ أخرج من جيبه مغلفاً كبيراً ألقاه أمام طارق وخرج. ففتح طارق

المغلف بسرعة ووجد مفاجأة صاعقة في داخله فمادت الأرض تحت قدميه. ماذا في المغلف وما هي المفاجأة؟

ـ العملية الأولى في بيروت:

صعق طارق وصار الدم يجري في عروقه كالعجين، فهذا زكي الرجل الخمسيني الطيب يتحول فجأة إلى ذئب كاسر، شعر بأن المغلف يحتوي على مصيبة لكنه لم يجد بداً من فتحه، خصوصاً وأن زكي قد ذهب وتركه وحده يبلع ريقه ومرارته وخوفه، فقد هزته كلمة الموساد وأصابته بقشعريرة في الجلد والدم.

مد يده وتناول المغلف وفتحه فإذا هو يحتوي على صور له في أوضاع مخجلة، ها هو يظهر بوضوح في الصور في مواقف شاذة مع شباب ورجال أجانب، تذكر الشاب الرياضي في سهرة المندوب البلجيكي، هذا هو نفسه الذي يقف خلفه في ذلك الوضع الشاذ الذي يعرق له الجبين.

أخذ طارق يرتجف بشكل لا إرادي، خرج من المطعم حاملاً المغلف بيده وهو لا يدري كيف حصل ذلك، كل ما يذكره أنه كان يختلي بالنساء في تلك السهرات فكيف يجيئه الرجال من حيث لا يدري ولا يعرف؟ تذكر وجع الرأس الذي كان يصيبه في السهرات الحمراء تلك، مشى وحيداً في الشوارع، تسكع بلا هدف، رأسه يكاد ينفجر، فقد خيل إليه في لحظة أنه نسي شذوذه واسترد شيئاً من رجولته الضائعة. لا أحد في لندن يستطيع أن يتحدث معه في مثل هذا الموضوع. خطرت أحلام في خاطره، وظن أنه يستطيع أن يحدثها في ذلك الأمر، وكيف ضُحك عليه

وكيف خُدع، لكنه اكتشف، بعد إمعان في التفكير أن أحلام هي التي تقف خلف ما حدث له، فقد تذكر ما قاله أخوها إبراهيم من أنها اتهمت بالتعامل مع المخابرات الإسرائيلية، وحاول أن يربط التفاصيل الصغيرة بعضها مع بعض، فهل انقطع الرجال في لندن لتأتي به من بيروت على حسابها وتسكنه في شقة في عمارتها وتدفع له الإيجار والمصاريف، ولا تراه إلا نادراً؟ هل يعقل ذلك، أم أنها هي التي دبرت كل شيء، وهي على اتصال بزكي منذ البداية؟

أحس بأن الأرض تدور به، ولا بد أنهم وضعوا له مخدراً في الطعام والمشروب. وإلا ما معنى الوجع الحاد في الرأس وعدم قدرته على الوقوف ولبس ثيابه لدرجة أنه يحتاج لمساعدة زكي كي يلبسه البنطلون؟

وصل طارق إلى شقته، وألقى بنفسه على السرير بكامل ثيابه، حاول أن ينام فلم يستطع. نهض، تمشى في الغرفة جيئة وذهاباً. صنع فنجاناً من القهوة وشربه، لكن رأسه ظل يدور. صب لنفسه كأساً من الشراب وتناوله دفعة واحدة، واتبعه بثاني وثالث وارتمى على السرير يبكي ويبكي. ود لو أنه يستطيع قتل نفسه ويرتاح فيريح أهله من الفضيحة والإحراج فماذا لو وصلت هذه الصور إلى أهله؟ ما الذي يفعله أبوه وأخوته؟ ضرب رأسه بيده وهو يبكي. فكر في أن يصعد إلى شقة أحلام فيخنقها بيديه، فهي السبب وعاد شريط لقائه بها إلى ذاكرته منذ البداية في مطعم نصر، ولم يصدق أن ذلك اللقاء كان مرتباً. كيف يعرفون كل ذلك؟ وسرح تفكيره في الرسام، هل هو أيضاً مخابرات إسرائيلية؟ وسعيد والآخرون؟ ولم يصدق.

ثم فجأة، رن الهاتف، فظن أنها أحلام، ولم يكن في حالة تساعد على الحديث، فلم ينهض. لكن الهاتف ظل يرن بإصرار فقام متثاقلاً. رفع السماعة قائلاً:

هالو.

وجاء الصوت قوياً حاداً كالمسمار:

ـ كيف حالك اليوم؟

كان زكي على الخط. فوجئ طارق به ولم يدر كيف يرد عليه، فصمت ولم يجد جواباً. هل يقول له أنه بخير، أم يشتمه؟ ولم يتركه زكي في حيرته طويلاً فاستطرد:

ـ اسمع. أريدك في مكتبي الآن.

فقال طارق بذلّ: وأين مكتبك؟

فقال زكي: ستعرفه لو فكرت قليلاً واستعملت عقلك.

حاول أن يفكر، إلا أن رأسه كان مزدحماً بالأفكار المتناقضة والغضب المكتوم فقال:

ـ لا أعرف. أين مكتبك؟

فرد عليه زكي: فكّر.

ولم يكن بحاجة للتفكير فعلاً. تذكر أنه يكلم زكي، ضابط المخابرات الإسرائيلية فقال: تقصد سفارتكم؟!

فقال زكي ببرود: برافو. هل تعرف العنوان؟

فأجاب بسرعة: لا.

فقال زكي:

- عندك في الشقة دليل التلفون. ابحث عن اسم السفارة وستجد العنوان. خذ تاكسي على الفور، وقل لهم على الباب أنك تريد مقابلتي وأن اسمك فلان.

- في السفارة الإسرائيلية:

وضع طارق السماعة وتناول دليل التلفون وأخذ يبحث تحت باب «سفارات» عن السفارة الإسرائيلية حتى وجده، فقام على الفور وأوقف سيارة تاكسي وقال لسائقها:

كنزغتون من فضلك.. بالاس غرين! وحين رأى علم السفارة الإسرائيلية قال للسائق:

هنا من فضلك.

دفع الأجرة وأخذ يتطلع حوله نحو الباب الرئيسي ضغط على الجرس قائلاً في «الإنترفون» أريد مقابلة زكي، فوق رأسه رأى كاميرا مثبتة تطلع فيها لحظة فإذا بالباب يفتح أوتوماتيكياً، دخل الحديقة ومنها عبر إلى حجرة صغيرة يقف في بابها رجل يحمل في يده آلة. فتشه الرجل بيديه وبالآلة تفتيشاً دقيقاً، ثم أخذ منه علبة السجائر ففتحها وأخرج محتوياتها ثم تحسسها قبل أن يعيد إليها السجائر وكذلك فعل بالولاعة فتحها وتفحصها ثم أعادها إليه وهو يشير إلى رجل أمن آخر يجلس في الغرفة على أحد المقاعد الصغيرة، وهو الذي قال لطارق: اتبعني، فتبعه إلى غرفة أخرى قبل أن يصعد إلى أعلى. وأمام أحد الأبواب المغلقة وقف رجل

الأمن وخلفه طارق، قرع الباب قبل أن يفتحه، فإذا زكي يجلس أمام مكتبه. وما إن رأى طارق حتى نهض وهو يبتسم ماداً يده مصافحاً، في الوقت الذي انصرف فيه رجل الأمن. مد طارق يده بفتور وخجل مذل وصافح الذئب الضاحك، الذي أجلسه على كرسي أمام مكتبه وهو يقول:

ـ كيف حالك؟

فقال طارق بانكسار:

ـ أريد «نيغاتيف» الصور.

ضحك زكي الذي كان يشعر بفرح غامر في داخله لطلب طارق ومجيئه إليه في السفارة. فقد تيقن أن الفتى وقع الآن، فعدا عن الصور الشاذة أصبحت لديه الآن صور لطارق على مدخل السفارة وفي غرفة رجال الأمن وفى مكتبه أيضاً. فقال لطارق:

ـ وماذا تريد من «النيغاتيف»؟ إنه محفوظ في أمان.

فقال طارق وهو يغالب دموعه:

ـ لماذا فعلت معي هذا؟

فقال زكي وهو يبتسم بلؤم:

ـ وما الذي فعلته معك؟ لقد فعلنا معك ما تريد وما تحب، ألم تفعل ذلك في بيروت برضاك؟ أما إذا كان خوفك من الصور والنيغاتيف فلا تخف لأنها لم تصل إلى يد أي مخلوق إذا ما تعاونت معنا بإخلاص، أما إذا حاولت أن تلعب بذيلك فسوف تصل منها نسخ كثيرة إلى أهلك وكل أصدقائك ومعارفك.

ـ وماذا تريد مني؟

ـ لا أريد الكثير، ولكنني أريد الحقيقة. وأريدك أن تتعامل معي بصدق وإخلاص. ثم تناول من فوق مكتبه دفتراً كبيراً وقلماً وقال لطارق:

ـ خذ هذه واكتب الآن كل شيء عن حياتك، منذ كنت في المدرسة وإلى أن أتيت إلى لندن. يعني لا تنسى شيئاً منذ خلقت حتى هذه اللحظة، كعلاقتك مع الرسام والأثرياء العرب في بيروت والمنظمات الفلسطينية.

ذهل طارق لمعرفة زكي بكل هذه الأمور عنه. إنه لم يذكر له أي شيء عنها. وتذكر أن أحلام هي الفتاة التي كانت تتسقط أخباره، والتي منها يأخذ زكي المعلومات عنه. فقال:

ـ إذا كنتم تعرفون كل ذلك عني فلماذا تريدني أن أكتب لك كل شيء؟ ما الذي ستستفيده؟

نهض زكي عن مقعده وهو يقول بحزم:

ـ ابتداءً من هذه اللحظة أنت لا تسأل ولا تستعمل كلمة لماذا أبداً. عليك أن تنفذ فقط ما يقال لك.

هاج صدره بالغضب! وانكب على الورق يكتب كل شيء عن حياته وأهله وعلاقاته ومخازيه بالتفصيل.

وما إن انتهى من الكتابة حتى دفع بالأوراق باتجاه زكي الذي رمقه بنظراته النافذة قائلاً:

ـ نريدك أن تذهب إلى بيروت وتعود إلينا بعد شهر، وإياك أن

لا تعود معتقداً أنك هناك في أمان بعيداً عنا. يجب أن تعلم أن يدنا طويلة لو كنت في آخر الأرض أو تحت الأرض، فاهم؟!.

- بداية اللعبة:

أومأ طارق برأسه وهو يفكر كيف وقع في هذه الورطة! كان ينظر بعينه نحو المستقبل فلا يجد لنفسه خلاصاً. لقد وقع في الفخ. وها هو قد كتب لهم كل معارفه من أثرياء وغير أثرياء. هل سيبتزونهم أيضاً كما ابتزوه؟ وهل سعيد عميل لهم؟ وإذا لم يكن، فمن المؤكد أنهم يسعون إليه ويوقعونه بالفخ كما أوقعوه، وسيوقعون الكثيرين، «تباً لهم من شياطين أوغاد» يلبسون لبوس الأصدقاء ويتقنعون بالطيبة، يتكلمون لغتنا العربية ويتقنون لهجاتنا المختلفة. يبحثون عن نقاط ضعف فينا، ويضربون ضربتهم. ها أنا قد خسرت الكثير لكن بقي لي أن صورتي لدى أهلي ما زالت نقية، فلأحافظ على هذه الصورة في عيونهم على الأقل، لأن أمي وأبي سيموتان قهراً لو عرفا أنني شاذ، وأبي قد يقتل نفسه قبل أن يخرج إلى الشارع ليراه الناس فيتضاحكون عليه وهم يشيرون إليه بقولهم: هذا أبو طارق المسكين ابنه كذا وكذا. وأخوتي، ماذا سيفعلن؟ وهل سيتركهن الناس في حالهن؟ سيقولون الكثير وسيقلبون حياتهم إلى جحيم. أيا ليتني خلقت بنتاً قبل هذا الأمر، فرّت الدمعة من عينيه وهو يتذكر أهله فرداً فرداً.

ولم يفكر طارق في أهله كيف سيكون حالهم فيما لو عمل مع المخابرات الإسرائيلية واكتشف أمره؟ ما الذي سيحصل لوالده حين

تظهر حقيقته كجاسوس خائن لأمته وأهله وعروبته ووطنه إضافة إلى شذوذه؟

كان كل همه محصوراً في الحاضر. إذا لم يتعاون فإنهم سيرسلون صوره الخليعة إلى أهله وأصدقائه ومعارفه. فأين يضع رأسه بعد ذلك؟ كان المهم عنده في تلك اللحظة أن يستر الحاضر وواقعه المخجل تاركاً المستقبل للأيام، والمخابرات الإسرائيلية وقدرتها على كتمان السر والمحافظة على عملائها. وأخرجه زكي من تأملاته قائلاً:

اسمعني جيداً، منذ الآن سيكون اسمك جونسون، واتصالاتنا ستكون سرية، فحين تصل إلى لندن، ابحث عن تلفون السفارة في الدليل. لا تحمل الرقم معك أبداً، وعندما ترد عليك عاملة الهاتف في السفارة قل لها أنا جونسون وأريد زكي. وأعطها رقم هاتفك ولا تزد. فاهم؟

أومأ طارق برأسه وعلامات القرف ترتسم على وجهه لقول زكي «يا شيخ المشايخ».

وتابع زكي:

لكنك ستعطيها رقم هاتفك بالشيفرة حتى إذا ما سمعه أحد لن يفهم منه شيئاً، وسوف نعلمك طريقة الشيفرة في الوقت المناسب. وبعد أن تترك هذه الرسالة القصيرة مع عاملة الهاتف لا تفعل شيئاً ولا تحاول الاتصال لأنني سأتصل بك في الوقت المناسب لترتيب موعد للقائنا. ويجب أن تتقيد بكل ما أقوله لك لأنه ضروري لأمنك وحمايتك.

بدأ طارق يدخل في اللعبة. فقد استهوته مسألة الشيفرة، وهذه التعقيدات المخابراتية وظن أنه سيكون جاسوساً من نوع جيمس بوند، وعاود زكي يقول: حين تذهب إلى بيروت، أريدك أن تفتح عينيك وأذنيك جيداً، وتتعرف على الضباط الفلسطينيين في منظمة التحرير الفلسطينية. وأي ضابط تعرفه أو تتعرف عليه، ادرس أحواله جيداً: كيف يفكر وكيف يعيش؟ وهل هو متزوج أم أعزب؟ وكم عدد أولاده؟ وما هي أسماؤهم وأعمارهم؟ وزوجته كيف تعيش؟ وأهله وأقرباؤه؟ وكم يتقاضى راتباً؟ وكيف يصرف على نفسه وعمله وعائلته وهواياته؟ وأي الصحف يقرأ؟ وما هي الأخبار التي تهمه؟ وإذا قرأ خبراً في صحيفة هل يناقشه أو أنه يأخذه كما هو؟ ثم هل هو متزن أم متهور؟ وأصدقاؤه؟ كل ما يمكن أن تجمعه من أخبار يا شيخ المشايخ. فهمت؟

مرة أخرى أومأ طارق برأسه قبل أن يستطرد زكي قائلاً: افعل هذه الأمور البسيطة، دون أن تلفت إليك الأنظار.

ثم فتح زكي درج مكتبه وأخرج منه مظروفاً أصغر متوسط الحجم ألقاه أمام طارق قائلاً:

- إلى اللقاء بعد شهر يا شيخ المشايخ، ولا تنس أن اسمك في الهاتف جونسون.

- إلى بيروت:

وصل طارق إلى بيروت وهو يفكر طيلة الوقت بالنقيب خليل، مسؤول أمن «13» في الحمراء. وحين توجه إليه في صباح اليوم التالي، أحس برجفة تسري في بدنه، وحين عانقه تمنى لو أنه

يستطيع إخباره بكل شيء لكنه فكر في شذوذه وفي الصور التي يحتفظ بها زكي، وفي أهله، فعدل عن تلك الرغبة التي راودته للحظة. شربا قهوة في المكتب وتحدثا عن لندن ونسائها والحياة فيها، ثم عن بيروت وأحوالها. وعرجا على الأمور الشخصية فتحدث خليل عن الشؤون المادية. وعند الظهر ذهبا إلى المطعم الصغير الكائن في جوار مبنى جريدة «النهار» حيث تناولا الغداء وتواعدا على اللقاء في اليوم التالي.

تعددت اللقاءات، وتعددت الخدمات بينهما، صارا صديقين حميمين يتغديان معاً ويلعبان «الفليبرز» معاً.

وكان خليل دائماً يبدي استعداداً لحماية طارق من كل مكروه. حدثه عن زوجته الأولى وعن أولاده، وزوجته الحالية، بل إن خليل دعا طارق إلى فنجان قهوة في غرفته التي يستأجرها على السطوح، حيث تعرف على زوجته اللبنانية الحالية وأدرك طارق أن أحوال خليل المادية ليست على ما يرام.

حان موعد السفر إلى لندن، تأمل طارق المعلومات التي سيأخذها معه فوجد أنها تافهة ولا تستحق. فكل ما لديه من معلومات لا تتعدى الشخصية.

فهو ضابط في منظمة الصاعقة.. الجنسية فلسطيني، متزوج مرتين وله ولد واحد.. مسؤول الأمن في مكتب «13» عن منطقة الحمراء ومتهور وقراءته قليلة جداً ولا يناقش الأمور، وأية أخبار تصله ينقلها كما هي ولا يحلل أخبار الجرائد. ولا يحاول النظر في العمق ولا في ما هو أبعد، يقضي أكثر من أربع ساعات يومياً في

لعب «الفليبرز» فهل هذه معلومات تستحق أن تدفع فيها إسرائيل كل هذه المصاريف من تذاكر وسفر وشقق في لندن ومشروب ونساء ودولارات؟ وللحظة، اعتقد أن الإسرائيليين أغبياء وإن في «الموساد» ضباطاً كل همهم تسجيل مواقف وأعمال تبريراً لما يلهفونه من فلوس. فإذا أعطاه زكي 350 دولاراً، فإنه بالتأكيد يكون قد سجل أنه أعطاه 2500 دولار.

في مطار هيثرو ركب قطار «الاندرغراوند» إلى نايتسبردغ. ومن هناك استقل سيارة تاكسي إلى العمارة التي كان يسكن فيها حيث وجد شقته في انتظاره، إيجارها مدفوع والبواب يحتفظ له بالمفتاح.

تمدد في الشقة قليلاً ثم نهض واغتسل ونزل إلى الشارع يبحث عن هاتف عام. اتصل بالسفارة قائلاً:

«أنا جونسون وهذا رقم هاتفي... أريد أن أتحدث مع زكي لو سمحت». ثم أقفل الخط وعاد إلى الشقة ينتظر. حوالي التاسعة مساءً قفز من السرير كالملدوغ حين رن جرس الهاتف إذ يبدو أنه كان متعباً فغفا بعض الوقت، رفع السماعة فإذا زكي على الخط يقول له:

ـ «الحمد لله على السلامة يا شيخ المشايخ».

ورد طارق:

«شكراً. لقد وصلت اليوم إلى لندن. كم الساعة الآن؟»

فقال زكي:

ـ «الساعة التاسعة. بإمكانك أن تسهر هذه الليلة. وغداً تأتي إلى

مكتبي في كنزنغتون الساعة الخامسة بعد الظهر».

قال طارق:

«أوكي».

ثم سمع زكي يضع السماعة على الطرف الآخر لتنتهي المخابرة عند هذا الحد.

ـ تجنيد الضابط خليل:

في اليوم التالي كان طارق يقف أمام السفارة الإسرائيلية في حي كنزنغتون، ويضغط على الزر وبعد التحقق من صورته على الشاشة الداخلية، فتح الباب الحديدي الضخم ليدلف منه إلى غرفة التفتيش حيث خضع هنالك لإجراء روتيني قبل إدخاله إلى زكي الذي كان في انتظاره حسب الموعد المحدد.

نهض زكي من خلف مكتبه مرحباً بطارق وهو يبتسم قائلاً:

ـ «أهلا. أهلاً بشيخ الشباب، كيف الحال؟ وكيف الأهل وكيف بيروت؟»

رد طارق باقتضاب قائلاً: «الحمد لله، كلهم بخير».

ترى هل فكر طارق بقوله الحمد لله، كلهم بخير، أم إنها عبارة تقليدية؟ كيف يكونون بخير وكيف لمثله أن يحمد الله وهو يخون الله والوطن والأهل والأصحاب؟ يتركهم طعماً لمدافع إسرائيل وقنابلها العنقودية؟

ظل زكي يسأل طارق عن أخوته وأهله، وطارق يرد عليه بتلك الإجابات التقليدية. ثم بعد برهة تناول من جيبه ورقة المعلومات الجديدة التي أحضرها معه من بيروت، تناول زكي الورقة منه وألقاها على المكتب بلا اهتمام ثم نهض ليصافح طارق مودعاً:

«شكراً، غداً نلتقي الساعة الحادية عشر صباحاً في «الهايد بارك»، هل تعرف «الهايد بارك» جيداً؟

أجاب طارق «إلى حد ما».

«هناك كشك على مقربة من ركن الخطباء، هل تعرفه؟»

- أعرفه.

- حسناً. إذن موعدنا هناك.

في صباح يوم الموعد، كان طارق في تمام الحادية عشرة يقف أمام الكشك ويشترى لنفسه ساندويتش جبنة، فهو لم يتناول إفطاره بعد ولم يكن قد أنهى الساندويتش حين أطل زكي، الذي مشى أمامه وتبعه طارق على مقربة، وظل زكي يمشى ويدلف من شارع إلى شارع حتى دخلا في شارع فرعي باتجاه واحد. وحين وصل زكي إلى المقعد مباشرة دون أن يمر على موظف الاستقبال. في الطابق الثالث توقف المصعد وخرج زكي يحمل في يده مفتاح الغرفة رقم 35. فتح باب الغرفة ودخلا. ثم انحنى زكي وتناول حقيبة صغيرة بنية اللون من تحت السرير ناولها إلى طارق قائلاً:

«خذ هذه الحقيبة وفتشها جيداً».

وتناول طارق الحقيبة وأخذ يبحث عما فيها فلم يجد شيئاً فأعادها بقوله: «لا يوجد فيها أي شيء».

فقال زكي: «تفحصها جيداً».

وأعاد الفتى تفحص الحقيبة فلم يجد فيها أي شيء فقال: «ماذا تقصد؟ قلت لك أن الحقيبة فارغة».

ـ ألم تلاحظ عليها أي شيء.

فأومأ له بالنفي وهو يحاول أن يجد شيئاً ما في الحقيبة، عندئذ ابتسم زكي وهو يقول: «هذا هو التفتيش الطبيعي، ومن الصعب اكتشاف هذا المخبأ السري فيها في الموانئ والمطارات. هذه هي الحقيبة السرية يا شيخ المشايخ».

وحين فتح له المخبأ السري وعلّمه طريقة فتحه وإغلاقه، ناوله ورقة أسئلة جديدة ومبلغ 3000 دولار نقداً.

ثم قال له: «هذا المبلغ حاول أن تقرض خليل منه شيئاً ثم طالبه بالمبلغ ولا تلح عليه، فإذا ما عجز عن السداد أعطه ورقة الأسئلة ليجيب عليها في مقابل الفلوس. فإذا سألك عن الجهة التي تريد هذه الإجابات قل أنها مخابرات حلف شمال الأطلسي».

ـ «حلف شمال الأطلسي؟» ردد طارق باستغراب ودهشة.

فقال زكي: نعم، حلف شمال الأطلسي. وناوله تذكرة سفر والحقيبة السرية وهو يقول: «لا تحاول أن تهرب بالفلوس أو تتهرب. لأننا نستطيع الوصول إليك أينما كنت، ثم لا تنس أن الصور مسوداتها موجودة لدينا».

فرد طارق بصوت منخفض: «لا تخف».

هكذا كان ضابط الموساد يتعامل مع طارق ويستعمل معه التهديد تارة واللطف تارة، حتى أصبح مسيطراً على الفتى تماماً، إذ كان خالي الوعي والإدراك مما تفعله يداه من تخريب في أمن الثورة الفلسطينية وأمن بلده. كل ما كان يعنيه في البداية تلك الصور التي التقطوها له في أوضاع مخجلة يندى لها الجبين، وكان كل همه أن لا يندى جبين أبوه ولا جبين أي من أهله وعائلته أمام الناس إذا ما عرفوا حقيقته وبالإضافة إلى الصور كان هناك العامل المادي الذي لعب دوره في عمالة الفتى وتجنيده للعمل مع العدو فالدولارات التي تأتي من إسرائيل بلا تعب. وهذه السفرات إلى أوروبا التي يعلم بها مجايلوه من الشباب، عملت عمل السحر في عقله.

ـ خطة تجنيد خليل:

قضى طارق ثلاثة أيام أخرى في لندن يتسكع في الشوارع والحانات حتى لا يثير الشبهات بعودته السريعة إلى لبنان. وفي اليوم التالي لوصوله إلى بيروت توجه في الصباح إلى شارع الحمراء حيث عرج على مكتب أمن «13» التابع للـ «الصاعقة». استقبله خليل بترحاب كبير، وبعد فنجانين من القهوة بدأ خليل يشكو من صعوبة الأحوال المادية، ومصاريف العائلة والأولاد.

فقد خيل لضابط الصاعقة أن طارق غني إذ يتاجر بالملابس ويسافر إلى أوروبا. وقد أدرك طارق أن صديقه خليل مخدوع به فدعاه إلى الغداء في مطعم «اللامب هاوس» ليعمق من هذا الانطباع في نفس الصديق الضابط.

وهما على الغداء طلب الضابط من طارق أن يقرضه ألف ليرة لحاجته الماسة، فقال طارق:

«ولو يا خليل! بسيطة. غداً يكون المبلغ معك».

ويبدو أن خليل استمرأ عملية الاستدانة من طارق ظاناً أنه، جبل مالي، لا تهزه الريح، فصار في كل أسبوع يطلب منه معتذراً عن عدم التسديد ـ مبالغ إضافية تتراوح من 100 إلى 500 ليرة حتى صار مجموع ما اقترضه قبل نهاية الشهر ينوف على 3000 ليرة. وذات يوم كانا يتغديان في مطعم «العجمي» حين قال خليل لطارق:

«طارق. أرجوك أن تعذرني على عدم تسديد المبلغ كله لك، فأنا لا أستطيع ذلك خصوصاً وأنك تدرك حالتي المادية جيداً».

فقال طارق: «ولا يهمك، أنا لا أريد منك أي شيء. وبإمكانك أن تنسى تماماً أن لي ديناً عليك. بل أنا مستعد لإعطائك المزيد».

دهش خليل لرد صديقه، ولم يعرف كيف يشكره، كان طارق يبتسم وهو يرى خليل يبحث عن كلمات الشكر المناسبة. ولما سكت خليل عاجله طارق بقوله: «أريد منك خدمة صغيرة؟»

فقال خليل: «أنت تأمر».

مد طارق بيده إلى جيبه وأخرج منها الورقة التي أعطاه إياها ضابط الموساد زكي وناولها إلى خليل قائلاً:

«اقرأ هذه الأسئلة جيداً، وانظر إذا كنت تستطيع الإجابة عليها».

قرأها خليل بسرعة ونظر في وجه طارق قائلاً: «بس هيك؟!»

فقال طارق: نعم. بس هيك. وإذا أجبت عليها بدقة فستحصل على المزيد من الفلوس.

أعطني مهلة يومين فقط وستكون الإجابات جاهزة تماماً.

فكر طارق في مهلة اليومين هذه وخشي أن يقوم خليل بإطلاع المخابرات الفلسطينية أو مخابرات «الصاعقة» أو مخابرات بلده فأراد أن يجس نبضه فقال بلا اكتراث: «بإمكانك إطلاع الجماعة على الأسئلة».

فقال خليل بحزم: «مستحيل. إذا عرفوا فسيكون أحد الأمرين: إما مصيبة أو أن يأكلوها هم ونخرج نحن من المولد بلا حمص».

ضحك طارق إذ أدرك أن خليل مستعد لكل شيء في سبيل الفلوس. وحين سأله خليل مستفسراً. «لمن هذه الأسئلة؟»

أجاب طارق ببساطة: «حلف شمال الأطلسي».

كانت الأسئلة عادية وعامة ومعروفة للجميع في لبنان، مثل: من هو أمين سر «الصاعقة»؟ وكم عدد الأعضاء فيها؟ ومن هو مسؤول الإعلام؟ وعدد القوات والميليشيا ونوعية تسليح كتائبها ومسؤول الأمن؟ فالغرض من الأسئلة اختباري من حيث المبدأ. و«الموساد» لا تحتاج إلى هذه المعلومات، إنها تعرفها جيداً وملفاتها مليئة بالأسماء والمعلومات عن محل المنظمات الفدائية.

بعد يومين كان خليل جاهزاً للإجابات المطلوبة التي كتبها بخط يده في سبع صفحات فلسكب، فقد كان يطمع في إرضاء طارق

ومن وراءه على أمل زيادة الدفع، فتوسع في الإجابة وأطنب، وكان ما ذكر إجابته قوله:

الكتائب: توجد كتيبة في الشمال، وكتيبة ثانية في البقاع وثالثة في صيدا ورابعة في بيروت.

تصفح طارق الإجابات قليلاً ثم ناول خليل مبلغ ألف ليرة، لكنه طلب منه أن يعطيه إيصالاً بالمبلغ، ولم يتردد النقيب خليل لحظة واحدة إذ تناول ورقة من على المكتب وكتب فيها «أنا الضابط خليل، تسلمت مبلغ 4000 ليرة لبنانية فقط لا غير من مخابرات حلف شمال الأطلسي»، ثم دون التاريخ واسمه مرة ثانية ووقع الورقة دون أن يرف له جفن أو يفكر في العواقب.

ولدى وضع ورقة الإجابات في جيبه، انتهت مهمة طارق في بيروت، فأخبر صديقه خليل بأنه مسافر وسوف يعود بعد بضعة أيام. وفي اليوم نفسه الذي وصل طارق فيه إلى لندن اتصل بالسفارة الإسرائيلية حسب الإتفاق وترك خبراً لضابط «الموساد» زكي، الذي اتصل به في المساء نفسه حيث اتفقا على موعد في الصباح في السفارة.

كالعادة رحب زكي بطارق وسأله عن أهله وعائلته وبيروت وزاد بقوله: «وكيف وجدت الضابط خليل؟»

رد طارق: «بخير ويسلم عليك». ثم ناوله ورقة الإجابات والإيصال الذي سبق لخليل أن كتبهما بخط يده، وضع زكي الورقة أمامه على الطاولة وهو يسأل طارق: «قل لي، كيف وجدت مطار بيروت؟ هل فتشوك؟ وهل تعرف أحد من العاملين في المطار؟

فأجابه بأن كل شيء مر بسلام إذ لم يفتشه أحد، ومعرفته بالعاملين بالمطار معرفة سطحية ومعرفة عمل من بعيد منذ كان يعمل في شركة السفريات.

بعد ذلك طلب زكي أن يحدثه بالتفصيل عن لقائه بالنقيب خليل، فشرح له طارق كل شيء لينهي زكي اللقاء الطويل بقوله:

«حسناً جداً، إذهب الآن إلى شقتك وسأتصل بك غداً أو بعد غد».

خلال هذه الفترة كانت أحلام قد غادرت لندن برفقة زوجها إلى نيجيريا، فلم يجد طارق ما يفعله غير التسكع في الشوارع والحانات الكثيرة، إلى أن اتصل به زكي ليعطيه ورقة أسئلة جديدة لخليل بعد أن أوصاه: «قل لخليل أن لا يبالغ وأن يلتزم الدقة في الإجابات وإلا سنقطع تعاملنا معه، نحن نريد الحقيقة فقط لا غير، ولا داعي لاستغفالنا بقوله أن عدد أفراد ميليشيا «الصاعقة» 50 ألف رجل وعدد القوات 15 ألفاً. نحن نعرف كم هو حجم الميليشيا. نحن ندفع فقط مقابل الحقيقة».

لم يدرك طارق المغزى من دفع المخابرات الإسرائيلية لهذه المصاريف والمبالغ مقابل معلومات يعرفونها جيداً. لكنه لم يستمر في التفكير طويلاً فقد حسب زكي له حساب مهمته الجديدة ومصاريفها وحساب خليل ودفع مبلغاً آخر من المال، وقال له: «هذا لخليل وهذا لك. ولا داعي لأن تحضر في كل مرة إلى لندن. بإمكانك أن تذهب إلى أي بلد أوروبي وتتصل بسفارتنا هناك كما تفعل هنا تماماً وسوف أتصل بك كالعادة».

فالدور الذي تلعبه السفارات الإسرائيلية معروف. ومثال طارق الحمدان خير دليل على دقة التنظيم وبمجرد أن يتصل شخص ما بأي سفارة إسرائيلية قائلاً: «أنا اسمي جونسون وأريد أن أتحدث مع السيد زكي. . . أرجو أن تعطوه رقم هاتفي هذا ليتصل بي». هذا الخبر الصغير يوصل فوراً إلى إسرائيل، حيث يحول إلى الدائرة المختصة بشؤون المخابرات الخارجية فتحلل الرسالة ويصار إلى إبلاغ الضابط المختص فوراً فيعرف واجبه تماماً.

وهكذا نفّذ طارق عدة مهمات بارزة لمصلحة «الموساد»، ولا مجال هنا لسردها كاملة، إلى أن أتت المهمة الأكثر دوياً في حياة طارق.

ـ اغتيال زهير محسن:

بعد عملية السفارة المصرية في أنقرة جرت اتصالات حثيثة بين «الموساد» ومخابرات دولة للتنسيق بينهما بهدف اغتيال زهير محسن.

في أوائل تموز/يوليو عام 1979 أرسل طارق إلى «الموساد» البرقية التالية: «سيسافر زهير محسن إلى منروفيا، وفي 23 تموز/ يوليو سيكون في مدينة نيس الفرنسية».

اختير زهير محسن رئيساً للوفد الفلسطيني في إجتماعات مؤتمر الوحدة الأفريقية الذي انعقد في العاصمة الليبيرية منروفيا، لمناقشة الوضع في جنوب أفريقيا والصحراء والشرق الأوسط وحرب أوغندا وتشاد وقمة دول عدم الانحياز التي عقدت فيما بعد. ولعل أهم

ما في مؤتمر منروفيا آنذاك حضور الرئيس المصري أنور السادات له، فقد كان بحاجة ماسة إلى دعم أفريقيا له نظراً للمقاطعة التي يعيشها نظامه مع الدول العربية. وقد وصل السادات إلى منروفيا وسط حراسة مشددة جداً لم تشهدها العاصمة الليبيرية في تاريخها. وكان رجال المخابرات المصرية قد سبقوا السادات إلى هناك، إذ وصلت في السابع عشر من تموز/يوليو 3 طائرات عسكرية مصرية محملة بهم، وكان السادات يدرك جيداً أنه سيواجه حالة عداء من بعض الرؤساء الحاضرين الذين يناهضون إتفاقيات «كامب دايفيد».

كانت مهمة رجال المخابرات المصرية تنحصر في اتجاهين:

1 ـ حماية الرئيس السادات.

2 ـ مراقبة الجهات المناهضة له.

في افتتاح القمة، أشار الرئيس وليام تولبار في خطابه إلى أن أفريقيا لا يمكنها أن تقبل في أي حال من الأحوال بوجود إسرائيل فوق الأراضي العربية المحتلة بقوة السلاح. كذلك أشار الرئيس موسى تراوري إلى الوضع المقلق في منطقة الشرق الأوسط وصرح بأن إتفاقيات «كامب دايفيد» الجزئية هي السبب في زيادة حالة التوتر.

في اليوم التالي للمؤتمر، وعندما نهض الرئيس السادات لإلقاء خطابه، خرج معظم رؤساء الوفود من القاعة، كرؤساء وفد تونس والجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا والصومال وجيبوتي ومدغشقر وبنين وموزمبيق وأنغولا، وانتهت القمة صباح الحادي والعشرين من شهر تموز/يوليو في جو معاد للسادات وإتفاقية الصلح المنفردة مع

إسرائيل، إذ صدر قرار عن القمة يندد بالمعاهدات المنفصلة واعتبرها عقبة تمنع الشعب الفلسطيني من تحقيق طموحاته الشرعية في تقرير مصيره واستعادة وطنه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، قائده الشرعي والوحيد، كما استطاعت القمة الأفريقية تلك عزل «كامب دايفيد» تماماً في أفريقيا. وواجه السادات عزلة خانقة، فهو لم يكن قد زار أية دولة سوى الولايات المتحدة وإسرائيل.

أما زهير محسن فقد حقق لمنظمة التحرير الفلسطينية إنتصاراً سياسياً كبيراً في أفريقيا على هذا الصعيد.

ولم يكن يدري أن هناك رقابة خفية تحصي عليه أنفاسه، علماً بأنه شعر بها، لكنه عزاها إلى الاحتياطات الأمنية التي اتخذتها ليبيريا لحماية الوفود، وإلى الحماية التي يوفرها جهاز الأمن الفلسطيني المرافق له.

ـ مصيدة كان:

من منروفيا توجه زهير محسن برفقة زوجته إلى مدينة كان في فرنسا مباشرة حيث استأجر هناك شقة في بناية «غري دالبيون» في حي لاكروازيت باسم مستعار، فقد كان ينوي الإقامة مدة شهر كامل.

وصار يقضي النهار مع زوجته في مشاهدة الأسواق والمتنزهات وزيارة الأماكن السياحية في تلك المدينة الناعمة.

ومساء الثلاثاء 24 تموز/يوليو خرج زهير محسن من الشقة وحده ليتعرف على ليل هذه المدينة. وطالت سهرته حتى الفجر

فعاد إلى «غري دالبيون» وضغط على جرس الشقة، فظهرت لزوجته صورته على شاشة الجهاز المتصل بجرس الباب ففتحت له ليصعد إليها، وما كاد يطرق باب الشقة حتى ظهر شخص كان مختبئاً على درج العمارة. التفت إليه زهير محسن بسرعة فأطلق الشخص النار على زعيم «الصاعقة» لتخترق الرصاصة القاتلة جبينه، منفجرة في رأسه. فسقط على الفور قتيلاً أمام عيني زوجته وصراخها، لتكون هي الشاهدة الوحيدة على عملية اغتيال زوجها.

أما بواب العمارة فقد شاهد شخصين أحدهما ملامحه أوروبية والآخر أسمر البشرة، ينطلقان في سيارة كانت متوقفة على مقربة من العمارة. وكانت علية زوجة البواب قد وصفت الشخصين للشرطة الفرنسية التي توصلت إلى أن القاتل ألماني الجنسية يعمل قاتلاً محترفاً أما السائق الذي كان يرافقه مجهول الجنسية، وكانا قد توجها قبل يومين من حادثة الاغتيال إلى شقة زهير محسن التي استأجرها باسم صديقه السفير اللبناني السابق في بلجيكا بحجة البحث عن عمل، فتعرفت عليهما الخادمة من صورهما.

وحمّلت سوريا إسرائيل مسؤولية اغتيال زهير محسن في بيان رسمي أما ياسر عرفات فقد أشار بعد تشكيله لجنة تحقيق ضمت كلاً من أبو الزعيم وماجد محسن ومحمد دغمان وأبو السعود إلى ضلوع مخابرات دولة عربية في اغتيال زعيم «الصاعقة»، الذي شيعت عشرات الألوف جنازته من مستشفى المواساة في دمشق إلى مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك، وكان الرئيس حافظ الأسد في مقدمة المشيعين.

ـ قبل الاغتيال:

قبل تنفيذ العملية كانت الموساد تلح على طارق وخليل بالسفر خارج بيروت إلى أية عاصمة أوروبية، فاختارا الإمارات، لكن خليل طلب أن يكون السفر إلى قبرص فقط لأن الدانمرك غالية وبعيدة، وقد يشك فيه رؤساؤه، وبالرغم من أن طارق أعطاه ألف ليرة لبنانية إلا أن خليل طلب من «أبو علي» 500 ليرة قائلاً له أنه يريد أن يرتاح عدة أيام في قبرص.

سافر خليل إلى قبرص بمفرده، ثم لحق به طارق في 20 تموز قبل حادثة الاغتيال بخمسة أيام فقط، فقد أرادت الموساد أن تؤكد نجاح العملية وتبعد هذين الاثنين عن بيروت وأن تورطهما أكثر.

في ردهة الصالون في فندق «كينيدي» في نيقوسيا التقى طارق بصديقه النقيب خليل فتحادثا وشربا معاً.

ثم نهض طارق واتصل بالسفارة الإسرائيلية حيث ترك خبراً لضابط الموساد زكي وعاد إلى الحديث مع النقيب خليل:

«هل تعرف يا خليل مع أي مخابرات تعمل؟»

ورد خليل: «طبعاً أعرف مع مخابرات حلف الأطلسي».

فقال طارق وهو يبتسم: «لا».

هز خليل كتفيه وهو يقول: «لا يهم أي مخابرات والسلام».

انزعج طارق من برودة صديقه وعدم مبالاته فقال: «إنك تعمل مع المخابرات الإسرائيلية».

ولاحظ طارق أن خليل لم يكترث ولم يرف له جفن، إنهم يدفعون باستمرار ويدفعون جيداً.

في المساء اتصل زكي بطارق مرحباً وسائلاً:

«هل أحضرت صديقنا معك؟»

«نعم. إنه في الحجرة المجاورة لحجرتي، وهو يجلس الآن بجواري».

«برافو عليك، هل أستطيع أن أتحدث معه؟»

قدم طارق السماعة إلى خليل قائلاً: «إنه يريد أن يتحدث معك».

«من هو»؟

«جورج».

كانت الأوراق دائماً تصل إلى خليل موقعة باسم «جورج» فتناول السماعة وهتف.

«ألو أهلاً بالأخ خليل، إن شاء الله مرتاح في نيقوسيا؟»

ورد خليل بشكل معتاد: «الحمد لله».

وقال زكي: «غداً سنراك أظن الساعة الخامسة؟»

أجاب خليل: «إن شاء الله».

في صباح اليوم التالي سمع طارق وخليل خلال الإذاعة خبر اغتيال زهير محسن في فرنسا في الوقت الذي كانا يتجهان لمقابلة ضابط «الموساد». كان خليل يخشى في قرارة نفسه أن ينتقم منه

الإسرائيليون لأنه جندي حارب في إحدى الجبهات العربية 1973 إبان حرب تشرين الأول/أكتوبر فقال لطارق:

«إسمع يا طارق، إذا سجنوني أو اعتقلوني قم بإبلاغ منظمة التحرير الفلسطينية وقل لهم أنهم خطفوني بالقوة. وإياك أن تتفوه بأي شيئاً عما قمنا به».

لكن زكي سرعان ما أراح بال خليل إذ استقبله بترحاب كبير وهو يقول: «يا عيب الشوم يا حضرة الضابط، هل نحن بلا مبدأ؟ أنت ضابط وأنا ضابط مثلك، ونحن نحترم الزمالة ولا ننتقم من أفراد. نحن عداوتنا مع دول وننتقم من دول. أما أنت معنا ونحن في خندق واحد».

لم يكن خليل يتوقع مثل هذا الاستقبال فانتهز الفرصة بعد دقائق قليلة ليقول لزكي:

«أنا مريض جداً، وأعاني من أمراض كثيرة في بطني وأذني وأماكن أخرى. هل تعالجونني؟»

أجاب زكي: «بس هيك؟ بسيطة، في «مستشفى هداسا» سيخلقونك من جديد».

ثم دار حديث حول السفر إلى تل أبيب والطب في إسرائيل وما إلى ذلك قبل أن يتذكر خليل مصرع زهير محسن فقال:

«ولو كيف تقتلون زهير محسن؟ خلاص قتلتوه ومات؟!»

سؤال فيه الكثير من السذاجة والكثير من الغباء، علماً بأن النقيب خليل لم يكن غبياً إلى هذا الحد، ولكنه كان بحاجة نفسية

لإلقاء مسؤولية القتل على جهة أخرى بعيداً عنه. وكان يتمنى لو أنه يسمع جواباً بالإيجاب، لكن زكي قال باستخفاف:

«نحن لم نقتل زهير محسن. لقد قتل زهير لانخراطه في أمور مادية ودنيئة ولو أن كل قيادات الفلسطينيين مثل زهير محسن لكنا نحن حميناهم. وأنت تعرف لأننا حين نقتل واحداً من زعماء المنظمات فإننا ننشر الخبر ونذيعه على العالم كله».

وبالرغم من كل الأوصاف السيئة والأعمال المشينة التي نسبها ضابط الموساد إلى الزعيم الفلسطيني زهير محسن، إلا أن الثلاثة كانوا يعرفون في قرارة أنفسهم أنهم مسؤولون عن اغتياله.

وفجأة توجه زكي إلى خليل بالقول: «إنني أفهم دوافع طارق للعمل معنا، ولكنني لم أفهم إلى الآن كيف وافقت أنت على العمل معنا بهذه السرعة؟»

فقال خليل: «في الواقع لو أنكم طلبتم مني أن أعمل ضد بلدي لترددت كثيراً! ولكنني وافقت على العمل معكم لأن سياسة «الصاعقة» لا تعجبني، بالإضافة إلى صعوبة حصولي على منصب كبير فيها».

في اليوم التالي طلب زكي من طارق أن يدفع أجرة الفندق عنه وعن خليل ويحزما أمتعتهما بعد أن يقول لموظف الاستقبال أنهما ذاهبان إلى لارنكا، على أن يأتي بجواز سفره وجواز سفر خليل وكل الأوراق اللازمة إلى مكتبه في السفارة الساعة الخامسة مساءً وأن لا يحضر خليل نفسه إلى السفارة، خذ جواز سفره ودعه ينتظر في مكان عام.

نفذ طارق الأوامر بحذافيرها في اليوم التالي، وترك خليل في محل الـ «فليبرز» ليمر على زكي في الموعد المحدد الذي أخذ منه جوازي السفر والأوراق التي طلبها. ثم ناول طارق جواز سفره الإسرائيلي وجواز سفر إسرائيلي جديد لخليل وتذكرتي سفر على إحدى البواخر المنطلقة من مدينة ليماسول.

عرَّج طارق على خليل في محل «الفليبرز» وقال له: «هيا بنا». خرجا من المحل وأوقف طارق سيارة أجرة طلب من سائقها أن يوصلهما إلى لارنكا، فوافق السائق الذي انطلق بهما بسرعة فائقة. وفي منتصف الطريق طلب من السائق أن يأخذ طريق ليماسول ولما استفسر السائق عن السبب قال طارق: «أعتقد أن ليماسول أجمل وهناك الكثير من السائحات على الشواطئ».

ـ نوم عميق:

في ليماسول نزلا أمام أحد الفنادق ونقد طارق سائق التاكسي أجرته، وانتظرا حتى غاب عن عينهما، ثم استقلا سيارة أجرة واتجها إلى الميناء. في الطريق سأل طارق خليل:

«هل يصيبك دوار البحر؟»

فرد خليل: «لا طبعاً، شو مفكرني أنا ضابط بحرية أساساً؟»

ابتسم طارق وهو يقول: «عظيم إذن».

عند حاجز الأمن، قال طارق لضابط التفتيش وهو يسلمه جوازي سفرهما «صديقي لا يجيد غير اللغة العربية» هز الضابط رأسه بلا اكتراث وسمح لهما بالدخول، فجلسا قرابة الساعة على

الرصيف أمام الباخرة قبل أن يعبر زكي ويصعد إلى ظهر الباخرة مشيراً لهما بأن يتبعاه وهو يحمل جواز سفره بيده.

فهم طارق الإشارة وتقدم من رجل الأمن على مدخل الباخرة حيث قدم له جوازي السفر فأدخلهما العسكري ليستلمهما زكي حيث أوصلهما إلى إحدى الغرف قائلاً: هذه الكابين لكما.

وانصرف زكي ليعود بعد قليل حاملاً مشروباً وسجائر، وجلس يتحدث معهما موجهاً اهتمامه إلى خليل.

تحدثوا عن البحر وحالة خليل المرضية، مما جعل خليل يستريح نفسياً حين قال له زكي: «سوف نعالجك في مستشفى هداسا على يد أمهر الأطباء في العالم لتعود شباباً من جديد».

بعد فترة نهض زكي مودعاً وهو يقول: «لا تخرجا من الكابين إطلاقاً فهناك على الباخرة طالبان من الضفة الغربية استقلا المركب من إيطاليا».

فما كان من خليل أن شرع في النوم كأنه في بيته، ليبدأ بعد دقائق عملية شخير مزعجة لم يستطع طارق أن يتحملها فخرج من الكابين في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وظل يتمشى ويراقب البحر حتى جاء عمال النظافة في الصباح فساعدهم، قبل أن يوقظ خليل في تمام الساعة السابعة حين بدا الشاطئ الفلسطيني من بعيد. خرج خليل من الكابين وتطلع حوله في البحر فوجد زورقين حربيين إسرائيليين يرافقان الباخرة التي بدأت تدخل في ميناء حيفا.

وبعد أن نزل جميع الركاب، نزل الثلاثة من الباخرة حيث

كانت هناك سيارة في انتظارهم. طلب زكي من سائقها واسمه ديفيد أن ينطلق بهم إلى تل أبيب. وبعد دقائق من إنطلاق السيارة قال زكي وهو يشير بيده: «هنا حصلت عملية الأوتوبيس التي قادتها دلال المغربي».

يا للمفارقة! الأبطال مروا من هنا بدمائهم وها هم الخونة يمرون. ورغم أن الملاحظة أثارت في الاثنين حب الاستطلاع إلا أنهما مسحا وجهيهما بشكل عفوي يشوبه الارتباك، وكأن الأرض قد بصقت عليهما.

اتجهت السيارة ناحية «الكانتري كلوب» حيث نزل كل منهما في كابين خاص وأوصاهما زكي أن لا يفتحا الباب لأي إنسان سوى السائق ديفيد أو ضابط الموساد الآخر سامي. ثم انصرف ليعود في الرابعة والنصف بعد الظهر يرافقه ضابطان من الموساد فجلسوا جميعاً في حجرة الضابط خليل الذي طلب منه زكي أن يحدثهم عن نفسه وعائلته منذ البداية ومنذ كان طفلاً. فبدأ يحكي لهم وهو يتأتئ، فضحك طارق مما أثار خليل فصرخ زكي في وجه طارق: «إذهب إلى حجرتك ودعنا نعمل».

فنهض طارق وغادرهم ليواصل الضابط خليل سرد حكايته منذ البداية.

ـ سقوط النقيب خليل:

شكل خليل صيداً ثميناً لـ «الموساد». فها هو ضابط «الصاعقة» ومسؤول الأمن فيها عن منطقة الحمراء في بيروت، يجلس مع

ضابط «الموساد» في تل أبيب يعصرونه عصراً، ولم يشأ زكي أن يضع أي قيد نفسي على خليل فمر بطارق في غرفته وقال له: «نحن مشغولون هذه الليلة مع خليل لكنني سأمر بك في الصباح».

كانت ليلة طويلة على خليل، لذلك حين مر زكي بطارق في الصباح، كانت الساعة حوالي العاشرة.

تناولا الإفطار معاً وأعطاه صحيفة «القدس» كي يتسلى بقراءتها بينما ذهب زكي إلى غرفة خليل.

بعد ساعة، مل طارق من الجلوس وحيداً، وكان قد أنهى قراءة الجريدة، فتوجه إلى حجرة خليل ليرى هناك زكي ومعه ضابط آخر من «الموساد» وخليل متحلقين حول مجموعة من الخرائط لسورية ولبنان وإسرائيل لكن طارق لم يلبث طويلاً، فقد نهض زكي وتأبط ذراعه قائلاً: «هيا بنا ودعهم يكملون عملهم».

وأدرك زكي أن طارق قد مل من البقاء وحيداً فقال له: «سأعود بعد خمس دقائق ومعي خبير في استخدام الكربون السري ليدربك على الكتابة به فتكتمل وسائل اتصالاتنا تماماً».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مجموعة ضباط «الموساد» التي قابلت خليل وطارق، هي المجموعة المتخصصة في شؤون «الصاعقة». إذ أن «الموساد» تتكون من خلايا تصب كلها في شبكة واحدة.

فمنذ ظهور المنظمات الفلسطينية تلك، تم تخصيص مجموعات من خيرة ضباط «الموساد» لكل واحدة من المنظمات، تتابع

نشاطاتها وتدرس أفكارها وأدبياتها وتتجسس على عناصرها وقيادييها وتحتفظ بكل ما يصدر عنها حتى أصبح ضباط «الموساد» المتخصصون كأنهم أعضاء في المنظمات الفلسطينية يفكرون بالطريقة التي فكر فيها عضو التنظيم أو القيادي، ولم يكن خليل بالطبع على علم بما يدور في «الصاعقة»، فقط ولكنه كان يعلم إلى حد ما أشياء عن المنظمات الأخرى. وقد كان اهتمام «الموساد» به في تلك الفترة نابعاً من تخطيط إسرائيلي لاجتياح لبنان، فهي بحاجة لتجميع كل ما يمكن جمعه من معلومات.

وبحاجة أيضاً إلى تأليب الشعب اللبناني على الفلسطينيين بالطلب من عملائها ـ ومنهم خليل ـ القيام بأعمال استفزازية للمواطنين اللبنانيين، وافتعال حوادث عنف واعتداءات ضد الشعب اللبناني والممتلكات الخاصة. حتى أصبح خليل مع غيره، بعد عودته من تل أبيب مثالاً للبلطجة والرشوة والفساد والتخريب وكانت الناس في لبنان تعرف هؤلاء الأشخاص جيداً، لكنهم لم يفكروا يوماً بأنهم عملاء لإسرائيل بل كانوا يعتقدون أنهم «مسنودون» من قياداتهم وأن المسألة مسألة هرم أو صندوق تفاح لا يقتصر التعفن على بضع تفاحات فقط، علماً بأن أعمال البلطجة والتخريب تلك ما كانت لتخدم إلا المصلحة الإسرائيلية.

بعد عصر خليل وتدريبه على الكربون السري والبخار طلب من زكي أن يعود إلى بيروت ويؤجل مسألة العلاج إلى مناسبة ثانية، ذلك أنه تخوف أثناء عملية اغتيال زهير محسن، وهو في الخارج من أن يحوم الشك حوله.

بعد دقائق كان زكي قد أمن لخليل سفره بالجو إلى قبرص، ومن قبرص إلى بيروت على خطوط «الميدل إيست» في اليوم التالي، ثم ناوله مبلغ 2000 دولار، وهو يقول له: «هذه مكافأة، ولك بذمتنا كل شهر 200 دولار».

تخلف طارق في تل أبيب مدة يومين حيث اصطحبه زكي إلى إيلات وجال به على بعض الأماكن السياحية ثم أعطاه مبلغ ألف دولار قبل مغادرته إسرائيل إلى بيروت، عبر باريس كما حدث في المرة السابقة.

وجد طارق خليل منهمكاً في أعقاب اغتيال زعيم «الصاعقة». ولما سأله ماذا قالوا له في تل أبيب رد بإيجاز شديد: لا شيء، مثل العادة فقط. وكانت البرقيات الإسرائيلية تتوالى على بيروت تسأل: هل هناك عمليات خارجية؟ وهل سينتقمون لزهير محسن؟ ومن سيخلفه؟ وهل هناك تغيرات في جهاز الأمن؟

في هذه الفترة، تجمعت لدى المخابرات الفلسطينية كمية من المعلومات حول تحركات طارق والنقيب خليل. وعلى الأثر عقد إجتماع في مقر مكافحة التجسس في بيروت حيث جرى نقاش طويل امتد أكثر من جلسة حول المعلومات وطرق المعالجة والتنفيذ.

ثم اختلى أبو محمد رئيس الفرقة باثنين من ضباط المكافحة لتقرير كيفية التعامل مع خليل وطارق، قال الضابط حسين: «أرى أن نقوم باعتقالهما فوراً».

وطال النقاش مرة أخرى إلا أن أبا محمد حسم الجدل أخيراً

بقوله: قبل اتخاذ أي خطوة حاسمة يجدر بنا أن نعرف كل شيء وكل المعلومات التي وصلت إلى العدو عن طريقهما، وكل ما سيوصلانه حالياً وفي المستقبل.

ـ عميل مزدوج:

وضعت أجهزة تنصت في منزل كل من خليل وطارق. فقد قرر أبو محمد سلفاً التخلص من خليل بالقتل لأن اعتقاله سيؤدي إلى مشاكل مع «الصاعقة» وغير «الصاعقة». أما طارق فقد كانت خطة أبو محمد تقضي بتشغيله عميلاً مزدوجاً، إذ أن خليل لا يصلح لهذه المهمة فهو متهور وقليل الاتزان، بعكس طارق لأن هو في الأساس أصل المشكلة وبيت الداء.

وقامت الفرقة بإعلام ثلاثة من كبار المسؤولين في «الصاعقة» بعمالة خليل، كما قامت بإبلاغ جهاز أمن عربي بمهمة خليل. فتم الإتفاق بين الأطراف الثلاثة على ترك المسألة للمخابرات الفلسطينية تتصرف كما تشاء.

وضع أبو محمد خطة دقيقة للعمل. فهو صاحب خبرة طويلة في العمل السري، وملفه في «الموساد» ضخم ومعروف باسم «الرجل الزئبق» لصعوبة تثبيته في مكان معين أو محاصرته أو معرفة مكانه، فهو لا يسلك طريقاً واحداً مرتين متتاليتين، ولا يبيت في مكان معين مرتين، وشكله لا يوحي بقدراته ولا يثير الانتباه، وكان قد اعتقل في الماضي في إحدى الدول العربية. وحين دخل على العقيد ضابط التحقيق فوجئ هذا الأخير به، فقد كان يظن أنه سيواجه رجلاً جباراً عنيفاً، ضخم

الجثة، فدهش وأبو محمد يدخل عليه نحيفاً متوسط الطول لا تبدو عليه أية صفة من تلك الصفات الموجودة في الملف الضخم أمامه فقال بعفوية سائلاً:

«أنت أبو محمد؟»

ولما أومأ بالإيجاب عاد يسأل: غير معقول؟ وهل أنت قادر على القيام بكل هذه الأعمال التي تملأ هذا الملف؟

لم يبتسم أبو محمد ولم يرد، فقد فوجئ بأن يسأله ضابط عربي كبير يحقق معه كمجرم في أعمال قام بها ضد العدو الإسرائيلي. فقد كان العمل الفدائي الفلسطيني في تلك الأيام غير مسموح وغير مقبول به في عدد من الدول العربية.

قرر أبو محمد في ظل الظروف الفوضوية والصعبة التي يواجهها العمل الفلسطيني وتفوق «الموساد» التكنولوجي أن يتصرف بدهاء وحكمة. فقد كان طبيعياً أن يكتشف عميل ما في إحدى المنظمات فيهرب إلى منظمة أخرى ليستقبل فيها استقبال الأبطال خصوصاً إذا كان بين المنظمتين شيء من الحساسية.

كان قرار أبو محمد يقضي بتصفية خليل جسدياً في خطة مدروسة لا تثير الشك، فهناك العديد من عملاء «الموساد» في بيروت غير طارق وستصل أخبار قتله إلى «الموساد» في اليوم ذاته.

استدعى أبو محمد ثلاثة من رجاله المختصين في الرماية بالمسدسات. وعرض عليهم عشرات الصور التي التقطتها المخابرات الفلسطينية لخليل وطارق أمام مكتب خليل وأمام البناية

التي يسكن فيها طارق وفي المطاعم ومحلات «الفليبرز» وفي الشارع.

تناول صورة تجمع بين الاثنين وعرضها على الشباب قائلاً: «هل تستطيعون حفظ وجهيهما جيداً؟»

فقال رائد وهو يتمعن الصورة: «ولو يا أبو محمد! هذه شغلتنا».

وضع أبو محمد إصبعه على وجه خليل وهو يقول: «هذا... هذا هو المطلوب، الآخر لا تمسوه، حسين سيخبركم بالتوقيت والطريقة. إبراهيم هو المنفذ وأنتما للتغطية والتمويه».

اصطحب الضابط حسين الثلاثة لمراقبة طارق وخليل. وبينما هم جالسون في مقهى «ستراند» أطل خليل ومعه طارق. فقال حسين: «ذاك الذي إلى اليمين بالزي العسكري». ولم يفاجأ الفريق بأن خليل عسكري في «الصاعقة». ربما فوجئوا في داخلهم ولكنهم تعودوا عدم طرح الأسئلة إذا ما صدرت إليهم الأوامر. إنهم من أمهر القناصة، وكم تدربوا على إصابة عيدان الكبريت عن بعد وأحياناً بأعين معصوبة، فالمسدسات رفيقاتهم الأكثر إخلاصاً، تلازمهم ليلاً نهاراً. أيديهم ترتاح حول مقابضها حتى أنك تراهم وأيديهم خالية من المسدس لكنها تبدو منحية ومضمومة بشكل كأنها لا تزال تحضنه، السؤال الوحيد الذي طرحه إبراهيم على حسين كان يتكون من كلمة واحدة فقط: «متى؟» ورد حسين: «الليلة» فقال رائد: «إذن لم يبقَ له في الحياة سوى ساعات قليلة».

- لحظة الانتقام:

في تلك الليلة كان خليل ينتظر زوجته أمام مكتبه ومع طارق للذهاب إلى مطعم «نصر» على الروشة لتناول العشاء هناك.

وفجأة لمح طارق بعض المسلحين قائلاً: «انظر. إنهم يهربون من المحل.»

فقال خليل: «إنهم لصوص».

وبسرعة مد يده إلى مسدسه لكن طارق قال له: «دعك منهم».

ولم يكد طارق ينهي كلمته حتى كان أحد المسلحين يصوب مسدسه نحو خليل حيث أطلق في لمح البصر رصاصتين اخترقت الأولى رأسه والثانية رقبته قبل أن يقع على الأرض. اندفع بعدها المسلحان داخل سيارة كانت تنتظرهما على مقربة لتطير بهما كالريح.

ذهل طارق من السرعة التي تم بها كل شيء ومن الطريقة التي قتل فيها صاحبه لأن لصاً رآه يمد يده إلى مسدسه. خرجت عناصر أمن «الصاعقة» من المكتب على صوت الرصاص ليجدوا خليل مضرجاً بالدم، وبسرعة حملوه في إحدى السيارات إلى المستشفى ولكنه فارق الحياة قبل أن يوضع على النقالة. بعد نصف ساعة من وقوع الحادث وصل فريق تحقيق من أمن «الصاعقة» استمع إلى أقوال طارق بعد أن حاصرت مجموعة من المسلحين المنطقة على الفور، دون أن يهتدوا إلى شيء لكنهم توصلوا إلى أن خليل قتل بالصدفة وذهب ضحية لصوص مسلحين.

وفي اليوم التالي أذيع خبر مقتل ضابط «الصاعقة» في حادث لصوصية، فطارق نفسه الذي كان شاهد عيان على الحادث الذي وقع أمام عينيه ولم يشك لحظة في أن الحادث عرضي وقع بالصدفة لسوء حظ خليل وأن المنفذون لصوص محترفون، بينما كان أبو محمد في اليوم التالي يشكر الرفاق الذين نفذوا العملية بدقة متناهية ويوكل تنفيذ المرحلة الثانية من العملية إلى فريق آخر بقيادة الضابط حسين.

كان طارق يتهيأ للنوم في شقته حين قرع جرس الباب. لما فتحه وجد أمامه شخصاً طلب إليه بكل تهذيب أن يحرك سيارته المتوقفة أمام البناية متراً واحداً ليتسنى له توقيف سيارته هو الآخر. فسيارة طارق كانت تحتل مكان سيارتين فقال للطارق: «لحظة واحدة».

انتظر الرجل أمام الباب حتى انتعل طارق حذاءه ونزل معه على الدرج وقبل أن يصل إلى بهو العمارة بلحظات قال له حسين ويده في جيبه:

«أسمعني جيداً. نريدك أن تذهب معنا بلا ضجيج ولا صراخ وإلا ستموت هنا على هذه الدرجات».

ذهل طارق وظن أن الرجل يمزح معه لكنه حين نظر وراءه رأى شخصاً آخر يحمل في يده مسدساً.

وعند زاوية المدخل رأى رجلاً ثالثاً يصوب إليه مسدسه مع نظرات نارية، حاول أن يصرخ لكن الصرخة تجمدت في حنجرته التي تحشرجت فأدرك أنه وقع ولا نجاة، والأفضل أن يذهب معهم

بكل هدوء. أمام باب السيارة قال لهم: «هل أستطيع تغيير ملابسي؟ ولم يجبه أحد. فقد دفعه كريم في المقعد الخلفي لتنطلق السيارة بالجميع إلى مقر مكافحة التجسس، ليبدأ التحقيق مع طارق.

ـ طارق في الفخ:

استمر التحقيق مع طارق ثلاثة أيام كاملة بلياليها تمنى خلالها ألف مرة لو أنه قتل مع النقيب خليل. فقد وجد أن المخابرات الفلسطينية تحتفظ له بملف كامل فيه كل شيء عن حياته وأعماله. وحين أدخلوه على أبي محمد، دخل منكّس الرأس ذليلاً يتمنى في قرارة نفسه لو أن الأرض تنشق تحت قدميه وتبلعه حياً، فقد كان الموت أهون عليه من هذا العري الذليل، وهو الذي كان يظن أن الناس تنظر إليه نظرتها إلى شاب وطني قومي يعمل لصالح المقاومة الفلسطينية. خفض عينيه بانكسار مهين حين التقتا بعيني أبو محمد الجالس خلف مكتبه. طال الصمت وهو يتمزق قبل أن يشير إليه أبو محمد بالجلوس، وبادره بالسؤال:

«ألم تفكر يوماً بهذا الموقف؟»

«لقد أجبروني وابتزوني. لست خائناً.. أقسم لك».

قاطعه أبو محمد بحسم: «إخرس. ألا تعرف كم قتل من الأبرياء بسبب خيانتك؟ وزهير محسن هل نسيته؟»

«لقد خوفوني».

«هل يساوي خوفك كل هذا الدم الذي نزف من أهلنا وأهلك

في لبنان؟ أليس هذا شعبك الذي تقصفه الطائرات الإسرائيلية بناء على خيانتك وخيانة خليل؟»

«خليل هو الذي وضع الخرائط».

«إخرس، ألست أنت أساس البلاء يا حيوان؟ صحيح أنك ميت الضمير، لكن إذا كان ضميرك وشرفك قد ماتا ولم يبقَ فيك غير الخوف، فهل تعتقد أنك بعيد عنا؟ هل تظن أن يد «الموساد» أطول من يدنا؟ كان باستطاعتنا قتلك مع خليل، ولكن قررنا أن نبقي على حياتك، بحثاً عن ذرة قد تكون بقيت حية من ضميرك الميت.

فكر طارق: «إذن موت خليل لم يكن صدفة، ولا اللصوص كانوا لصوصاً. العملية كلها مدبرة. يا إلهي. كان يجب علي أن أدرك ذلك».

نشله صوت أبو محمد من تفكيره وهو يقول له: «لقد قررنا أن نعطيك حق تقرير مصيرك. فلك وحدك القرار في أن تموت شر ميتة أو تحيا».

أمسك طارق بآخر كلمات أبو محمد بلهفة قائلاً: أنا تحت أمرك. اطلب مني ما تشاء.

«نريدك أن تواصل العمل مع «الموساد».

ذهل طارق وظن أنهم يريدون تصفيته بالجرم المشهود. فقال: «لم أفهم قصدك».

فقال أبو محمد بهدوء حازم: «نريدك أن تبقى على اتصالاتك المنتظمة معهم ولكن بتوجيهاتنا نحن. هل تفهم؟»

«فهمت».

«لا أعتقد أنني بحاجة لإقناعك بعدم الخيانة. فإياك أن تلعب معنا. لأنك عندئذ لن تستطيع الانتحار ولن تعرف غير الألم الدائم. لأننا لن نقتلك برصاصة قيمتها 25 سنتاً أميركياً».

وابتسم أبو محمد لأول مرة في الجلسة. هو الذي دأب على مقارعة «الموساد» سنوات طويلة. لكن بالرغم من ذلك فقد أحس طارق بابتسامته شيئاً من الدفء وارتاحت أعصابه حين قال له أبو محمد:

«لا تخشَ شيئاً. فنحن نعرفهم جيداً ونعرف طريقة تفكيرهم وتصرفاتهم وامتحاناتهم التي سنجعلك تنجح فيها بتفوق. والرائد حسين سيكون المسؤول عنك وعن تدريبك وإعطائك المعلومات».

بدأت جلسات إعادة التأهيل مع حسين الذي جعله يضع أيام الاعتقال الثلاثة في قاع الذاكرة دون أن ينساها تماماً. وأفهمه بأن لا يخبرهم عن مقتل خليل بواسطة الجهاز. إن من الضروري أن يسافر إلى أوروبا وأن يتصل بهم هناك. لأنه سيأخذونه إلى تل أبيب وأفهمه أن لا يخبرهم بأي شيء عن اعتقاله لأنهم لا يعلمون أي شيء عنه. فموعد الاتصال بهم غداً وسيكون وقتها في البيت.

«وغداً سنزودك بكل المعلومات الضرورية لتقولها لهم عند التقائك بهم في أوروبا».

ـ نهاية الضابط زكي:

بعد إعادة تأهيله وتدريبه على كل الاحتمالات أحضر طارق أمام أبي محمد من جديد، الذي قال له:

«ستسافر غداً وتتصل بهم كالعادة. ستجدهم هذه المرة متحفظين تجاهك بعض الشيء. وقد يستجوبونك من جديد. ويسبرون أغوارك بعد مقتل خليل. يريدون أن يتأكدوا من أنك ما زلت معهم! قد يعرضونك على جهاز كشف الكذب، ولا شك أن الأخ حسين قد حفظك الدور تماماً، فقد أعد مع نفسك القصة والأجوبة حتى تحفظها عن ظهر قلب. جهاز كشف الكذب يكشف كسر الروتين والنبري وضغط الدم والانفعال في صوتك لا أكثر ولا أقل. ولا تتفاجأ أمام أي سؤال، وكن طبيعياً. حسين طرح عليك كل الأسئلة التي يمكنهم أن يسألونك عنها، وقد حفظت أنت الأسئلة جيداً كما حفظت إجاباتها! وأنت يا طارق، الآن أمام الخيار الأكثر أهمية في حياتك. نحن لن نغنيك بالأموال. ولا نعدك بدولارات لا عد لها ولا حصر. فكل ما نعدك به أنك ستكون مرتاح الضمير أمام نفسك وأهلك وناسك. لقد عدت إلى نفسك وأهلك من نفق الخيانة التي لا يرضى بها الله ولا الإنسان. نحن ثقتنا كبيرة في الإنسان العربي ولقد أتحنا لك فرصة التكفير عن عملك السيئ بخدمة بلدك وجذورك. فلا تفوِّت الفرصة. فلتكن توبة نصوحة لله والوطن.

سكت أبو محمد وهو يتفرس وجه طارق الذي كان يصغي بكل

جوارحه، ورفع رأسه ليقول: «لا تخف يا أبا محمد، والله لو قلعوا عيني فلن أفرط في شيء ولن أخون».

«صيت «الموساد» أكبر منه، إنهم يصورونه كأسطورة بالرغم من أنه جهاز مخابرات عادي. لكن الذي يفيد «الموساد» أن اليهود في إسرائيل وفي دول العالم الأخرى متماسكون ويعملون يداً واحدة من أجل إسرائيل. بعكسنا نحن الذين نمشي وسط الألغام العربية التي زرعت بين أيدينا قبل أن تزرع بأيدي غيرنا».

امتدت الجلسة مع أبو محمد أكثر من ساعة أدرك خلالها رجل الرصد الفلسطيني أن طارق صادق معه. لكنه كان متخوفاً من عدم نجاحه في امتحان «الموساد»، فقال له قبل أن يصافحه مودعاً:

«أتمنى لك سفراً سعيداً ورحلة موفقة، ولا تنس أن إرادة الإنسان أكبر من «الموساد» ومن كل المخابرات العالمية، فكن واثقاً من نفسك ولا تتردد أو تتزلق وستجد الأمر أكثر سهولة مما تتصور، الأمر الذي سيجعلك بطلاً لا في عيوننا نحن فحسب بل في عينك أنت أيضاً، إن استطعت أن تتغلب على «الموساد».

كان طارق قد بدأ يسترد ثقته فتحول من إنسان ساقط إلى إنسان ذي قيمة فتحولت حتى طريقة كلامه وكلماته إذ قال لأبو محمد:

«توكل على الله، وستجدني عند حسن الظن والثقة. وكم أتمنى في هذه اللحظة لو أنكم كشفتم أمري مبكراً».

ابتسم أبو محمد وهو يقول: «لكل أجل كتاب ولكل شيء أوان. وما يدريك أن كشفنا لك الآن خير من كشفنا لك مبكراً

أو متأخراً؟ من هنا سنبدأ، وإن شاء الله ستكون بداية أخرى. أتمنى لك التوفيق ومع السلامة».

تصافحا وخرج طارق ومعه حسين يرافقه إلى الباب. وفي اليوم التالي سافر طارق إلى ايطاليا، واتصل كالعادة بالسفارة الإسرائيلية وترك خبراً للمشرف عليه «الكونترول»، أي ضابط «الموساد» زكي الذي هرع في اليوم التالي إلى روما. ولما التقيا في السفارة عانقه زكي مهنئاً إياه على سلامته ومرحّباً: «لقد خفت عليك كثيراً. فقد كنت دائماً مع خليل ـ الله يرحمه لقد كشفوه».

فوجئ طارق بأنهم يعرفون بمقتل خليل أولاً، رغم أن خبر موته أذيع. كما فوجئ بكلمة «كشفوه» يتفوه بها زكي، تماماً كما أخبره حسين من قبل. فقال لزكي بدهشة وتساؤل: «كشفوه؟! من الذي كشفه؟»

فقال زكي وهو يبتسم: «ولو! سلامة فهمك يا طارق. الفلسطينيون طبعاً».

بدا طارق عصبياً تناول سيجارة وأشعلها بحدة، كل شيء يسير حسبما أخبره حسين. نفث دخان سيجارته بتلعثم ثم قال:

«غريب! لقد رأيت الحادثة بعيني. لقد قتله اللصوص. على أية حال، اسمع يا زكي، أنا خائف ولا أريد أن أستمر. أرجو أن تبحث عن طريقة تخلصني بها من الجهاز. فاليوم خليل وغداً أنا».

كان يراقب وجه زكي وهو يتحدث بعصبية، وشعر أنه سجل نقطة كبيرة لصالحه، فقد لمح علامات التخوف على وجه زكي الذي قال مهدئاً:

«لا تخف، نحن معك، أروي قصة مقتل خليل بالتفصيل. فرواها له بكل حذافيرها وكما أعادها وراجعها مع حسين عشرات المرات». وفي نهاية اللقاء ربّت زكي على كتف طارق قائلاً:

«ولا يهمك. احزم حقيبتك وحضر نفسك فسنسافر الليلة إلى تل أبيب».

أطفأ طارق سيجارته وصافح زكي على أن يلتقيا مساءً في المطار. وفي الطريق إلى الفندق، كاد طارق يطير من الفرح. فقد حصل على كل شيء تماماً كما أخبره حسين. حتى أن شكاً خامره بأن حسين رتب كل شيء مع زكي، لكنه قرر أن يلعب الورقة الفلسطينية إلى النهاية مهما كانت النتائج. فقد أخبره حسين أثناء الجلسات بأنه يضطر للتفكير كإسرائيلي في الكثير من الحالات وكضابط «موساد» بالتحديد. فهو يعرف أساليبهم جيداً كما أنه يبحث كل الاحتمالات ويستكشف «السيناريوهات»، ويضع كل الأسئلة التي تخطر وقد لا تخطر على البال مع اهتمام بالغ بالتفاصيل والتوافه الصغيرة. إذ كثيراً ما تكون هذه التوافه هي المقتل. فبعد أن طاف معه حسين كل الأجواء والآفاق قال له أن هذا هو السيناريو المحتمل للقائك مع ضابط «الموساد». وفعلاً، حتى خروجه من السفارة الإسرائيلية لم يتفوه زكي بكلمة واحدة لم يقلها حسين. ضخ فيه هذا الشعور بمقدرة حسين وضابط

المخابرات الفلسطينية ثقة هائلة، قرر أن يتفوق على زكي الذي أذله وأهانه، بل على كل «الموساد».

سيمرغ أنوفهم في التراب، وليحضروا كل أجهزة الكذب والتكنولوجيا الحديثة، فسوف لن يصلوا معه إلى أية نتيجة، بل إن نهاية زكي في «الموساد» ستكون على يديه هو، منتقماً لشرفه الذي داس عليه هذا الصهيوني اللعين.

لمعت عينا طارق بالشرر، فحث الخطى إلى الفندق. حزم حقائبه وطلب بعض الشراب في غرفته ثم نزل إلى صالة الاستقبال حيث دفع الحساب وغادر الفندق إلى المطار بعد أن وضع أعصابه في ثلاجة رغم شعوره الطافح بأن رحلته هذه إلى إسرائيل مختلفة عن رحلتيه السابقتين. إنها رحلة المصير التي ستقرر خياره الأبدي: فإما أن يموت ويقتلوه وإما أن يكون بطلاً قومياً.

ـ امتحان صعب:

في مطار تل أبيب كانت السيارة الخاصة في انتظارهما عند سلم الطائرة. دلفا إليها فانطلقت بهما إلى شمال تل أبيب لتتوقف أمام إحدى البنايات النظيفة. ثم نزلا في شقة مكونة من غرفة نوم واحدة وغرفة استقبال ينتشر في جوانبها ذوق أنثوي وملابس أنثوية وأدوات مكياج. تركه زكي ينام في غرفة النوم بعد العشاء، في حين نام ضابط «الموساد» في غرفة الاستقبال.

في الصباح. جاء شاب يحمل حقيبة ضخمة فقال زكي لطارق: «نحن كضباط، نخضع كل عام لامتحان روتيني. وبما أنك أصبحت

واحداً منا وإن ما يجرى لنا سيجرى لك. هذه الآلة التي تراها أمامك تسمى «جهاز الكذب». ولا شك أنك سمعت بهذا الاسم من قبل. نحن على أية حال، لكثرة ما عرضنا على هذا الجهاز، صرنا نسميه «جهاز الصدق».

كان طارق يومئ لزكي وعلى وجهه علامات الدهشة. فابتسم الخبير وهو يتقدم من طارق ليربط الأسلاك بيديه ورجليه وصدره. ثم بدأ زكي يوجه إليه الأسئلة:

ـ ما اسمك؟

فرد طارق:

ـ طارق.

ـ اسمك طارق عيتاني. أليس كذلك؟

ـ ورد طارق: اسمي طارق الحمدان.

ـ كم عمرك؟

ـ 27 سنة.

ـ قل لي يا طارق، كيف قتل ضابط «الصاعقة» خليل؟

وروى طارق القصة كما سبق أن رواها له في روما.

وعاد زكي يسأل:

ـ بعد عودتك من المستشفى، هل تحدثت عن علاقتك بنا؟

ـ وأجاب طارق: لا.

ـ هل أخفيت عنا أية معلومات عن مقتل خليل؟

ـ لا.

ـ بعد الجنازة هل تحدثت عن علاقتنا؟

ـ لا.

ـ من تذكر من الذين حضروا الجنازة؟

فذكر له طارق كل الأسماء التي عرفها.

في اليوم التالي عرض طارق مرة أخرى على الجهاز وقال له زكي: «هذه المرة نريدك أن تكذب على الجهاز».

ـ إذاً تريدني أن أكذب؟

ـ لا تخف إنه روتين. خذ هذه الورقة واكتب عليها الأرقام من واحد إلى عشرة. تناول طارق الورقة وكتب عليها كما طلب منه، فقال له زكي بعد أن تم ربط الأسلاك:

ـ اقرأ هذه الأرقام بصوت عال.

لما قرأها قال له زكي:

ـ والآن، اقرأها. لكن حين تصل إلى رقم 5 قل تسعة بدلاً من خمسة، وأكمل ففعل.

هناك قال زكي لطارق:

ـ انظر. فوجد أن إبرة الجهاز قد تركت خطاً طويلاً في الرسم البياني على الورقة بعد أن نطق برقم تسعة بدلاً من خمسة. فابتسم وهو يقول: «عُلم».

وتكررت العملية مرة أخرى في اليوم الثالث وطارق يروي قصة مقتل خليل في كل مرة كما رواها أول مرة.

كان طارق يشعر بخوف حقيقي من «الموساد»، لكن زيارته

السابقة وتعامله معهم، وكلام أبو محمد وصحوة ضميره وحقده على زكي و«الموساد» في قصة الصور، والابتزاز والتهديد، وأهم من ذلك مقتل خليل أمام عينيه ـ كما أراد أبو محمد ـ جعلته يقرر بلا تردد الانحياز إلى الخندق الفلسطيني متغلباً على كل خوف من «الموساد».

بعد انتهاء الكشف في اليوم الثالث حمل الخبير جهازه والرسوم البيانية وهو يقول لطارق مودعاً: «أهلاً بك في تل أبيب. وإن شاء الله سنراك كثيراً في المستقبل».

فقال طارق: مرة واحدة في العام.

وابتسم وهو يلتفت إلى زكي الذي قال له الخبير: بإمكانك أن تأخذ المعلومات من الكمبيوتر.

فأومأ إليه زكي برأسه ونهض وهو يقول لطارق: هيا بنا. سأعود إلى الغداء في أحد مطاعم تل أبيب الجميلة.

في المطعم، جلس زكي وطارق على مائدة منعزلة. وما هي إلا دقائق حتى جاء رجل خمسيني شاركهما الجلسة فقدمه زكي إلى طارق بقوله: «هذا داني يا طارق. إنه رئيسي في العمل».

صافحه طارق بأدب واحترام قائلاً: «أهلاً وسهلاً. تشرفنا».

ومضى الحديث حول الطعام وتشابهه مع الطعام اللبناني. ثم فجأة قال داني موجهاً حديثه إلى طارق:

ـ قل لي، هل سمعت باللواء (كذا)؟

ـ لا. لم أسمع به.

ـ إنه ضابط في جيش دولة عربية كبير. . . . لقد أحاله رئيس الدولة إلى التقاعد، وهو الآن في حالة مالية حرجة بعد أن كان يصول ويجول. كما أنه حاقد على الحكم وعلى الرئيس. ونحن نريد هذا اللواء ليعمل معنا. وعليك أن تتصل به.

ـ كيف؟

ـ سيخبرك زكي بالتفاصيل.

قال داني ذلك ثم نهض وصافح الاثنين وخرج.

بعد انصراف داني قال زكي لطارق: «كيف وجدت رئيسي».

ـ ضابط.

ـ إنك لا تعرفه. سوف أحدثك عنه في المستقبل. إنه قبضاي ويعرف الجنوب اللبناني شبراً شبراً.

ـ مهمة جديدة:

في صباح اليوم التالي طلب زكي من طارق، بعد أن زوده بتذاكر السفر و1000 دولار، أن يبقي علاقاته الوثيقة مع التنظيمات الفلسطينية، وأن ينقل إلى الجهاز كل المعلومات التي تتوفر لديه. أما بشأن اللواء المتقاعد، فقد طلب منه أن يقوم بزيارته في بيته في العاصمة العربية، ويعرض عليه العمل في تجارة الأقمشة والبدلات، وأن يصطحبه في ما بعد إلى أوروبا بأية وسيلة مقنعة.

كانت حقائب طارق جاهزة، فأوصله زكي وداني إلى المطار في طريقه إلى بيروت. لكن طارق لم يشعر بالراحة الكاملة إلا بعد أن

هبط في مطار بيروت وتوجه على الفور إلى مكتب الضابط حسين حيث بادره بالقول:

- كدت أشك فيك.

فابتسم حسين وهو يقول: خير.

- خير. فقد حصل كل شيء كما قلت لي بالحرف الواحد. وأخذوني إلى تل أبيب وعرضوني على جهاز كشف الكذب وطرحوا علي الأسئلة كلها التي سألناها معاً وأجبنا عليها معاً عشرات المرات.

تعددت لقاءات حسين بطارق، وفي كل مرة كان حسين يقود إلى الحديث عن زكي ولقائه مع طارق في روما وتل أبيب، فيما طارق يروي القصة بكل تفاصيلها مرة بعد مرة منذ وصل زكي إلى روما.

كانت المخابرات الفلسطينية قد أوفدت بعض عناصرها إلى روما خفية عن طارق، حيث التقطت صوراً لزكي واقتفت آثار طارق في العاصمة الإيطالية منذ لحظة وصوله إلى حين مغادرته إلى تل أبيب، كذلك قامت فرقة المكافحة بتسجيل كل ما نطق به طارق بعد عودته. وكان حسين يراجع التسجيلات ويحللها كلمة كلمة.

وفى لقائه مع أبو محمد قال حسين: «إنني مطمئن إلى أن طارق صادق معنا، وإنه مستعد للعمل والتضحية. لكن يبقى مأزق اللواء العربي. ماذا نفعل به؟

فقال أبو محمد: «مستحيل أن نقوم بتجنيده لصالح «الموساد»

وإذا نحن أفهمناه بالحقيقة فهو قد يخاف على مستويين: مستوى تعامله مع العدو، ومستوى تعامله معنا في حال انكشافه لدى مخابرات العدو، كذلك فنحن أيضاً بغنى عن افتعال مشاكل مع دولته. الأفضل البحث عن طريقة نتفادى بها هذا العمل.

ـ معك حق. ولكن كيف؟

ـ ليسافر طارق إلى العاصمة العربية، وليتم تعريفه ببيت اللواء المذكور عن بعد. ومن الضروري أن يعرف شكل الرجل وصورته، ثم نتصرف.

وفعلاً، سافر طارق إلى العاصمة العربية المعنية، وشاهد بيت اللواء كما رآه عن قرب في أحد المقاهي.

وبعد عودته إلى بيروت عرضت عليه أيضاً صورة اللواء قبل أن يقوم بإرسال البرقية التالية:

«سافرت إلى العاصمة العربية، وقابلت اللواء عن طريق أحد معارفه. الرجل صعب. فاتحته بإمكانية الإشتراك معي في التجارة فسألني لماذا اخترته هو، ولماذا أعرض عليه العمل وكيف سيشاركني بدون رأس مال. لقد خفت منه وهو ليس مأموناً. إنني خائف جداً وأشعر أنني مراقب».

وجاءه الرد: «لا تخف. لا يوجد خطر عليك. انسَ مسألة اللواء في الوقت الحاضر وركز على عملك المعتاد مع التنظيمات».

بدأت مرحلة جديدة من التجسس والتجسس المضاد، أديرت بحنكة وذكاء من الجانب الفلسطيني حيث كانت المخابرات

الفلسطينية هي التي تقوم بالرد على أسئلة «الموساد» والطلبات التي يتلقاها طارق منهم. وكان في إجابات المخابرات الفلسطينية أكثر من الحقائق والكثير من الأكاذيب. لكن الحقائق كانت من النوع غير المؤثر أو من النوع المتغير بحيث يصار إلى تغييرها فور إرسالها على الجهاز.

كان أكثر ما يهم المخابرات الفلسطينية أن تتعرف على حاجات «الموساد» وأن تلغم هذه الحاجات بالمعلومات التي تريدها هي لتدفع «الموساد» في طريق البناء المتهافت على غير أساس، كما كانت تتعرف على نوايا العدو وأهدافه من خلال أسئلته وطلباته. ومن الطبيعي أن تكون للمخابرات الفلسطينية مواردها ومصادرها وقنواتها الأخرى في جمع المعلومات التي تهمها، وفي إرسال المعلومات التي تريد إيصالها إلى إسرائيل مع الحرص على أن تؤكد كل القنوات الإسرائيلية المعلومات التي ترسلها المخابرات الفلسطينية إليها.

ولدى سؤال أبو محمد عن مصير ضابط «الموساد» زكي قال: «لقد وجدته الشرطة البريطانية مقتولاً في شقته في العاصمة لندن».

كيف وجدته وكيف قتل؟

تلك قصة أخرى.

وطارق؟

(. . . .).

علي حسن سلامة

(1940 - 1979)

علي حسن سلامة، والمعروف باسم أبو حسن، ضابط الرصد الفلسطيني الشهير الذي كان يلقب بـ «الأمير الأحمر».

وأبو حسن هو ابن قائد شهير من قادة الحركة الوطنية المجاهدين قبل النكبة هو حسن سلامة. انضم لحركة فتح عام 1967 مع أفواج عديدة من الشباب الفلسطيني والعربي، الذين صدمتهم هزيمة الأنظمة على يد الكيان الصهيوني وإحتلال ما تبقى من فلسطين ومن أراضي عربية أخرى. وخلال سنوات قليلة، بعد العمل في قيادة جهاز الرصد الثوري لحركة فتح، - وهو بمثابة جهاز مخابرات وأمن - استقر أبو حسن في بيروت عام 1970 وتولى قيادة العمليات الخاصة ضد المخابرات الصهيونية في العالم، ومن العمليات التي تسند إليه ولرجاله قتل ضابط الموساد زودامك أوفير في بروكسل، وإرسال الطرود الناسفة من أمستردام إلى العديد من عملاء الموساد في العواصم الأوروبية، رداً على حملة قام بها الموساد ضد قياديين فلسطينيين، ومن الذين قتلوا بهذه الطرود ضابط الموساد في

لندن أمير شيشوري. وارتبط اسمه بعملية قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ.

ونسب لغولدا مئير قولها عنه «اعثروا على هذا الوحش واقتلوه».

المصادر الصهيونية قالت إن سلامة دوّخ ملاحقيه ونجا من أكثر من عملية اغتيال، حتى أرسلت إحدى عميلات الموساد، وهي رسامة بريطانية، اسمها سلفيا إيركا روفائي، التي أوكل إليها مراقبة الأمير الأحمر ورصد تحركاته، إلى رؤسائها أن الأمير الأحمر أصبح في متناول اليد، وكانت العميلة تقطن بالقرب من منزل زوجته جورجينا، في الطابق التاسع من إحدى بنايات شارع فردان.

وينقل عنه أنه كان يطمئن والدته، التي لم تكفّ عن التنبيه عليه بضرورة إحداث تغييرات على عنوانه وتبديل سيارته بالقول «عمر الشقي بقي».

جاء أمر للعميلة بتنفيذ عملية اغتيال الأمير الأحمر الذي دوّخ رجال الموساد طويلاً، فتم تلغيم سيارة من نوع فولكس فاغن بعبوة تفجّر لاسلكياً عن بعد، ووضعها بالقرب من الطريق الذي يمر منه موكب أبو حسن المكوّن من سيارة شفروليه وسيارتي رانج روفر، وعندما وصل الأمير الأحمر إلى تلك النقطة في الساعة الثالثة من عصر يوم 22/ 1/ 1979، حتى ضغطت عميلة الموساد على الزر القاتل.

وبعد سنوات من تلك العملية، فإن ضابط الموساد البارز السابق

رافي إيتان - الذي يعيش الآن في ضاحية أفيكا الراقية قرب تل أبيب - يعيد الفضل لنفسه في اغتيال أبو حسن سلامة.

- من هو علي حسن سلامة:

واحد من أبرز رجال حركة فتح والثورة الفلسطينية.

ولد علي حسن سلامة سنة 1940 في فلسطين المحتلة واستشهد اغتيالاً من قبل الموساد الإسرائيلي في بيروت سنة 1979.

التحق بحركة فتح عام 1967 مع بداية التحاق أفواج كبيرة من الشباب الفلسطيني والعربي بالكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين.

خلال سنوات قليلة أصبح أبو حسن سلامة من المقربين جداً لياسر عرفات، وبدأ العمل في قيادة جهاز الرصد الثوري لحركة فتح، وهو بمثابة جهاز مخابرات وأمن.

بعد أحداث أيلول الأسود في الأردن سنة 1970 استقر أبو حسن سلامة في بيروت ومن هناك تولى قيادة العمليات الخاصة ضد الأهداف الصهيونية في كل مكان، وكان واحداً من الذين أسسوا وقادوا منظمة أيلول الأسود إلى جانب صلاح خلف أبو إياد وأبو نضال صبري البنا وأبو داوود. نسب لأبي حسن سلامة العمليات التي استهدفت قتل ضابط الموساد زودامك أوفير في بروكسل، وإرسال الطرود الناسفة من أمستردام إلى العديد من عملاء الموساد في العواصم الأوروبية، رداً على حملة قام بها الموساد ضد قياديين فلسطينيين، ومن الذين قتلوا بهذه الطرود ضابط الموساد في لندن

أمير شيشوري. أما أشهر العمليات التي ارتبطت باسمه فهي عملية مهاجمة الفريق الرياضي الإسرائيلي في دورة ميونيخ الاوليمبية وارتبط اسمه بد ذلك بتلك العملية الشهيرة. بعد ذلك وضع اسمه على رأس لائحة الشطب في دوائر المخابرات الإسرائيلية.

وأفادت المصادر الصهيونية إن أبو حسن سلامة الذي تمرس في العمل الأمني دوّخ ملاحقيه واستطاع أن ينجو بنفسه من الموت والاغتيال أكثر من مرة إلى أن تمكن الموساد منه بفضل عميلة حملت جوازاً بريطانيا وكان اسمها أريكا ماري تشمبرز في بيروت يوم 22/ 1/ 1979. وقد وصلت العميلة المذكورة إلى بيروت سنة 1978 وسكنت في منزل استأجرته فوق دكان لبيع الفروج المشوي يطل على مفرق بيت أبو حسن سلامة في آخر نزلة شارع «مدام كوري» باتجاه فندق «البريستول» حيث يسكن مع زوجته اللبنانية المسيحية جورجينا رزق ملكة جمال الكون لسنة 1971.

لكن قبل ذلك كان الموساد ارتكب غلطة كبيرة في النرويج حيث قامت مجموعة من عملائه باغتيال مواطن مغربي يشبه أبو حسن سلامة إلى حد كبير، إذ ظنوا أنه الأمير الأحمر. وبتواطؤ السلطات النرويجية التي كانت في تلك الفترة الزمنية تناصر إسرائيل ظالمة أو مظلومة تم إطلاق سراح عملاء الموساد بصفقة مشبوهة، ولغاية الآن لم يتم تعويض عائلة الضحية بوشيخة ولم تعتذر إسرائيل عن جريمتها السوداء.

بعد سنوات من تلك العملية فإن الموسادي البارز رافي إيتان - كما سبق وذكر، الذي يعيش الآن في ضاحية أفيكا الراقية قرب تل

أبيب ـ يعيد الفضل لنفسه في اغتيال أبو حسن سلامة، لكن من سيتحمل من الموساديين مسؤولية اغتيال مواطن بريء لمجرد أنه يشبه الضحية.

ـ قصة تعقب الأمير الأحمر:

من هي أمينة المفتي؟

إنها أشهر جاسوسة عربية خدمت الموساد!!

كانت الحياة في بيروت في ذلك الوقت حزيران/ يونيو عام 1973 لها مذاق رائع. تماماً كالأطعمة المتنوعة من كل أنحاء الدنيا. ومع عطلة نهاية الأسبوع تزهو أجمل فتيات لبنان داخل الفنادق والأندية، يرتدين البكيني اللاصق، ويتلوين بتدله تحت أشعة الشمس حول حمامات السباحة، أو يلعبن الجولف والتنس، ويرقصن الديسكو ويشتركن في مسابقات الجمال. وسط جو كهذا يموج بالمرح والحسن والشباب، اعتاد علي حسن سلامة أن يعيش بعض أوقاته، يرافقه أحياناً فتحي عرفات شقيق ياسر عرفات، رئيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني. ولما اختيرت جورجينا رزق ملكة جمال الكون، تعرف إليها سلامة، وعاشا قصة حب مثيرة، توّجاها بزواج «الخطيفة»، نظراً إلى العديد من العقبات التي واجهتهما، ووصف الحدث بأنه أكثر من رائع، مما جعله مطارداً دائماً من فتيات لبنان. لكنه كان مشبعاً بكل جمال الدنيا بين يديه. ولأن المخابرات الإسرائيلية كانت تجهل صورته أو ملامحه، وفشلت كثيراً في اقتفاء أثره لاغتياله، خاصة بعد عملية ميونيخ بالذات، فقد كان المطلوب من أمينة المفتي التسلل إلى مخبئه، والحصول على

قوائم بأسماء قيادات وعملاء المخابرات الفلسطينية في أوروبا. فقد كان علي حسن سلامة ـ الأمير الأحمر ـ كما أطلقت عليه غولدا مائير، أحد مساعدي عرفات والمختص بحراسته، ثم أوكل إليه عرفات مباشرة بمهمة جديدة، وهي رئيس الأمن والمخابرات التابعة لمنظمة فتح وقوات الحرس الداخلي ـ التي يطلق عليها القوة 17 ـ وهي القوة التي أطلق عليها عرفات اسم «المنتمين إلى قيصر روما القديمة». والحصول على القوائم السرية للقيادات الفلسطينية والأعضاء البارزين في المنظمات في أوروبا، أمر هام جداً ومطلوب لتفكيك أوصال القيادة في بيروت، وعزلها عن الآخرين في كل قارات العالم. وفي هذا إجابة عن سؤال: لماذا السطو على أوراقه بدلاً من اغتياله؟

هذه كانت مهمة أمينة المفتي في بيروت. مهمة حساسة للغاية، لو استطاعت القيام بها فكل ميادين إسرائيل لا تكفي لوضع تماثيلها. وفي لقاء حميم في شقتها مع مارون الحايك، سألته عن عرفات وأبو إياد والغمري وغيرهم، فأجاب بأنه يعرفهم جيداً، ولأيام طويلة ظلت تمنحه جسدها، وتنفق عليه بسخاء عندما أكد لها أنه يعرف علي حسن سلامة، بل والفندق الذي يرتاده. فاصطحبته مراراً لفندق «كورال بيتش» على شاطئ المرجان ـ كما كان يسمى ـ ليدلها عليه. لكن الأيام تمر والحايك يستمتع بجسدها وبأموالها دون أن يظهر لسلامة أثر.

تملكها يأس قاتم لفشلها، وفكرت كثيراً في مغادرة بيروت إلى تل أبيب تتوجها الخيبة. لكن طرأت بخيالها فكرة جديدة عملت

على تنفيذها بأسرع وقت. إذ انتقلت إلى شقة أخرى في كورنيش المزرعة - وهي منطقة شعبية يرتادها التجار من قاطني المخيمات الفلسطينية في بيروت. وللوهلة الأولى أحست بتفاؤل كبير، بعدما تعرفت على ممرضة فلسطينية تدعى شميسة، تعمل في عيادة «صامد» داخل مخيم صبرا. فقدمتها شميسة، إلى مدير العيادة، الذي أوضح لها أن العديد من الأطباء من كل دول العالم، يشاركون في علاج الفلسطينيين كمتطوعين. فعرضت عليه خدماتها التطوعية، وأطلعته على شهاداتها المزورة فطلب منها الانتظار لعدة أيام ريثما يخبر رؤساءه. هؤلاء المتطوعون في شتى المؤسسات الفلسطينية، يقابلهم ياسر عرفات، ويستعرض معهم المخيمات وملاجئ الأيتام، والمؤسسات الصحية والهلال الأحمر، وأقسام الأجهزة التعويضية والعلاج الطبيعي والمعامل المركزية وبنك الدم. من هنا صادفت أمينة المفتي فرصة ذهبية للامتزاج بالفلسطينيين، وبدأت مرحلة العمل التجسسي الأوسع.

- رعشة اللقاء:

في مساء 22 تموز/يوليو عام 1973 دق جرس الهاتف في شقة أمينة المفتي. وكان على الطرف الآخر مارون الحايك، الذي أسرَّ إليها ببضع كلمات ألجمتها، فوضعت السماعة في توتر وأسرعت تفتح التليفزيون. لقد صدمها المذيع وهو يعلن نبأ اعتقال ستة من رجال الموساد في أوسلو، بينهم امرأة، بتهمة قتل غرسون مغربي بالرصاص، ظنوا أنه الفلسطيني علي حسن سلامة. وقد اعترف المعتقلون بأنهم ينتمون إلى الموساد، ويشكلون فيما بينهم فريقاً

للقتل اسمه «الرمح»، وجاؤوا خصيصاً من إسرائيل لتعقب سلامة واغتياله. ارتجت أمينة وتملكها الهلع على مصيرها. وتساءلت: لماذا يتعقبون سلامة لاغتياله. بينما طلبوا منها خلاف ذلك؟

كانت اللعبة أكبر بكثير من تفكيرها. فأمور السياسة والمخابرات تتشكل وفقاً لمعايير أخرى وحسابات معقدة. ولأول مرة منذ فقدت زوجها موشيه، تشعر برغبة أكيدة في الاستمتاع بالحياة وحاجتها إلى مذاقات النشوة التي افتقدتها. وأسرعت في اليوم التالي، برفقة مارون إلى فندق «الكورال بيتش»، متلهفة إلى الالتقاء بسلامة. ولكم أخذتها المفاجأة عندما أشار صديقها ناحية حوض السباحة قائلاً لها: «أنظري، إنه علي حسن سلامة».

كان حمام السباحة كبيراً، على شكل حدوة الحصان، يحيط به مبنى أبيض اللون مكون من ثلاثة طوابق، تطل كل غرفه الخمس والتسعين على الحمام. ويفضل سلامة هذا الفندق لأنه مؤمَّن جيداً ويكشف المخاطر الأمنية التي قد يتعرض لها. ومن الأمور العادية أن توجد ثلاث سيارات عسكرية حول الفندق لحماية الأمير الأحمر، حيث يقوم حراسه بتأمين موقف السيارات ومداخل الفندق وحدائقه. أما في الحجرة المطلة على حمام السباحة وهي في الطابق الأرضي، فيكون سلامة دائماً بمفرده، يحمل مسدسه الأوتوماتيكي المحشو، ولا يتغافل عنه أبداً.

كان سلامة في ذلك الوقت في الثالثة والثلاثين من عمره، رياضي، وسيم، أنيق. يصادق جورجينا رزق ملكة جمال الكون. وهي فتاة عمرها واحد وعشرون عاماً، تنحدر من عائلة مسيحية في

بيروت لأب لبناني وأم مجرية. انتخبت في السادسة عشرة من عمرها ملكة جمال لبنان. وبعدها بعامين ملكة جمال العالم. وكانت الوحيدة من بلاد العرب التي دخلت مسابقة «ميامي بيتش». وهكذا أصبحت جورجينا رزق أشهر امرأة في العالم، يحلم بها كل الرجال. وكان الجميع يريد التعرف على الفتاة ذات الشعر الأسود الطويل، والعيون الخضراء، والفم الكبير، والجسد الأسطوري. حتى جيمي كارتر ـ حاكم ولاية جورجيا وقبل أن يصبح رئيساً، تحققت أمنيته وظهرت صورة له مع ملكة الكون وهي ترتدي فستان السهرة الأسود العاري الأكتاف والصدر. لقد انشغلت جورجينا رزق بالفتى الوسيم مفتول العضلات ذو الجسد الرياضي الممشوق. وانشغل بها هو أيضاً. وبرغم زواجهما إلا أنه لم يمانع من اختبار رجولته التي لا تقاوم مع نساء أخريات.

وها هي أمينة داود المفتي تقف أمامه، ووجهاً لوجه بشكل لم يكن متوقعاً، وحيث رتبت الموائد حول الحوض تحت المظلات الشمسية، جلست تراقب سلامة بحذر وهو يستحم، وعلى مقربة منه وقف رجلان من حراسه تنتفخ أجنابهما بالسلاح. رسمت أمينة صورته في خيالها، وداومت على زيارة «الكورال بيتش» مرتان أسبوعياً بشكل منتظم. وكانت كثيراً ما تلتقي بسلامة الذي اعتاد رؤيتها وابتسامتها وجمالها البسيط الهادئ. وذات مرة وصل سلامة إلى الفندق واتجه إلى الداخل حيث حجرته، لكنه عرج فجأة إلى مائدة أمينة، وانحنى على ظهر المقعد المواجه في أدب وسألها عدة أسئلة. ثم سحب المقعد وجلس قبالتها لأكثر من نصف ساعة.

تقول أمينة في مذكراتها التي نشرت بعد ذلك:

«في ذلك اليوم الحار من أيلول/سبتمبر عام 1973، تشوقت لترطيب جسدي في حوض السباحة بكورال بيتش، وبينما كنت أرفع كوب الماء البارد إلى فمي، رأيته أمامي، إنه سلامة. سرت رعشة متدفقة في أوصالي عندما جاء إلى مائدتي محيّياً. وبدأ بأن عرَّفني بنفسه على أنه رجل أعمال فلسطيني، ثم سألني عن نفسي. وجلس إلى مائدتي بعدما اكتشف أنني طبيبة أردنية متطوعة. ومنذ ذلك اليوم لازلت أذكر رعشة اللقاء وحديثه الرائع الذي جذبني إليه بكل كياني ومشاعري».

ـ في الدولشي فيتا:

وبواسطة سلامة، انفتحت أمام أمينة المفتي كل الأبواب الموصدة. إذ أصبحت محل ثقة الفلسطينيين، وعلاقاتها بالقادة طالت ياسر عرفات نفسه. لقد استعادت حيويتها وثقتها بنفسها، وانخرطت في صفوف المقاومة تضمد الجروح، وتبث فيهم الحماس والاستماتة في الكفاح. وكانت زياراتها المتعددة لمخيمات اللاجئين في الجنوب، تصحبها فيها مجموعات طبية من المتطوعين، تذكرة أمان لدخول كل المناطق المحظورة. فكانت عيونها كاميرات تلتقط الصور وتختزنها. وآذانها كانت أجهزة تسجيل متطورة، وانقلب عقلها إلى آلة جبارة من القوة بحيث لا يرهقها تزاحم المعلومات أو رسم الخرائط بدقة متناهية أو حفظ مئات الأسماء والمواقع، أو تذكر أنواع الأسلحة وأساليب التدريب. لقد أدمنت استجلاء أوضاع الفلسطينيين، مستغلة ثقتهم بها في إرسال

المعلومات عنهم يوماً بيوم إلى الموساد. كان المطلوب منها هو كتابة تقارير وافية، ووضعها في صندوق البريد «الميت»، أو تركها بسيفون حمام فندق «الكورال بيتش».

تقول أمينة في مذكراتها: «أذكر أنني في إحدى المرات كنت أحمل وثائق سرية وتقارير خطيرة، وذهبت لمقابلة سلامة بالفندق. كانت حقيبتي مكتنزة بأربعة وعشرين ورقة من أوراق البلوك نوت الكبيرة، عندما فاجأني سلامة بمجيئه مبكراً قبلما أتمكن من الدخول بها إلى الحمام. وكانت ورقة واحدة منها فقط، كفيلة بأن يفرغ سلامة رصاصات مسدسه في صدري. لقد كنت أجلس إليه بأعصاب من فولاذ. وعلى مقربة مني كانت زميلتي ـ وتحمل وثائق سفر قبرصية ـ تكاد تموت هلعاً».

هكذا عملت أمينة داود المفتي بحرية مطلقة في التجسس على القادة الفلسطينيين، ورجال المقاومة. ولم تدخر وسعاً في البحث عن كل ما يهم الإسرائيليين في لبنان. لقد زارت ياسر عرفات في مكتبه ثلاث مرات، لتطلعه بنفسها على العديد من السلبيات التي واجهتها في الجنوب اللبناني، واهتم الزعيم بمقترحاتها وقد أفرد لها مساحة طويلة من الوقت للاستماع إليها. وأوصى في الحال بالتحقق مما قالته، وتلافي الأخطاء التي تعوق حركة المقاومة في الجنوب. فتقربت أمينة بذلك من الزعيم الفلسطيني، وأصبح مكتبه مفتوحاً دائماً أمامها.

وحدث أن كانت في مقهى «الدولشي فيتا»، حيث شاطئ الروشة المتعرج الخيالي، حينما توقفت فجأة أمام المقهى سيارة

جيب عسكرية، ونزل منها ثلاثة رجال فلسطينيين، اتجهوا مسرعين إلى حيث تجلس تشرب القهوة، وقال أحدهم بحسم: نعرف أنك هنا، وعليك مرافقتنا الآن.!

أسقط ما في يد أمينة، ولم تقدر على الوقوف. بينما الرجال الثلاثة ترسل عيونهم سهاماً من التوتر.

- زيارة إلى المخيم:

كانت السيارة العسكرية تخترق شوارع بيروت بسرعة مذهلة، بينما كانت أمينة المفتي متكورة إلى يمين السائق، تنتفض عروقها رعباً، ويرتعد بدنها كله لهول النهاية. لم تسأل مرافقيها عن وجهتهم، أو لنقل إنها لم تجرؤ على ذلك. إذ انحصر تفكيرها في تحين الفرصة المناسبة للبحث عن كبسولة سم السيانيد، التي خبأتها بين خصلات شعرها بواسطة شريط لاصق. فحتماً سيكتشف الجنود المدججون بالسلاح ذلك عندها سيضطرون إلى تكبيلها بالسلاسل الحديدية، فتضيع منها فرصة الانتحار الوحيدة. تنبهت أمينة قليلاً وتعجبت، فالسيارة عرجت بها فجأة إلى طريق مخيم شاتيلا. ترى هل أقام الفلسطينيون معتقلات للخونة في داخل المخيمات؟

هكذا تساءلت في نفسها، وقبلما تسعفها الإجابة انطلق صوت أحد الجنود من خلفها، يحث السائق على أن يزيد من سرعته، فالجرحى الذين جيء بهم من الجنوب كثيرون. وعند هذه العبارة أفاقت أمينة تماماً، سألت الجندي عن الأمر، فأجابها بأنهم ضحايا إحدى الغارات الإسرائيلية على معسكر فلسطيني بالقرب من مفرق مخيم عين الحلوة ـ السيروب في صيدا. ونظراً للعجز الكبير في

الأطباء المتطوعين، دلهم على مكانها مكتب المخابرات الذي يترأسه علي حسن سلامة. فاستجمعت أمينة شتات عقلها في صرخة مدوية: «غبي.. غبي.. كلكم أغبياء وتيوس أهكذا تستدعون ضيوفكم؟»

وبينما ينطلق صراخها بالسباب، وبأنها ستشكوهم لعرفات شخصياً، كان الجنود يعتذرون لها ويلحون في ذلك أيما إلحاح. تلك الحادثة لم تسقط أبداً من ذاكرة أمينة. إذ زرعت لديها شعوراً قاتماً بالخوف في قدراتها التجسسية بين أناس يشكون في كل غريب وافد. لذلك، كان عليها أن تغسل الخوف الملتصق بها، وتتعاطى جرعات كبيرة من الهدوء، والتعلم، والحنكة.

وما كان يتأتى لها ذلك إلا في إسرائيل. هكذا أنهت عملها في مستشفى مخيم شاتيلا، واستأذنت في السفر إلى فيينا لتسجيل اسمها لدى إحدى جمعيات الطفولة الدولية. وهناك في شقتها الخاوية بين الجدران الصماء والفراش البارد، أهاجتها الذكريات فضربت عمق وعيها، وأخذت تطوف بالغرف من جديد تتحسس الأرائك والأدراج وأحذية موشيه القديمة، وتقلب صفحات الألبومات تتلاحق أنفاسها في اضطراب وشجن. وبكت كثيراً بين أحضان سارة بيراد شقيقة زوجها المفقود، وسافرت معها إلى حيث يقيم والدي موشيه في وستندورف، يجرعان الأسى ويعتصرهما المرار.

هناك تخلت أمينة عن أهم قواعد الجاسوسية، وهي السرية المطلقة، وتفاخرت أمامهم جميعاً بأنها تثأر لموشيه كل يوم من القتلة العرب، وتنتقم منهم دونما رحمة أو شفقة. قصت عليهم

أيضاً الكثير من أسرار عملياتها في بيروت، وما كانت تعلم أن سارة المنخرطة في جماعات الهيبيز، تصادق شاباً فلسطينياً قتل اليهود والده، فهام يتيماً بائساً متسكعاً، يجوب مدن أوروبا بلا هدف أو وطن. وبجواز سفرها الإسرائيلي، طارت أمينة إلى تل أبيب تحمل جرعة هائلة من الغضب تدفعها بقوة لأن تستمر وتنطلق بكل كيانها لتثأر وتثأر.

وفي مذكراتها عن رحلتها تلك إلى فيينا قالت:

«اليوم 18 أيلول/ سبتمبر 1973، زرت شقتي في فيينا وأنا في طريقي إلى إسرائيل، كان جسدي يرتعش وأنا أصعد الدرج، وفشلت مرات في معالجة الباب.

وعندما أضأت الأنوار واجهتني صورة موشيه الكبيرة باللباس العسكري. فمسحت زجاج الإطار وقبلته، وعلقت باقة من زهور البانسيه التي يحبها إلى جواره. لقد خيل إلي أن ابتسامته الرائعة تفيض بالعتاب، بل هي كذلك. فتذكرت، يا لغبائي كيف دفعته بنفسي إلى نهايته، عندما شجعته على الهجرة لإسرائيل.

حاولت أن أستعيد ابتسامته فلم أنجح. لحظتها ركعت على ركبتي أمامه وأجهشت بالبكاء، ورجوته بألا يلومني أو يغضب مني، فأنا أنتقم له وآخذ بثأره. ولن أهدأ حتى أشهد بنفسي بحور الدم المراق تعلوها الأشلاء الممزقة. وأرى ألف زوجة عربية تبكي زوجها، وألف أم فقدت ابنها، وألف شاب بلا أطراف. عندئذ فقط لمحت ابتسامته وقد ارتسمت من جديد، وأحسست كما لو أن يداه كانتا تحيطان بي!!».

يا للخائنة المحشوة حقداً، لم تكفها كل تلك الخيانات للدين والوطن، فطفقت تبحث عن المزيد والمزيد، الذي تطفئ به نيران الغضب المشتعل بعروقها. ولذلك كانت رحلتها إلى إسرائيل، لتستمد الهدوء والتعلم والخبرة. ولكي تجيد فنون التجسس والانتقام.

ـ نهاية المهمة:

لم يكن لها في إسرائيل من أصدقاء، سوى نفر قليل من رجال الموساد، الذين فوجئوا بها وقد علتها مسحة قاتمة من الإرهاق. طلبوا منها أن تستريح في شقتها ريثما تهدأ. وحتى لا تزيدها الوحدة أرقاً، صاحبتها طبيبة نفسية يهودية من أصل عراقي تدعى زهيرة. وفي شقتها بمدينة ريشون لتسيون. عملت زهيرة على تهيئتها للاندماج في المجتمع الإسرائيلي، تمهيداً لاستقرارها النهائي، بما يعني الاكتفاء بخدماتها السابقة كعميلة في الموساد.

لم تكن مهمة زهيرة أن تفاتحها في أمر إنهاء خدمتها، فهي ليست منوطة بذلك، ولكن مهمتها انحصرت في إذابة جدران العزلة النفسية التي تحيط بالعميلة، بدمجها شيئاً فشيئاً باليهود العرب، وخلق محيط إجتماعي موسع من حولها. لقد حدثتها صديقتها الجديدة عن المهاجرين العرب من اليهود، الذين قدموا من شتى الأقطار المجاورة، وكيف استساغوا العيش في المجتمع الجديد المتحرر، وحدثتها كذلك عن بعض المسيحيين الذين فروا إلى إسرائيل طلباً للحرية والأمن. ومن بين الذين ذكرتهم، النقيب الطيار منير روفة العراقي الذي فر إلى إسرائيل بطائرته الحربية.

وعندما أبدت أمينة رغبتها في لقائه، عرضت زهيرة الأمر على رؤسائها فجاءتها الموافقة. وتم ترتيب اللقاء بمنزل روفة بين زوجته وأولاده.

كانت أمينة في شوق بالغ للقاء الطيار الهارب، ليس لأنه عربي بل لتسأله عما يجول بخاطرها من تساؤلات قد تفيدها معرفة إجاباتها. وبابتسامة عريضة أمام باب منزلهما، رحب منير وزوجته بأمينة وقاداها إلى الداخل. كان منير روفة في ذلك الوقت في الثامنة والثلاثين من عمره، أسمر واسع العينين والجبهة، غزته مقدمات الصلع. أما الزوجة مريم فكانت على مشارف العقد الرابع، طويلة ذات شعر انسيابي طويل، وفم واسع. فجاء لها صوت خشن. كانت مظاهر الثراء بادية جداً على المنزل وأهله. وبرغم ذلك جاءت مريم بالحلوى والشاي بنفسها. ولما سألتها أمينة عن الخادمة، أجابتها المضيفة بأن المجتمع الإسرائيلي ما زال بحاجة إلى تطور وينظر إلى المرأة التي تجلب خادمة نظرة اتهام بالبرجوازية. لذلك فهي تقوم بمهام المنزل بنفسها.

أما منير فقال لها إنه مر بحياة عصيبة في البداية، حيث كان يجهل العبرية وبلا عمل ولا أصدقاء، ويتابعه كظله رجلا أمن في الشارع والبيت. ثم عمل لبعض الوقت في جيش الدفاع، والآن يمتلك وكالة إعلانية كبيرة خاصة به اسمها الأضواء «الحانوكا»، وتعمل معه مريم كمديرة لمكتبه وللعلاقات العامة. ولما سألته أمينة: كيف يفشل طيار محترف في القفز إذا أصيبت طائرته في

الجو؟ وهل الطائرة السكاي هوك الأميركية تتحول إلى مقبرة لقائدها قبلما تسقط؟

كانت تريد إجابات محددة ومنطقية، فربما استمرت في التعلق بأمل عودة زوجها موشيه، أو بنسيان الأمر نهائياً. فضباط الموساد كانت إجاباتهم مبهمة ولا تحمل نفياً تاماً أو تأكيداً، وذلك ما يحيرها ويرهق عقلها. فأفاض منير روفة في الشرح، وأوضح لها أن الطائرة سكاي هوك التي طار بها موشيه اعتمد تصميمها على حماية الطيار، وهي مزودة بكرسي قذف مزدوج، ويمكن إطلاقه من ارتفاع الصفر وبسرعة الصفر أيضاً - وهو كرسي قاذف من طراز دوغلاس أسكاباك، ومقصورة القيادة فيها مدرعة في المقدمة والمؤخرة والجانب الأيسر، وسمك التدريع حوالي 18 ملم. وأكد لها على أن زوجها موشيه إما أصيبت طائرته بصاروخ سام6، وفي هذه الحالة ربما يكون أسيراً لدى السوريين، أو أن صاروخاً من طراز ATOLL جو/ جو، أصاب به السوريين كابينة قيادته الفقاعية فانفجرت به الطائرة في الجو.

كانت إجابة روفة - الأكثر شرحاً - تعطي ذات الإجابة التي سمعتها من قبل. فلا هو أوضح نافياً أو مؤكداً. وبقي السؤال كما هو: هل موشيه بيراد ما يزال حياً في قبضة السوريين؟ أم انفجرت به الطائرة في الجو؟ وفي الحالة الأخيرة لا بد أن يعثر السوريون على بعض من أشلائه ومن ثم يعلنوا الخبر، وهو ما لم يحدث!!

ـ الأفعى الغاضبة:

عادت أمينة إلى شقتها أكثر قلقاً وغضباً. يحفها الإصرار على الانتقام لزوجها، لكن صدمتها كانت قاسية جداً، عندما زارها مسؤول في الموساد، وبعد حديث طويل عن فدائيتها الشجاعة فاجأها بقوله:

«سيدتي، بعد هذا العناء الكبير يرى رؤسائي في الجهاز أنه من الواجب العمل على إراحتك وحمايتك. وجئت إليك لأعرض رغبتهم في الوقوف على ما تريدينه، ولأطلعك على العمل الجديد الذي ينتظرك، وهو بلا شك عمل مثير ويتناسب مع...».

قاطعته أمينة قائلة:

ـ أتقصد سيدي إنهاء عملي في بيروت؟

وجاء رده أكثر حسماً:

ـ وفي الموساد سيدتي، وسوف تحصلين على...

لم تتركه أمينة يكمل جملته إذ انطلقت بكل الغضب الكامن بأعماقها تقول:

ـ لن أقبل ذلك أبداً، فأنا ما جئت لإسرائيل هذه المرة إلا لأنني اهتززت قليلاً أمام موقف استدعائي.

ولماذا هكذا تستغنون عن خدماتي لكم بسهولة؟، بالرغم من أنني فرصة ذهبية لا يجب أن تضيعوها. فأنا جئتكم بالكثير عن أخبار المقاومة التي تهدد مستعمراتكم في الشمال، وأطلعتكم على

أشياء كانت غامضة لكم، كل ذلك دون أن أقبض منكم سوى ألفي دولار.

- أرجو أن. . .

- دعني أكمل من فضلك. هل تستطيع أن تؤكد لي أن أحد عملائكم جلس وتحدث مع علي حسن سلامة؟ أو أن أحدهم وصف لك مبنى قيادة المنظمة الفلسطينية من الداخل؟ أما أنا فقد دخلت إلى مكتب عرفات، وألتقي بسلامة مرتين أسبوعياً. وبواسطة جسدي هذا ـ ورفعت عباءتها فكشفت عن عورتها وصولاً حتى صدرها ـ جئتكم بالتليفونات السرية لكل القادة الفلسطينيين، ليتنصت جواسيسكم هناك عليها. وخلعت ثيابي لكل كلب نتن الرائحة فينتهك جسدي لأجلب لكم الأسرار والوثائق والمعلومات، وفي النهاية تقولون لي ببساطة: شكراً!!

- سيدة أمينة نحن ما فكرنا إلا بحمايتك وما كنا سنبخس عليك حقك.

كانت أمينة ترتعد فعلاً ويهتز بدنها كله وقد امتقع لونها واكفهر وجهها وغشاه اصفرار وهي تقول:

- هل تستطيع أن تجيبني لماذا أنا في إسرائيل الآن؟ ألأنني لا أجد مأوى بين أهلي. أم لأنني أحببت يهودياً وتزوجته؟ لا أقول ذلك لأنني أحسست بالندم، لا فأنا بعت الدنيا كلها من أجله، بعت أهلي، وديني ووطني لأكون معه. ولأنه مات، فأنا لن أكف. نعم. لن أكف. وهل أنا عبء ثقيل عليكم؟

- الأمر ليس كما تعتقدين سيدتي.

أردفت أمينة وصوتها كفحيح الأفعى، ينفث الغضب والكراهية كالسم: أبلغ رؤساءك أنني لن أتوقف أبداً، حتى ولو أدى الأمر إلى أن أغادر إسرائيل إلى الأبد وعندها قد أفكر، وبعيداً عنكم، بعملية انتحارية داخل مكتب عرفات شخصياً!!

انزعج الرجل وأسرع إلى رؤسائه ينبئهم بالأمر وبلهجة الصدق والإصرار والغضب في صوتها. وكان لا بد من إيجاد حل وإلا فهناك كارثة مؤكدة قد تقع بين لحظة وأخرى. وفي الحال صدرت الأوامر للمطار بمنع آني موشيه بيراد - أمينة المفتي - من مغادرة البلاد.

اللورد مونتباتن أوف بوروما

(1920 - 1979)

تعد منظمة الجيش الجمهوري الايرلندي واحدة من أكبر المنظمات المتهمة من النظام العالمي الجديد بالإرهاب، حيث تسعى تلك المنظمة منذ تأسيسها إلى إنهاء الحكم البريطاني لإقليم شمال ايرلندا، وهو الإقليم الذي لا يزال خاضعاً للمملكة المتحدة، وضمه إلى جمهورية ايرلندا المستقلة. ويعد الشين فين هو الجناح السياسي للجيش الجمهوري الذي ظل يتصدر لائحة الإرهاب التي أعدتها وزارة الخارجية الأميركية حتى العام 2000.

والمعروف أنه في أعقاب انتفاضة العام 1916، وسنوات حرب العصابات ضد الإحتلال البريطاني، بقيادة الزعيم الايرلندي الأسطوري مايكل كولنز، قررت بريطانيا في العام 1930 تقسيم ايرلندا، وتكوين دولة مستقلة في الجنوب، بعد إحتلال دام قروناً، وبحسب التقسيم تسيطر على الدولة الجديدة أغلبية كاثوليكية، فيما تهيمن على الجزء الشمالي الأصغر حجماً أغلبية بروتستانتية، وقد ظل الأخير خاضعاً للإحتلال البريطاني.

وتسبب هذا الوضع بمشكلة خطيرة تمثلت في شعور الجمهوريين الكاثوليك، بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية، ومن ثم دعموا الجيش الجمهوري ومسعاه في تحرير شمال ايرلندا، من الاستعمار الإنجليزي، في الوقت الذي عارض فيه البروتستانت ذلك.

ومنذ اندلاع المصادمات بين الجانبين في العام 1969، قتل أكثر من 3200 شخص من الطرفين، وفي 30 كانون الثاني/يناير من العام 1972 وقعت الأحداث التي عرفت بـ «الأحد الدامي»، عندما قتل الجنود البريطانيون 13 كاثوليكياً عزل، ما دفع الجيش الجمهوري إلى تصعيد العنف.

ومنذ أواخر الستينيات قتل نحو 1800 شخص على أيدي الجيش الجمهوري الايرلندي، منهم 650 مدنياً، حيث كان الجنود وضباط الشرطة وحراس السجون، والقضاة وتجار المخدرات والمخبرون على حد سواء، من الأهداف الرئيسية للجيش الجمهوري.

وطالت قائمة العمليات التي نفذها الجيش الايرلندي، العديد من المرافق الحيوية في ايرلندا وبريطانيا على حد سواء، وربما كان من أشهر هذه العمليات، تلك التفجيرات التي حدثت في قلب العاصمة بلفاست فيما عرف بـ «يوم الجمعة الدامي» حيث انفجرت 22 قنبلة، في 75 دقيقة مما خلف 9 قتلى و130 جريحاً.

وفي 1979/8/27 تم اغتيال اللورد مونتباتن عم الملكة

إليزابيث الثانية، وكان ذلك بتفجير يخته قبالة الساحل الشمالي الغربي لإيرلندا. وكانت ذروة عمليات هذه المنظمة في العام 1984 عندما وقع انفجار في فندق برايتون بينما كانت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء، تعقد إجتماعاً فيه مع مجلس وزرائها.

ولد اللورد مونتباتن أوف بوروما، ابن حفيد الملكة فيكتوريا، وآخر نائب للملك في الهند في وندسور في 5 حزيران/ يونيو عام 1920.

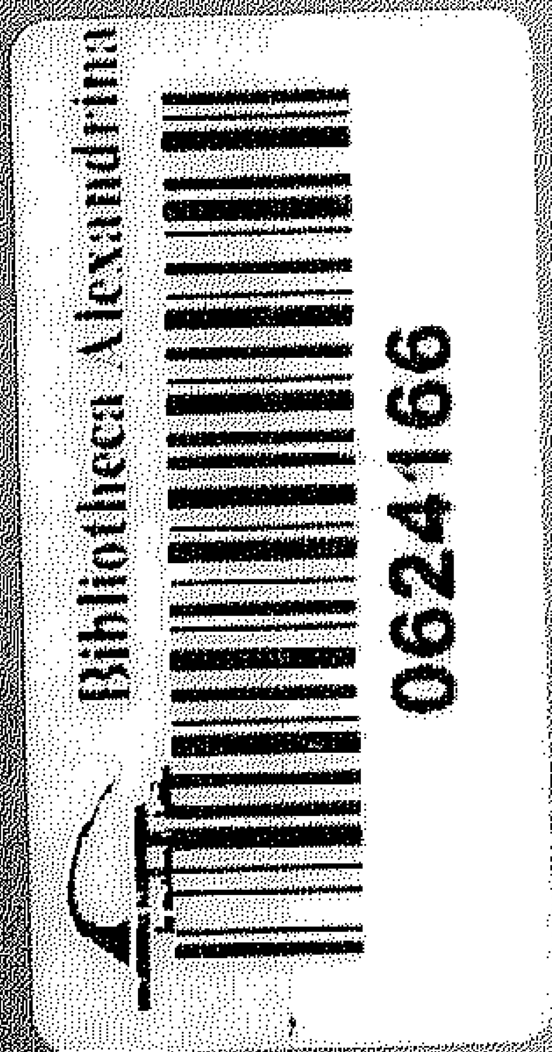
والده الأمير لويس دو باتنبرغ، أميرال بحري وكان قد اكتسب لقب أمير بحار، وبسبب أصوله الألمانية أُجبر على التخلي عن كافة مناصبه في العام 1917 وأن يبدل اسمه إلى مونتباتن.

في أيلول/ سبتمبر تسلم القيادة العليا للقوات الحليفة في جنوب شرق آسيا، وبقي في هذا المنصب حتى العام 1946. وتصدى للهجوم الياباني على الهند، وانضم إلى الحملة على بورما، حيث استسلمت القوات اليابانية في العام 1946.

بعد انتهاء العمليات العسكرية وإعلان الحكومة البريطانية نيتها نقل السلطات إلى الهند، خلف مونتباتن اللورد واويل في منصبه كنائب للملك وتولى الإدارة البريطانية. وفي العام 1947 أصبح الحاكم العام في الهند، وأشرف على ترتيبات إستقلال تلك البلاد.

واجه اللورد مونتباتن موضوع شرفه في الهند. فبعد حفلة كبيرة عقدت ليلة إعلان إستقلالها رسمياً، آوى إلى فراشه مع زوجته. ولكنه استفاق بعد ساعات فلم يجدها بجانبه. اكتشف بعد قليل أنها تسللت إلى غرفة البانديت نهرو وجادت بنفسها له. روى مونتباتن في مذكراته أنه قضى بقية الليلة يفكر هل يثير الموضوع مع نهرو ويسبب مشكلة دبلوماسية تؤدي لإلغاء حفل إستقلال الهند في اليوم التالي؟ قرر أخيراً أن إستقلال الهند أهم من شرف امرأته.

الفهرس



مركز الشرق الأوسط الثقافي